كتاب

اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر

﴿تأليف﴾

محمد أمين واصف

من طلبة مدرسة الحقوق الخديويه

وعبد العزيز محمود

معيد تدريس بالمدرسة الخديويه

قررت نظارة المعارف الجليلة تدريس هذا الكتاب بالمدارس الاميريه

الطبعة الثانية

obeikandl.com

حمدا لمن تفرد بالبقاء والقدم وتنزه عن الفناء والحدوث والعدم فهو الذى ملك الوجود بقوته وأوجده باختياره وارادته وأتقن العالم بحكمته فابدعه على أحسن مثال وأبرزه بقدرته فاخترعه على أتم منوال وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى أرسله الى الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وعلى آله وأصحابه الذين ملكوا بعزمهم المشارق والمغارب ﴿وبعد﴾ فيقول الراجى تحصيل المعارف الفقير محمد أمين واصف انى لما كنت بالمدارس التجهيزية الاميريه جمعت رسالة فى تاريخ الامم المشرقية من أغلب مؤلفات مؤرخى العرب والفرنج المعتبرين والعلماء المحققين للمساعدة بها فى مذاكرة البحث لنوال شهادة البكالوريا فأشار على بعض الاخوان بطبعها لتعميم الفائدة بها ولما وجدت ان هذه الرسالة لا يحسن طبعها بالطريقة التى كانت عليها وكان ولا بد من تكميلها وتهذيبها بل ووضعها فى قالب المؤلفات المعتادة حتى يسهل الاخذ عنها اذا ازدحم الطلاب بموردها اخترت من بين اخوانى لمشاركتى فى هذا المقام الجليل حضرة أخى الفاضل عبد العزيز افندى محمود لعلمى انه من ذوى الدراية التامة بالعلوم التاريخية وغيرها فقام حضرته بتكميلها أجل قيام وذهب فى اتمامها من طرق مختلفة ثم نقحناها ورتبناها على النسق الموجود فجاءت بعون الله عجالة منزهة عن الترهات خالية من الخرافات وسميناها ﴿اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر﴾ مع اشتمالها على تاريخ سكان الشرق السالفين خدمة لاهل الوطن عموما وأبناء

المدارس

المدارس خصوصا وطبعت المرة الاولى وقدمت للنظارة فقررت تدريسها وهذه هى الطبعة الثانية نقدمها لحضرات اخواننا الافاضل أبناء المدارس المصرية فى عصر ازدهرت أغصانه وماست أفنانه عصر أعيد فيه مجد تالدو سلطان عز كان على أهبة الرحيل عصر مولانا الخديو المعظم ﴿عباس حلمى باشا الثانى﴾ أفاض الله عليه من أثواب التأييد حصيفها وجعله للعارف وأهلها نه يرها وظهيرها لازال والنصر خادمه والسعد نديمه تلبس به مصر لباس الشبيبة بعد الهرم وتحيابه الارض بعد ميتها ﴿ولله در القائل﴾

لاتنظرن الى العباس من صغر * فيه وانظر الى المجد الذى شادا
ان النجوم نجوم الجو أصغرها * فى العين أكثرها فى الجو اصعادا

فقد ألبس حماه الله كل مصرى نعمة ورفع عنه نقمة حتى أجمعت الناس على محبته وأصبح لسان الحال وهو يقول

ولو قيل اطلبوا شرفا لقلنا * يعيش لنا الامير ولا نزاد

ولما أبى الدهر الا نصرته وتعزيز سلطانه وتأييد كلمته قيض الله له رجل السياسة ورب الحكمة والدراية وقطب دائرة المعارف من رضع من اطائر الحوادث حلوها ومرها فادخر لصروف الزمان مهلك الطغاة مبيد العتو وأهل الضلال صاحب الدولة والاقبال الوزير الخطير ﴿رياض باشا﴾

لازال يسلك فى العلياء خطتها * ومصر ترجوه دون العرب والعجم

هذا ونرجو ممن يطلع على عثرة أن يصلحها ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين

مقدمة

(١) ﴿فى ثمرة علم التاريخ وأقسامه﴾

ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى فى أول مقدمة تاريخه ما نصه (اعلم ان

فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا)

فالتاريخ هو مرآة الازمان ومنبع العلم والحكم وناصر العدل والفضيلة فهو يرشد الانسان ان الفضل دون غيره يورث العظم والاحترام ويشخص لنا الوقائع وقد سلفت ويعيد لنا الممالك وقد ذهب رسومها وعفت فيرى الانسان دماء الابرياء والشهداء قد جعلت له التاريخ أسواطا للحق يضرب بها أهل الشر الى يوم الميقات و يلطخ بها صفحاتهم حتى تكون عبرة لمن اعتبر وكذا يسمع عند تقليب مهارقه صياح الامم وأنينهم تحت نير العبودية القديمة فيخرج وقد آل على نفسه أن يكون من أنصار الجنس البشرى وأعوانه يطلب الحرية أينما كانت و يمتد المساعدة لمن يطلبها وكذلك يطلعنا على أحوال من مضى من الرجال أولى المنازل الخطيرة و يوقفنا على كافة أحوالهم وأفعالهم ومشروعاتهم ومقاصدهم وقضائلهم فيعلى قدرهم و يلبسهم ثوب التجلة فمن ذلك تعلم نفاسة علم التاريخ وفائدته العظمى

و ينقسم علم التاريخ الى قسمين عظيمين تاريخ طبيعى وتاريخ مدنى أما الاول فليس من موضوع كتابنا هذا

وأما الثانى فهو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران و ينقسم الى فرعين تاريخ عام وتاريخ خاص

فالتاريخ العام هو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانسانى وحاله العمرانى من عهد الخليقة الى عصرنا هذا

وقد جرت عادة مؤرخى الفرنج وغيرهم تقسيم التاريخ العام الى ثلاثة أقسام (الاول) التاريخ القديم أو العالم القديم وذلك من ابتداء الخليقة الى ظهور المسيح عيسى عليه السلام (الثانى) التاريخ المتوسط أو القرون

الوسطى وذلك من ظهور المسيح عليه السلام الى استكشاف أمريكا سنة ١٤٩٢ م (الثالث) التاريخ الحديث أو القرون المتأخرة وذلك من استكشاف أمريكا لغاية وقتنا هذا

وقد ينقسم أيضا الى قسمين قبل الطوفان وبعده أما قبل الطوفان فهو من ابتداء الخليقة الى حادثة الطوفان

وأما بعد الطوفان فينقسم الى فرعين الاوّل من ابتداء حادثة الطوفان لغاية فتوح القسطنطينية بالاسلام فى عهد السلطان أبى الفتح محمد خان سنة ١٤٥٣ م والثانى من ابتداء فتوح القسطنطينية بالاسلام لغاية وقتنا هذا

وأما التاريخ الخاص فينقسم أيضا فى اصطلاح المؤرخين الى قسمين الاوّل التاريخ الخصوصى وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة وهذه الصورة الاخيرة تعرف فى اللغة الفرنساوية باسم بيوجرافيا (السيرة أى القصة) كسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره

الثانى التاريخ الجزئى وهو ما يتعلق بخصوص مدة شهيرة أو حادثة كبيرة كتاريخ حروب الصليب وغيرها

وينقسم علم التاريخ الى ما يسمى فى اللغة الفرنساوية باسم الكرونولوجيا أى علم الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام

والى ما يسمى الاتنوجرافيا وهو ما يتبع تاريخ كل أمة على حدتها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الامم الشتى فى عصر واحد سمى باسم السنكرونيسم ويسمى بالتاريخ النظرى أو الفلسفى اذا كان المؤرخ قد اقتص الوقائع مع توضيح أسبابها ومسبباتها وغير ذلك

(٢) تشعب الامم

يظهر لمن درس لغات الامم وسمع رواياتهم وكان على جانب من علم سيما

الوجوه ان الامم القاطنين عند مصبات نهر التنك فى آخر حدود المشرق والامم القاطنين على امتداد سواحل البحر الابيض المتوسط هما من نسل عائلتين كبيرتين يخرجان من أصل واحد غير انهما انفصلا بفاصل عظيم ألا وهو اختلاف لغاتهم وهاتان الامتان قاطنة احداهما غربى نهر الدجلة سامية الاصل والاخرى قاطنة فى الشمال الغربى من بلاد الهند آرية الجنس وتسمى بالجنس الهندى الاوروبى وهذا الجنس ينقسم الى فرعين الاول الامم التى تتكلم بالسنسكريتى (أى اللغة الاصلية القديمة) وذهبوا الى الشرق جهة الهندستان والثانى الامم التى تتبع الكتاب المقدس المسمى (بالزند) قطنوا بالغرب جهة العجم وقد مكثت البراهمة ومن تتبع مذهب زرادشت فى الوحدة والعزلة خارجا عن التمدن الاوروبى الى عهد الاسكندر حيث بث فيهم روح التمدن وأخذوا فى التقدم والارتقاء فمن هذا المحتد الاصلى خرجت أمم لاعداد لها فى زمن غير معلوم لدى التاريخ ونزلوا بالارجاء الغربية الا انه يوجد طريقان يظهران هؤلاء الامم قد ولجوهما عند قيامهم من آسيا الى أوروبا الاول جهة الجنوب اما من بلاد العجم أو من بلاد آسيا الصغرى والآخر فى شمال بحر الخزر بصحراء (سرماسيا) ولقد أغلق الباب الاول مدة فى سالف العصر ملك آشور وميد على أمة البيلاج والليديين وأمة هيلانة الذين ذهبوا واندثرت أخبارهم وكانوا أصل الامم القاطنة بآسيا الصغرى واليونان وايطاليا وأما الطريق الثانى فقد كان مفتوحا من سالف العصر لامة (السلت) والجرمانيين (والسلاف) فظهر حينئذ ان أمتين من أهل آسيا سكنتا قارة أوروبا على يمين وشمال جبلى الهيموس والالب وكان من سكن جهة الالب أقدم ممن سكن بالهيموس والغالب على الظن ان اللغات التى كانت تتكلم بها الامم القاطنة تحت هذين الجبلين مشتقة من السنسكريتى وان اللهجات الجرمانية للامم الشمالية تقرب من لغة (الزند) وبعض لغات أمة

السلت

(السلت) و(الجابليك) تقرب من لغة البراهمة والبعض الآخر يقرب من لغة المجوس فالهند وبلاد فارس وآسيا الصغرى وكافة أوروبا جميعها من الجنس الآرى وأما الجنس السامى فهو الجنوب الغربى من آسيا وشمال أفريقا وجنوب اسبانيا وفى هذين الجنسين وجد الجنس الانسانى تمامه المادى والادبى وكلما تقدم الانسان جهة الغرب وجد ان الجنس الآرى والسامى قد صادما فى طريقهما قدماء قارة أوروبا القديمة فأمم السلت وجدوا أمامهم أقوام (الايبر) فدفعوهم الى جبال البرينيه ولم تزل ذريتهم باقية الى الآن ويعرفون باسم (اسكو بالدونا) وقابلت الامم الجرمانيون وأمة السلاف وأمة (فينوا) و(لايون) فطردوهم الى الاقاليم الشمالية وقد استأصلت أمة القوقاز فى أقاليمها العالية الصعبة العبور أمما لم يعلم لهم أصل لدى التاريخ

وفى أعالى جبال الاطلس وطأت البربرة بأرجلهم تأثير سلطة الامور (المغاربة) وأهل نوميديا وقرطاجه وروما والعرب والترك بحفظهم لغاتهم الاصلية واستقلالهم وفى الزمن الذى تأسست فيه مملكة شارلمان باوروبا كانت هؤلاء الامم منقسمة الى (أمة الايبر الاصلية) وكانت تسكن جبال البرينيه بين نهر الجارون والايبر الاعلى وقد خالطهم بعض الفنيقيين فى جهة بلطيق وبعض أمة الغالة (وسلتيبريا) ولقد سكنت أمة (السلت) بريطانيا العظمى وبلاد الغالة وبعض بلاد أكيتين وجزء من بلاد (تربونيز) وأعالى ايطاليا وجبال الالب وعدد عظيم من بلاد الشاطئ الايمن لنهر الدانوب وبعض ايالات آسيا الصغرى (جالاتيا) وأما الجرمانيون وأمة السلاف أو السارمات فقد اقتسموا السهول الواسعة التى بين المحيط المنجمد الشمالى وبحر الخزر وتزاحموا وراء نهرى الرين والطونه وأما أمم اليونان واللاتين فقد سكنوا أواسط مملكة شارلمان والاول قد توجهت أنظارهم الى المشرق وأطاعوا الاسكندر والاخر الى المغرب حيث هنالك كانوا ينشرون عوائدهم ولغاتهم

وأما جهة الجنوب فقد سكنت الامم السامية شواطئ أفريقا جهة البحر الابيض تحت اسم الموروأمة نوميديا والفنيقيين واختلطوا فى مصر بامة الزنج أى أهل الاتيوبيا وفى بلاد الارمن بالجنس الآرى وكذا بجزيرة العرب وفلسطين وأما من سكن بلاد الشام فقد خالطهم أمة هيلانه وكان وراءهم أمة الزند وامة السنسكريت أو الهنود وفى أواخر المشرق الامم المسماة (سير)

(٣) فى استمداد تاريخ مصر

يستمد تاريخ مصر من كلام المؤرخين القدماء والآثار

﴿المؤرخون الاقدمون﴾

اعلم ان تاريخ مصر قبل معرفة اللغة البربائية (الهيروغليفية) كان يستوعر طريق استيفائه ووصفه ومن المستحيل ادراك تحديده وتكييفه وكنهه نعم وان كانت نصوص التوراة دلتنا على بعض معلومات من تاريخ مصر كعلاقة المصريين بالعبرانيين مثلا حيث دلتنا على ان موسى عليه السلام ولد فى عهد رمسيس مياموون الثانى وان خليفته منفطاهو الذى فى عصره كان خروج بنى اسرائيل من مصر شيشنق الاول أحد ملوك العائلة الثانية والعشرين حاصر مدينة اورشليم الا ان هذه النصوص لم تكن كافية لمعرفة الكرونولوجيا المصرية ولم يكن الا فى القرن السابع قبل المسيح عليه السلام أى فى القرن الثالث عشر قبل الهجرة على صاحبها أفضل التحية حيث عثر على أرقام مضبوطة تنسب الى الكرونولوجيا اليونانية واعلم ان أقدم مؤرخ قد كتب لنا شيأ من تاريخ مصر هو المؤرخ اليونانى هيرودوث الذى زار سواحل النيل فى سنة ٤٥٠ ق م وقد جاء بعده المؤرخ ديودور الصقلى فى سنة ٨ ق م وكذا الجغرافى استرابون أحد معاصرى المؤرخ السابق الذكر والبيان وهو الذى جاب مصر الى الشلالات وكذا

المؤرخ

المؤرخ بلوتاركه الذى ألف رسالته التى موضوعها الكلام على الالهين (ازيس) و (أوزيريس) فى آخر القرن الاول من الميلاد وهؤلاء المؤرخون قد وصفوا لنا مصر بما عهد فيهم من الصداقة وعوائد المصريين وأخلاقهم وديانتهم ونظاماتهم وجميع الاعمال التى صادفت سياحتهم غير ان مؤلفاتهم هذه لم تكن كافية لتشييد دعائم هذا العلم نظرا لجهلهم اغلب اللغة البلد فانهم وصلوا الى روايات غير قادرين على تحقيقها وفى القرن الثالث قبل المسيح ألف المصرى مانيتون السمنودى والقسيس الاول لمعبد هيليوبوليس وأمين خزائنه تاريخا لمصر لكن لسوء الحظ فقد هذا المؤلف العظيم ولم نعثر على شئ منه الا بعض ما نقله الينا المؤرخ يوسف فى تاريخ الامة العبرانية والمؤرخ (ايزيب) و (چيورج لوسنسل) اليونانى فى القرن الثامن من المسيح وجدول الملوك الذى اعتمده بعض علماء الفرنج وهذا الجدول الذى اعتنى بجمعه القسيس المذكور مقسم الى عائلات ملوكية تشمل جميع الفراعنة الذين حكموا مصر من منذ تأسيس الهيئة الحكومية الى ظهور الاسكندر المقدونى وقد أودعه بعض التفاصيل البيوجرافية وتعيين بعض السنين وبجمع هذه السنين نستدل على ان الهيئة الحكومية قد أسست بمصر قبل المسيح عيسى عليه السلام بمدة تزيد عن ٥٠٠٠ سنة

الا انه لم تتفق كلمة المؤرخين على هذا التاريخ والصعوبة التى أوقفت معرفة مدة حكم كل عائلة هى كون المصريين كانوا يجهلون أمر الكرونولوچيا ومع كل فان الفاضل ماسبيرو استدل بصحيفة ترجع الى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد تقابل احدى سنى حكم رمسيس الثانى ولكن هذه العبارة وغيرها لا يحققها شئ من هذا القبيل وان حققها شئ يتحقق عندنا كثير من التواريخ بدون أن تتعين نقطة تكون مبدأ للتاريخ ولكن يمكن أن يقال على رأى العلامة ماريت باشا ان استعمال تاريخ خاص كان مجهولا عند المصريين القدماء بل كان من عادتهم أن

يحسبوا الحوادث بسنى حكم الملك الذى وقعت فى مدته تلك الحادثة فمن ذلك يتعسر الوقوف على شئ من أمر الكرونولوجيا بما انهم كانوا تارة يحسبون من ابتداء السنة التى مات فيها الملك السابق وتارة من يوم مبايعة الملك الذى أخلفه فهما كانت المقادير الظاهرية لهذه الحسابات ومهما كان تقدم العلم الحالى سنقف عند تحديد زمن الكرونولوجيا المصرية لجميع السنين السابقة لحكم بسامتيك الاول سنة ٦٦٥ ق م

ولا يمكننا أن نضبط هذه التواريخ الا على وجه التقريب وان مانيتون هو الواجب علينا اتباعه فى مثل هذه الريوب ولو ان مانصه ضاده كثير من المترجمين الذين ترجموا كثيرا من الصحف الهيروغليفية

وجدول الملوك يعتبر فيه فى الغالب أسماء الملوك وأما التواريخ فهى فاسدة لا يعول عليها

وأما اذا اتبعنا طريقة البحث والتدقيق فاننا لا نرى الكرونولوجيا قد علمت لنا معرفة جيدة لا نقض فيها ولا ابرام الا من القرن السابع قبل المسيح ولكن الصعوبة تتزايد علينا كلما شرعنا فى تعيين زمن حكم كل عائلة قبل هذا الوقت ويلزم اعتبار تاريخ ماقبل بسامتيك ليس لاريب محض لانهاية له وأما من خصوص مجموع التواريخ وتعاقب العائلات والآثار التاريخية فاتحاد المؤرخين عليها كفاية

وقد قال المعلم (فونتان) قد يمكن أن نتسع فى المناقشة اذا نظرنا المسئلة وحيدة وهى هل منا أو مصرايم كان هو أول ملك لمصر وهو منظم البلد أو هو ليس الا ملك من ملوكها قد سبقه غيره من الملوك ولكن لا يمكننا أن نجعد حكمه أصلا لان التاريخ القديم لمصر خلا بعض تفاصيل هو معلوم جيدا من ابتداء (منا) لغاية دخول مصر تحت حكم الرومان

ومن عهد الازمان الغابرة كانت تعرف المصريون السنة الشمسية وتقسيمها الى ٣٦٠ يوما والى ١٢ شهرا وكل شهر ثلاثين يوما و ٥ أيام فى آخر السنة وهى المعروفة بأيام النسىء وبعد ذلك اخترعوا زمنا

فلكيا

فلكيا بديعا لاجل أن يتوصلوا به من زمن الى آخر لاتحاد هذه السنة بالسنة الحقيقية وهى ٣٦٥ وربع ولكن لما كانوا لا يعرفون مثلنا الآلات البصرية المستعملة فى الارصادات فما كان عندهم من المعلومات ليس الا نتيجة ارصادات عينية فعوضا عن انهم كانوا يضيفون يوما واحدا فى آخر كل أربعة سنوات كانوا يضيفون سنة كاملة فى كل ١٤٦٠ سنة أعنى ٣٦٥ فى ٤ وأوائل هاتين السنتين تتحد مع زمن شروق كوكب الزهره (المسمى سوتيس) أو (سيريس) التى كان شروقها دليلا على أول السنة وحصول فيضان النيل وكان لهذا الوقت أعياد ومواسم كبيرة فى البلاد وقد جرب كثير من العلماء صحة جدول مانيتون باشتغالهم بتحقيق بعض التواريخ المعاصرة لبعضها المتنازع فيها فمثلا لما اعتبر على وجه التجربة شروق الزهرة مناسبا السنة من سنى حكم ذكره مانيتون فكل من العلامة بيوت وروجيه الفلكيين أمكنهما بواسطة حسابات قهقرية بطرق فلكية تعيين زمن هذه الظاهرة بالسنين الجليانية وبذلك علم حكم الملك الذى حصلت فى مدته هذه الظاهرة الفلكية ولكن هذه النتيجة الحسناء الصادرة عن فكرة وذكاء لم تسلم من نقد العلماء

وقد ذكر لنا المؤرخ فرنسيس لونورمان ان الملك رمسيس الثالث نقش على جدران هيكل مدينة (أبو) تعديلا عظيما للاعياد والمواسم الدينية حينئذ على حسب هذا التعديل فيوم عيد شروق كوكب الزهرة يعين لنا ان نقش تذكاره يستفاد منه ان السنة الثانية عشرة من حكم الملك رمسيس الثالث كانت احدى هذه السنين التى اعتبرت مبدأ للعصر الفلكى للمصريين وفى هذه السنين تطابقت السنين الاعتيادية ٣٦٥ والسنة الشمسية وبواسطة حسابات الفلكى الشهير بيوت علم ان هذا التطابق النادر كان قد حصل فى سنة ١٣٠٠ قبل المسيح ومنه يعرف ان جلوس رمسيس الثالث على تخت الاريكة المصرية كان سنة

١٣١١ ق م

وقد قرأ العلامة (شاباس) على ورقة من البردى عبارة يستدل منها على انه فى السنة التاسعة من حكم الملك (منقرع) حصل شروق الزهرة وبما انه عندنا جملة نقط مبدأ معينة لجملة شروقات للزهرة فبالحساب نجدان السنة التاسعة من حكم هذا الملك هو محصور مابين ٣٠٠٧ و ٣٠١٠ ق م ويرى من هذه الحالة ان زمن العائلات الاولى كان زمنا بعيدا جدا ولكن هذه الطريقة ليست مقبولة الا احتياطا فقط لانها تعين الكرونولوجيا المصرية بواسطة ارصادات فلكية هى من الضرورى غير مضبوطة ومع ذلك يمكنا أن نقول على رأى ماريت باشا ان فرق من ٧٠٠ الى ٨٠٠ سنة فى مثل هذه الاحوال ليست الا نتيجة خطأ من المحتمل صحته

الآثار

لاريب ان قدماء المصريين هم أول أمة لها الفضل الاوفر على ماعداها من الامم اذ علمتهم مبادى التمدن وأخرجتهم من مفاوز الجهالة وكهوف الهمجية الى علم الظهور والارتقاء وملوكهم هم الجبارون الذين لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب وهم الملوك الذين أثاروا الارض وعمروها وبنوا المدائن وحصنوها وجعلوا فيها القصور الشاهقة والمبانى العالية والمسلات الشامخة ورفلوا فى حلل المجد والفخار اكثر من سبعين قرنا يشهد لهم بذلك ماعثرنا عليه فى القبور من موتاهم والآثار العديدة وخصوصا الجبانات العظيمة فهى الشاهد العدل والدلائل القاطعة اذ هى الآن بمثابة الكتب الضخمة وكذا الهياكل والمعابد كل ذلك يدلنا على فضل الامة المصرية وتفاصيل عوائدهم وأخلاقهم فى تلك الازمان الغابرة والآثار العجيبة التى لاعداد لها تعرب عن فخر الفراعنة الذين شيدوها فاننا نرى منقوشا على

جدران

جدران هياكل طيبة وغيرها باطنا وظاهرا وعلى سطوح المسلات وداخل الدهاليز نصراتهم وفتوحاتهم وبها رسومات تدل على سطوتهم وعلى طاعتهم لآلهتهم وكذا المومیات تدلنا على عيشتهم الخصوصية الافرادية وان كانت فى بعض الاحيان لا تخلو من المبالغة والغلو وكذا تعرب عن عيشتهم التى كانوا يرغبونها فى دار الآخرة والبقاء فصوروا رفاتا وأصبحوا الاترى الامساكنهم وآثارهم التى ازينت بها متاحف أوروبا وهو ما ودار التحف المصرية خصوصا التى أسسها الفاضل الفرنساوى المسيو ماريت باشا بولاق ونقلت الآن بسراى الجيزة وهى الآن مشحونة بما صنعته يد الحرف والصنائع القديمة

ومن الآثار التى اعتبرت أساسا للمعلومات التاريخية التى تحصلنا عليها هى

﴿أولا﴾ اللوح البردى الملوكى المحفوظ الآن بمدينة تورين (بايطاليا) ولو كان هذا اللوح باقيا على حالة تمامه الاولية لاصبح أنفس أثر يوجد لعلم الآثار القديمة المصرية المعروف عند الفرنج باسم (الارشيولوجيا المصرية) وهو يشتمل على رسومات حقيقية وتراقيم لملوك مصر فى سالف العصر من منذ أقصى العصور الاولية الغابرة مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لدا عى ان ذيل هذا اللوح مشطور وهو محرر فى عهد الملك رمسيس الثانى أعنى فى أبهى العصور وأبهجها فهو اذن متصف بجميع الشروط التى تجعله من المستندات الرسمية ليكون لعلم التاريخ اعانة قوية حتى انك ترى أمام كل ملك رقم مدة ولايته وبعد كل عائلة رقم مدة حكمها بتمامه الا انه لسوء الحظ ليس الا قطعا متفرقة تبلغ ١٦٥ قطعة لم يمكن من ترتيبها كما كانت عليه فى الاصل

﴿ثانيا﴾ قاعة الاسلاف وهو أثر وجد بهيكل الكرنك ومحفوظ الآن بدار التحف الملوكية بباريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجد مصورا على جدرانها صورة الملك طوطمیس الثالث على هيئة المتنسك أمام ستين ملكا من أسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف ومما يجب التنبيه عليه

ان المصور الذى عنى برسم هؤلاء الملوك لم يلتفت الا الى حسن التصوير والتزويق لا الى ترتيبهم وتعاقب أزمانهم ومنه استفيد ضبط أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية ولولم يعتريه التشويه لكان هذا الاثر أنفع من غيره لعلم التاريخ

﴿ثالثا﴾ جدول ابيدوس وجد هذا الاثر باطلال مدينة العربة المدفونة ونقل الآن الى انتيكخانة لوندره وهو تصوير حالة تنسكية وهيئة تعبدية مركبة من جملة ملوك فراعنة غير مرتبين لاسباب مجهولة ولداعى ما اعتراه من التشويه كاد أن يكون لا قيمة له فى التاريخ ولكن الميوماريت عثر على نسخة أخرى منه فى احدى هياكل المدينة المذكورة مؤرخا من عهد الملك سيتوس الاول أتم من الاولى فجاء هذا اللوح محققا لما رواه مانيتون من أسماء ملوك عائلات فرعونية من العائلات الستة الاول

﴿رابعا﴾ أثر سقارة عثر عليه أيضا ماريت باشا وهو محفوظ الآن بدار الآثار بالجيزة وبه تأكد ما وجد بجدول ابيدوس الجديد ووجد فى مقبرة أحد القسس الذين كانوا موجودين فى عصر رمسيس الثانى واسمه (تونارى) والى غير ذلك من الآثار التى تحقق لنا فخر المصريين وتقادم عهدهم وتمدنهم وارتقاءهم فى هذا العالم الدنيوى وبذلك نعلم أيضا أن لا يوجد تاريخ أمة من الامم محرر على مستندات حقيقية أثرية وأقوال مؤرخين محققين ورواة مدققين أكثر من تاريخ الامة المصرية ومما ساعد كثيرا على كشف أسرار هذه الآثار الكفرية فك رموز اللغة الهيروغليفية الآتى ذكرها

اللغة الهيروغليفية

اعلم ان اليونان والرومان لم يشتغلوا بشئ من أمر اللغة البربائية التى كانت تتكلم بها اسكان مصر لغاية مدة حكمهم فلذلك طرحها الكتاب من أفكارهم

أفكارهم فأصبحت سرا مكنونا وحجابا مستورا مصونا حتى وفد على مصر علماء فرنساويون صحبة التجريدة الفرنساوية التى غزى بها بونابارت الديار المصرية سنة ١٧٩٨ ميلادية ففى سنة ١٨٠٠ ميلادية بينما كان الضابط الطوبجى المسيو بوسار دمشتغلا بالحفر جهة رشيد لانشاء المتاريس والاستحكامات للتحصن هناك عثر على حجر منقسما الى ثلاثة أقسام ﴿القسم الاول﴾ مكتوب بالقلم الهيروغليفى الذى كانت تستعمله الكهنة فى الكتب المقدسة ﴿والقسم الثانى﴾ مكتوب بالقلم الديموطيقى الخط المعتاد ﴿والقسم الثالث﴾ الاسفل بالخط اليونانى ومكتوب فى آخره انه ترجمة ماسبق بالخط البربائى فأخطر هذا الضابط جمعية تقدم المعارف الفرنساوية بهذا الحجر المشتمل على أمر عال صادر من بطليموس الخامس فتلاعبت أفكار العلماء بحل مايكنه هذا الحجر وسموه (حجر رشيد) ومازال جملة من علماء أوروبا يتعاقبون الواحد بعد الآخر فذهبت أعمالهم سدى ولم تأت بأدنى فائدة غير ان العلامة (زويجا) اقترح ان أسماء الملوك عند قدماء المصريين كانت توضع فى نوع مستطيل ضلعاه الصغيران قوسان سماه خرطوش واستمر ما اشتمل عليه هذا الحجر مكنونا زمنا طويلا غير ان المعلم الانكليزى يونج استخرج بعض الحروف الهجائية وظهر بعده الشاب ذو القريحة الوقادة الذكى الفطنة الفرنساوى حنا فرنسيس شمپوليون فاشتغل منذ شبيبته بتعلم اللغات الشرقية وخصوصا القبطية ومارس كثيرا من النقوش الاثرية الى ان عرف ان الخط البربائى ليس الا كاللغات الاخرى ذات علامات يتلفظ بها كالحروف وانه يكتب على ثلاثة أشكال خط هيروغليفى وهو الخاص فى الغالب بالاديان وخط هيراطيقى وديموطيقى وهما مختصر الخط الهيروغليفى كالنسخ والرقعة والديوانى فشرع فى سنة ١٢٣٨ هجرية فى استخراج ماتوقفت فيه العلماء فى مدة سنتين استخرج جملة حروف هجائية والطريقة التى اتبعها هى انه لما وجد فى النص اليونانى

اسم بطليموس أخذ ما يقابله من الخرطوش المدون فى الخط البربائى الذى تحته فبمقابلة هذين الخطين عرف الحروف الاصلية من الزوائد ثم قابل ما عنده من الحروف باسم كليوبطره فاستخرج بعض حروف أخرى وهكذا اسم اسكندر الاكبر وبساميتيك وتحوتمس حتى عرف الحروف الهجائية ثم بقى عليه مسئلة معضلة أظهر فيها هذا العالم مايدل على رفعته وقدره وحدة ذكائه وهى معرفة اللغة نفسها اذ ماذا يفيد النطق بالالفاظ مع جهل المعنى فما زال يطابق الثلاثة خطوط المرسومة على حجر رشيد على بعضها الى ان استخرج بعض علامات أخرى وهكذا سلك أسلوب الترقى من المعلوم للمجهول حتى ابتدع فن الكتابة المصرية القديمة المعروفة بالبربائية أو الهرمسية وألف لها آجرومية شبيهة بالاجرومية القبطية وقاموسا لهذه اللغة ومع كل فلم يسلم من سهام النقد والتنديد حيث خطأه كثير من العلماء ومع كل فانه لما مات شمپوليون سنة ١٢٤٩ هجرية سنة ١٨٣٢ ميلادية اشتغل كثير من العلماء بتعلم هذه اللغة مع كثرة المناقضة فيها ولم تزل الى الآن الناس تشتغل بالقلم المصرى حتى صار الآن مربوطا بقواعد وأحكام غير منقوضة ولم تزل تزداد بزيادة هؤلاء الطلبة وبهذه الطريقة عينها حلت العلماء الاوروپاويون اللغة الآشورية والبابلية المعروفة بالحروف الزاوية الشكل العلامة جروتيفان سنة ١٨٠٢ والعلامة اجين برنوف مع ما كان عندهما من لغة السنسكريتى فالاول كان موضوع بحثه اسمين علمين دارا واكزركسيس والثانى صحيفة وجدت فى جبل الفان على مقربة من استخر وكذا غيرهم من العلماء وقد قرئت الصحائف واتضحت كمال الايضاح وتحصلوا على حروف الهجاء خلا بعض علامات اعتراها بعض التغيير من حيث المعنى

فواعجبا من جد هؤلاء الاغراب فى كشف رموز هذه اللغة وابراز تاريخنا من عالم الخفاء الى عالم الظهور ونقاعدنا عن مثل هذه الاعمال وغيرها

انى

التى نحن أحق بها من غيرنا

العصور

قسم مؤرخو الفرنج العصور الى ثلاثة أقسام وهى الاعصار الاولية والاعصار الخرافية والاعصار التاريخية

أما الاعصر الاولية فهى المدة التى ابتداؤها خلق الانسان وغايتها حادثة الطوفان ولذلك انها عندهم منقسمة الى فرعين المدة الدنيوية والمدة الطوفانية

والاعصر الخرافية هى المدة التى ابتداؤها تفرق الامم وتبلبل الالسن وبناء المدن وتأسيس الممالك ببلاد الصين ومصر واليونان الى ظهور الانبياء المرسلين والشعراء المشهورين ووضع أساس العالم الدنيوى ولذلك قسمها مؤرخو الاوروبيين الى أزمان وثنية وأزمان بطلية (نسبة للشجاع البطل) وأزمان نبوية أو شعرية فأول الازمان هو الذى كانت فيه مصر واليونان وغيرهما مياالين لترقية ملوكهم الى رتبة الآلهة والثانى الزمن الذى ظهرت فيه الجبابرة الذين شنوا الغارات وأسسوا المدن والثالث ظهور الانبياء الكرام والشعراء المعتبرين كالخليل ابراهيم وموسى عليهما السلام وشعراء اليونان

وأما الاعصر التاريخية فهى الازمان التى أخذ فيها علم التاريخ فى الظهور وهذه المدة تنقسم الى جملة أقسام منها المدة التشريعية أى الزمن الذى ظهر فيه المشرعون كلكورغه فى اسبارطه وسولون فى أتينا ونوما بومبليوس فى روما (ثانى ملوكها) وكونفسيوس ببلاد الصين وغيرهم ومنها مدة فخار اليونان ومدة اختلال الجمهورية الرومانية

مصر الاصلية

اعلم ان هذا الوطن العزيز والبلد الامين الذى حكى الفردوس ماء وزرعا صاحب الخيرات الوافرة والفيض العميم كان فيما سلف من الاعصار

خاليا من القرى والامصار وكان الوجه البحرى الذى هو أبهى وأبهج وأزهى وأزهر الاقاليم المصرية وأعمرها الآن تعلوه المياه وقد امتدت تيارات البحر الابيض الى أمد بعيد وتلاطمت أمواجه بالسهول المرملة التى بها الاهرام الآن وكانت مصبات النيل تنتهى الى قرب منفيس والدلتا مغطاة بعضها بماء النيل والبعض الآخر بمياه الملح وبها بعض جزائر ينبت فيها البردى والغاب وعلى يمينها وشمالها كان يغير النيل بلا انقطاع مجراه الاصلى وأما أراضى الشاطئ فكانت جدبة رملية ليس بها ماء ولا زرع ولا نبت ولا ضرع ومازال حتى عرف الناس حفر الترع وصنع الجسور وتنظيم النيل وحمل مياه الرى الى أراضى الوادى البعيدة فجاءت مصر بصنع أهلها مملكة مستعدة وأرضا جافة تزرع بعد ان كانت بحورا جرية بالاقلاع وأوجد النيل أراضى مصر وأخرج لها منظرا عاما يفيض عليه مياهه كل عام وصار النيل على توالى الاعصار يحمل من أقصى الاقطار وجبال الحبش وبحيرات خط الاستواء رمالا ومواد طينية وجيرية حتى ارتفعت الارض وردمت الخليج الذى كان أوجده البحر بالوجه البحرى ونشئ من ذلك سهل عظيم به مستنقعات يتخللها برك ومن بينها يأخذ النيل مجراه على الدوام ثم تكونت أراضى الدلتا على شكل مثلث رأسه تقرب من منفيس وضلعه الثالث المتعرج المتباعد نحو الستين فرسخا من الرأس ينتهى بشمال اطلال اتريب (بنها العسل الآن) ثم بعد ذلك أخذ النيل فى ردم الاراضى بطميه حتى تراكمت فى شمال الدلتا فاندفعت بجملتها فى الانحدارات ومازالت تتسع الارض كما فى أيامنا هذه بما يجلبه النيل شيئا فشيئا من أقاصى افريقا وأما مدة تكون الاراضى بمصر فمجهولة الحال حيث قال الاقدمون انها أزمان طويلة جدا وأما العلماء الحاليون فقالوا انها تبلغ ثلاث آلاف أو أربع آلاف سنة

الباب الاول فى تاريخ مصر

اعلم ان تاريخ مصر هو تاريخ أهل الفلسفة والبراعة والقوانين والسياسة فان مصر حفظت لرتبتها العلية مدة سبعين قرنا ولما دخلت تحت حكم لدولة اليونانية والرومانية لم يزل فضلها باقيا اذ فاقت من عداها بقوة العلم

وينقسم تاريخ مصر الى قسمين عظيمين الاول قبل الاسلام والثانى بعده أما قبل الاسلام فينقسم الى فرعين أحدهما الزمن الذى فيه أهل مصر كانت عاكفة على عبادة الاصنام والثانى اشهار دين المسيح عيسى عليه السلام وأما بعد الاسلام فهو معتبر من ابتداء فتح مصر بالاسلام سنة ٢٠ من الهجرة فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب الى عصرنا هذا

تاريخ مصر قبل الاسلام

اتفق المؤرخون على ان أول ملوك مصر بعد الطوفان كان يدعى (منيس أومنا) وقد قسم مانيتون المؤرخ المصرى تاريخ مصر القديم الى ثلاث طبقات والى احدى وثلاثين عائلة وهم المعروفون عند مؤرخى الاسلام بدول الفراعنة

الطبقة الاولى وأولها العائلة الاولى وغايتها العائلة الحادية عشرة
الطبقة الثانية وأولها العائلة الثانية عشرة وغايتها العائلة الثامنة عشرة
الطبقة الثالثة وأولها العائلة الثامنة عشرة وغايتها العائلة الحادية والثلاثون ونتكلم على تاريخ مصر فى سالف العصر على هذا الترتيب فنقول

تاريخ مصر القديم لغاية افتتاحها بالاعجام

﴿أى عصر الفراعنة﴾

﴿الطبقة الاولى﴾

﴿العائلة الاولى الطينية﴾

رأس هذه العائلة هو منا المذكور ومسقط رأسه مدينة ابيدوس (العربات المدفونة) وكان فى مبدأ أمره قائد الجيوش المصرية فى زمن الكهنة (طائفة الحرشسو) ثم قام وحاربهم وأخذ الملك من يدهم وترك مدينة طيبة وأسس مدينة منف أو منفيس سنة ٥٧٠٠ ق م (الآن البدرشين وميت رهينة) وجعلها مقر دولته وقاعدة سلطنته ولم يمض عليها برهة من الزمن الا وصارت مركز التمدن والمعارف وهو الذى سنّ القوانين ونظم السياسة ورتب الديانة وقسم مصر الى أقسام كل منها يسمى (نوم) وحوّل النيل عن مجراه الاصلى ولذلك صنع جسر قشيشة وجعله يجرى فى وسط الوادى وغزى سكان ليبيا وأدخلهم تحت الطاعة ومات بعد ان حكم ٦٢ سنة وقد ضربنا صفحا عن من أخلفه لعدم شهرة أعمالهم وجملة ملوك هذه العائلة تسعة

﴿العائلة الثانية الطينية﴾

أشهر ملوك هذه العائلة الملك (بينوسيريس) وهو الذى أبدع قانونا جوّز فيه للنساء الجلوس على سرير الملك قاصدا بذلك عدم خروج الملك من العائلة الملوكية وحاصل هذا القانون ان الملك اذا مات وكان له أولاد ذكور كانوا أحق بالملك وان لم يكن له ذكور أو انقرضوا كان أحق بالملك بناته وان كل ملك توفى عن زوجة ولم يكن له ولد أو كان له ولد قاصر تولت الملك بعده زوجته بشرط أن لا تتزوّج غيره بعد موته فان تزوجت غيره من ليس له الحق فى الملك لا يجوز لزوجها هذا ان يكون ملكا وانما يكون لذريته منها فيعطى لهم منصب الملك وصرح الملك (بينوسيريس) فى قانونه ان سلاطة الملوك على رعاياهم هى حقوق وجبت عليهم أداؤها نيابة عن المعبودات وبالغ فى هذا الامر على زعم ان دماء المعبودات سرت فى عروق جسده وبذا جعل لنفسه السلطة المطلقة على سائر رعيته ولقب نفسه بابن الشمس المعبودة لهم ليثبت ذلك لنفسه ولمن كان من

نسله

نسله من الملوك ان لهم القرابة بينه وبين المعبودات واقتدت به الملوك بعده الى عهد الرومان

وأخذ قدماء المصريين من هذا القانون ان كل من أراد تأسيس عائلة ملوكية ووصلها بالعائلة التى قبلها فليتزوج من نساء الملوك أو يأخذ منهن لاولاده لوصل القرابة بينهما

﴿العائلة الثالثة المنفية﴾

أول ملوك هذه العائلة هو الملك (نفرقرع) فى مبدأ حكمه خرجت عليه سكان صحراء ليبيا فغزاهم وأدخلهم تحت طاعته حينما شاهدوا حادثة خسوف القمر لظنهم ان الله غضب عليهم ولما انتهى الحرب استتبت الراحة وانتشرت العلوم بين العباد واتسعت دائرة الصنائع والفنون فى سائر البلاد وأما باقى ملوك هذه العائلة لم تعلم لهم آثار مخصوصة بل تزايدت ثروة المملكة وتزايدت مبانيها فمن تلك المبانى أبو الهول الموجود الآن بين هرمى الجيزة ويسمونه بشمس الافقين

ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من اهرام الجيزة ويعرف الآن بالكنيسة وهو من بدائع عصرهم ومحاسن صنعهم لكونه مبنيا بالحجر الصوان المنحوت

﴿ذكر ما آثر الملك سنفرو﴾

لما تولى ملك مصر صار محسنا لاهل مملكته وفى مدته قامت عليه سكان جبل الطور فتوجه لقتالهم وقهرهم وأخذ أرضهم وبنى فيها قلاعا وحصونا وديارا وبيوتا وجعل فيها رجالا تستخرج له المعادن والاحجار النفيسة ولقب نفسه ألقابا وهى أولا الحاكم ثانيا صاحب التاجين تاج العقاب وتاج الثعبان ثالثا المنصور الظافر باعدائه رابعا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى وختم ذلك بجملة أدعية وهى دام بصحة وعافية ولما عاد الى مصر بعد هذه الغزوة بنى قلاعا فى حدود الدلتا استمرت الى عهد العائلة الثانية عشرة ولحبه لرعيته عبدته المصريون بعد وفاته

واستمرت على ذلك الى عصر البطالسة وأما باقى ملوك هذه العائلة لم يكن لهم آثار تدل على تاريخهم بل ماورد عن المؤرخ مانيتون يفيد ان فى مدتهم تزايدت ثروة المملكة وتكاثرت مبانيها فمن تلك المبانى جملة مقابر كانت سكان منف تدفن بها موتاهم وكانت تلك المقابر تبعد عن منف بمقدار خمسة آلاف متر من الجانب الغربى ومن مآثر هذه العائلة التمثالان الموجودان بمتحف الجيزة (دار الآثار القديمة) أحدهما تمثال (راع حتب) والثانى تمثال زوجته (نفرت) المتخذان من حجر واحد وعليهما نقوش تدل على ان (راع حتب) كان الكاهن الاكبر لمدينة المطرية وقائد الجيوش المصرية وان زوجته (نفرت) أعنى الجميلة حفيدة ملك لم يعلم اسمه

﴿العائلة الرابعة المنفية﴾

حكمت هذه العائلة من سنة ٤٩٠٠ ق م الى سنة ٤٨٠٠ ق م وأشهر ملوكها الملك خوفو الآتى ذكره

﴿ذكر مآثر الملك خوفو﴾

فى مدة حكمه قد استنار تاريخ مصر ولا سيما بتكاثر العمارات الشهيرة التى أعظمها الهرم الاكبر الذى بناه هذا الملك سنة ٤٩٠٠ ق م وهو الكائن بجوار الجيزة وهو أقدم عمارة فى الدنيا بعد برج بابل و يبلغ ٧٥ ر ٤٥٠ قدما وعرضه ٦٧ قدما وقد بناه فى مدة ٣٠ سنة عشرة فى قطع الاحجار وعشرون فى تشييده ولم يكن هذا الهرم موضوعا وضعا حيثما اتفق بل هو موضوع كمزولة يعرف منه أول يوم فى السنة كما أثبت ذلك سعادة المرحوم محمود باشا الفلكى وكتب فى ذلك رسالة صغيرة ولم تكن همة هذا الملك قاصرة على تشييد العمارات فقط بل كان محبا للغزو والجهاد و يرى فى وادى مغارة (قريبا من عيون موسى بجزيرة جبل الطور) مصورا على شكل مقاتل يقمع بنى عون (قبيلة من عرب البدو الذين كانوا يتعدون على حدود مصر من جهة الشرق) وقد دعت اليونان

هذا

هذا الملك فى كتبهم بانظالم ادعاء منهم على انه حمل رعيته على نقل أحجار هرمه من صحراء ايبيا وألهاهم عن العبادة وأمر بغلق الهياكل والمعابد وهذا كذب لا أصل له بدليل ماثبت من ان هذا الملك أهدى هدايا ثمينة للمعبودات المصرية وانه استعمل فى بناء هرمه الاسرى الذين أسرهم من بنى عون السابق ذكرهم وهذه عادة عند جميع الملوك وحكم ٦٨ سنة واستولى بعده الملك خفرع أوكفرن وهو البانى للهرم الثانى البالغ ارتفاعه ٤٤٧ قدما واستولى بعدهما الملك منقرع أومنقريوس وهو البانى للهرم الثالث البالغ ارتفاعه ٣٠٢ قدما وكان ملكا عادلا وقد ألف فى أيامه عدة كتب فى علم التيولوجيا أى علم اللاهوت (الديانة)

وأشهر ملوكها أيضا الملك سبسقاف وهو أحد المشرعين الخمس ورتب الديانة ترتيبا جديدا ودون علم الهندسة ورصد الكواكب وسن قانونا للقرض جوز فيه ان كل انسان له ان يقترض مايشاء ممن يشاء بشرط أن يرهن جثة أبيه عند المقترض وأذن له ان يتصرف فى قبر المديون حتى يوفيه دينه فانه لم يوفيه اياه حرم من الدفن هو وذريته بعد موتهم

﴿العائلة الخامسة الاسوانية﴾

لم يكن لها ملوك يستحقون الذكر فلذلك ضربنا صفحا عنهم وعدد ملوكها تسعة

﴿الطبقة السادسة الاسوانية﴾

أشهر ملوك هذه العائلة (ماري بي أوماري بيوس) وهو الذى حارب السودان وأدخلها تحت الطاعة حينما مدوا أبصارهم الى ملك مصر واستخرج من جبل الطور معدن النحاس والتوتيا والفيروزج وتحارب مع عربان جبل الطور الذين كانوا يشنون الغارات داعًا على أطراف مصر من تلك الجهات وأجلاهم عن أرضهم وصنع الطريق الموصل من بندرقنا الى القصير واستخرج من وادى الحمامات الذى بتلك الجهة

أحجارا كريمة خصوصا الزمرد

﴿ذكر الملك منتصاف﴾

ومن ملوك هذه العائلة الملك منتصاف ولم يحكم الا سنة واحدة وقتله أعداؤه

واستولت بعده أخته السمماة نيتوكريس وكانت زوجته أيضا وأضمرت على أخذ الثار من قاتلي أخيها الذى هو زوجها فشيدت سراى تحت الارض وسلطت عليها ماسورة من النيل ودعت قاتلي أخيها اليها فبينما هم على المائدة يأكلون اذ فتحت عليهم ماسورة الماء فأغرقتهم عن آخرهم ونحوفها على نفسها من الانتقام أنقت نفسها فى النار فاحترقت ودفنت بالهرم (الاصغر بالجيزة) حيث تممت بناءه وكانت مدة حكمها عشرة سنين

﴿العائلة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة﴾

اعلم انه بانقراض العائلة السادسة لا يعرف شئ من التاريخ بخصوص هؤلاء العائلات وغاية مانعرفه هو ان تخت مصر كان فى مدينة هرقليوبوليس وهى المعروفة الآن باسم (اهناس المدينة)

﴿العائلة الحادية عشرة الطيبية﴾

لم يكن الملوك هذه العائلة شئ من الآثار يستحق الذكر وعدد ملوكها ستة عشر

﴿الطبقة الثانية﴾

﴿العائلة الثانية عشرة﴾

﴿ذكر الملك أوزرتسن الاول﴾

وهو صاحب المسلة الموجودة الآن بالمطرية أمام هيكل الشمس ويبلغ ارتفاعها ٢٠ مترا وكسورا ومكتوب عليها ماصورته

العظيم معطى الحياة لكل مولود ملك الصعيد والبحيرة دام بقاء أوزرتسن بن الشمس محب اله بلد الشمس صاحب التاج معطى الحياة

لكل

لكل موجود صنع هذا الشغل العظيم وأنهاه فى يوم عيده الاكبر لتخليد ذكره على ممر الدهور والاعوام

وأقام مسلة أخرى بقرية بجيج بالفيوم وقد حارب السودان وهو أول من بنى أساس هيكل الكرنك بالصعيد بمدينة طيبة ويرى اسمه منقوشا على مبنى قديم جهة الشلال الثانى ويلقب باسم الملك المنصور على أمة القوس والنشاب وجلب الذهب من بلاد السودان وجعله فى خزينة مدينة (قفط) بالصعيد

﴿الملك أوزرتسن الثالث﴾ كان هذا الملك صاحب حزم وعزم حتى عبدته الناس بعد موته وقد جرد جملة تجريدات حربية لمقاتلة العبيد جنوب مصر وشيد بوادى حلفة استحكامات لمنع تعدى العبيد على مصر منها قلعتان يعرف اطلالهما الآن باسم سمنة وقنة وكتب على حجر هنالك ماصورته (ان هذا الحجر هو آخر حدود مصر من جهة الجنوب ولا يسوغ لاحد من أمة الزنج ان يتجاوزه الا اذا كانت سفنه مشحونة بالثيران والمعز والحمير)

﴿الملك امنمحا الثالث﴾

ويسمى أيضا امنمحعت الثالث وهو الذى نظم جسور النيل وحفر الترع العظيمة وصنع البركة المعروفة عند الجغرافيين باسم (بركة موريس) بالفيوم وصنع بوسطها هرمين يعلوهما صورته وصورة زوجته وهو الذى بنى هرم اللاهون وحفر الترعة المعروفة الآن باسم بحر يوسف بالفيوم وشيد سراى بها ١٥٠٠ أودة تحت الارض و ١٥٠٠ فوقها وأعدها مجلسا لاعيان مصر والكهنة ليتداولوا فيها فى الامور السياسية والمنافع العامة وهى المعروفة الآن باسم سراى (البرنت أو التيه أو البرية) وقد بنى هذا الملك مقياس النيل بوادى حلفة وموجود اثره الى الآن وانتظمت أحوال مصر فى مدته واشتهرت بالعلوم والصنائع وأتقن فن البناء ونحت الاحجار

وأما العائلة الثالثة عشرة والرابعة عشرة لم يعلم لهما شئ من الآثار والاولى تختها طيبة والثانية سخا

﴿العائلة الخامسة عشرة﴾

هذه العائلة مجهولة الحال أيضا غير ان عرب الرعاة أغاروا على مصر فى مدة حكمهم ونزعوا الملك منها وجعلوا تخت حكمهم مدينة منفيس

﴿ذكر عرب الرعاة أو الهكسوس﴾

ذكر المؤرخون ان قبائل الهكسوس كانوا اخلاطا من العرب وأهل الشام والكنعانيين وكانت قبائل رحل نزل أغاروا على مصر (٢٢١٣ ق م) من جهة الشمال الشرقى واستولوا عليها وقتلوا العباد وأحرقوا البلاد وخربوا الهياكل ونهبوا ما كان بها ورحل بعض الوطنيين الى الصعيد وسكنوا بمدينة طيبة وأما عرب الرعاة فقد اختاروا ملكا عليهم يدعى سلاطيس فبادر بتشييد القلاع والحصون فى الجهات التى يخشى عليها وفى عصر هؤلاء الاقوام تكاثر ورود أهل آسيا واتخذوا منهم جنودا ليكونوا لهم أعوانا عند الشدائد ولم يمض على العرب زمن طويل الا وتدينوا بدين المصريين وتركوا الغلظة والفظاظة وشرعوا فى احياء التمدن ونشر العلوم بعد ما تعلموا القراءة والكتابة وفى أيام هؤلاء الامم وفد يوسف الصديق على مصر وبيع فيها ودخل بعد ذلك فى خدمة الدولة المصرية ومازال يترقى الى ان صار عزيزها والقصة مشهورة ثم جاء يعقوب عليه السلام وأولاده الاحد عشر فأنزلهم يوسف عليه السلام جهة الشرقية وأقطعهم وادى غسان وهو المعروف برأس الوادى ثم قامت الحروب على قدم وساق بين المصريين وأمة الهكسوس ولم تتمكن المصريون من اجلائهم عن بر مصر الا فى مدة الملك احميس رأس العائلة الثامنة عشرة

﴿الطبقة الثالثة﴾

﴿العائلة الثامنة عشرة الطيبية﴾ ١٧٠٣-١٤٦٣ ق م

الذين

الذين حكموا من هذه العائلة أربعة عشر ملكا ومدة حكمهم ٢٤١ سنة ظهرت هذه العائلة من مبدأها بأقوى مظهر وتفاخرت بانفرادها بالشوكة الملوكية والسطوة الاهلية ومن أشهر ملوكها الملك احميس الذى طرد عرب الرعاة بعد ان مكثوا بمصر أكثر من خمسة قرون وكانت زوجته اتيوبية ولذلك انقادت له أهل الاتيوبيا وصارت له الكلمة النافذة على كل مصر من الشلالات لغاية البحر الابيض المتوسط

﴿كيفية طرد عرب الرعاة﴾ (١٧٠٣ ق م)

هى ان هذا الملك تحارب مع عرب الرعاة فانهزم منهم وفر هاربا الى بلاد السودان وتزوج بابنة ملكها فعاد مع عساكر سودانية متحدا مع قواد العساكر المصرية وقامت الحروب على قدم وساق بين الطرفين فانهزمت أمة الهكسوس والتجأت الى قلعتهم المسماة أواريس فحاصرهم الملك احميس بها وتم الامر أخيرا بخروجهم بشرط أن يأخذوا جميع ما يمتلكونه من برّ مصر وخرجوا منها واقتفى أثرهم الى ان أدخلهم أرض كنعان وتخلفت منهم طائفة مكثت بين صحراء مديرية الغربية وفروع النيل الشرقية وهم القاطنون الآن حول بركة المنزلة وحرفتهم صيد السمك وقنص الطيور واجتهد هذا الملك فى تشييد العمارات والمبانى الجسيمة وفى ترميم ما دمرته جماعة الرعاة ويرى اسمه منقوشا فى جبل المعصرة يستفاد منه ان هذا الملك قطع أحجارا من محاجرها وانتخب أنجارها البيضاء لتشييد جملة هياكل ومبانى

﴿ذكر مصر وشوكتها بعد أمة الهكسوس﴾

قد علمنا ان الملك احميس هو الذى طرد عرب الرعاة وقد اعتبرته المؤرخون مؤسس الذرية ملوكية وهى العائلة الثامنة عشرة لداعى الانقلاب الذى أحدثه لاجلاء جماعة الرعاة من أرض مصر وكان كل من جلس على سرير الملك بعد احميس المذكور كان يعرف باسم طوطوميس أو امنحتب وكانوا ملوكا ذوى غزو وفتوحات حتى أدخلوا البلاد تحت طاعتهم

وقهروا العباد واستولوا على الممالك الواسعة وافتتح لهم فى تاريخ مصر باب عصر جديد كما هو آت

﴿ذكر الملك امنحتب الاول﴾

لما جلس هذا الملك على سرير الملك بعد احميس وسع حدود مملكته فى بلاد الاتيوبيا التى كانت تسمى باسم بلاد (الكوش) ومن وقتئذ صارت كلمة ملك الكوش عنوان لولى عهد مصر

﴿ذكر الملك طوطوميس الاول﴾

لما تولى هذا الملك قويت أطماعه فى توسيع دائرة مصر فاستمر يحارب جنوبا وشمالا فتحارب مع أهل الاتيوبيا وامتدت حكومته الى محاجر مدينة (اتبو) بوسط النوبة بدليل وجود اسمه منقوشا هنالك وفى عصره اتسعت حدود مصر فكانت تمتد جهة الجنوب الى جبل (ايتا) بالحبشة وجهة الشمال الى آخر أساكل أهل آسيا وكانت بلاد الاتيوبيا منبع الثروة المصرية بكثرة بضائعها وصنائعها ومعادنها وبعدان أدخل النوبة تحت طاعته ورتب فيها الحكام زحف بجيوشه على القوم القاطنين بين نهر الدجلة والفرات فانتصر عليهم ولهذا الملك جملة عمارات منها تشييد جزء من معبد (امون) بالكرنك ومسلتان احداهما بباب المعبد والثانية ضاعت وفى أيامه جلب المصريون الخيل معهم ولم تكن معهودة قبل الآن فى بر مصر وتعلموا من (أمة الرطنو) صنع العربات الحربية وصارت من وقتئذ من المهمات الحربية المصرية ومع انهزام سكان آسيا وخضوعهم لملك مصر فانهم حافظوا على قوانينهم ودياناتهم وانحصرت عبوديتهم فى تقديم جزية سنوية لفراعنة مصر

﴿ذكر طوطوميس الثانى﴾

فى أثناء حكمه أرسل جيوشا لبلاد الشام والاتيوبيا فبايعوه من غير حرب وقهر الاقطار السودانية التى كانت قائمة وأدخلهم تحت طاعته وصير بلادهم من الشلال الاول الى بلاد الحبشة ولاية مصرية بعدان

كانت

كانت مستقلة وعين عليها مأمورين من طرفه وتوفى بدون أولاد ذكور فورثه أخوه طوطوميس الثالث ولكونه كان قاصرا قامت أخته حمتشبسو بالنيابة عنه

﴿ذكر الملكة حمتشبسو﴾

وتسمى أيضا الملكة حتزو ولما تولت الملك شرعت فى تشييد هياكل ومبانى سمتها باسمها وحافظت على الوجه القبلى والبحرى وأخذت الجزية من سكان سوريا الشمالية وحاربت بلاد (بون) بجنوب بلاد العرب المشهورة بالاخشاب والذهب والفضة والعطريات وذلك لتوسيع مملكتها ولهذا الغرض عملت فى البحر الاحمر مراكب حربية وانتصرت عليهم ويرى على حجر بالدير البحرى (بالصعيد) أشكال السفن الحربية تشحنها رجال الاعداء منقادين بالحيوانات الغريبة كالنطرافات والقردة والنمور ومن جهة أخرى يرى أنواع الاسلحة وسبائك الذهب والنحاس وسفن أخرى تحمل صناديق أنواع الاشجار والعطريات المضمخ أسفلها بالطين لغرسها بمدينة طيبة ومن أعمالها المسلتان الموجودتان بالطلال الكرنك ولم تزل احداهما قائمة الآن وعليها كتابة بالهيروجليفى معناها انها عملت هاتين المسلتين لبقاء ذكر والدها طوطوميس الاوّل وكان على رأس كل مسلة اكليل هرمى الشكل من الذهب المغتنم من الاعداء فلما بلغ أخوها رشده أشركته فى الحكم معها الى ان ماتت

﴿ذكر طوطوميس الثالث﴾

لما تولى هذا الملك محا آثار أخته يريد بذلك محو اسمها من الدنيا وهذا الملك هو مصباح تاريخ مصر ولما جلس على سرير الملك شرع فى اخماد نيران الثورة الناشئة بأرض الشام وهزم أعداءه فى واقعة حربية عظيمة فى مدينة مجدو المعرفة الآن باسم (مجدلة) بالقرب من جبل الكرمل ثم طريق أبيه طوطوميس الاوّل لقتال الاعداء وعبر نهر الفرات وجبال أرض الجزيرة (أوالميزوبوتاميا) ويقال لها أيضا جزيرة ابن عمرو

ودخل فى مدينة نينوى وهو مظفر منصور واستولى عليها كما استولى على غيرها من البلاد العظيمة ومما يؤيد ذلك ما وجد منقوشا على لوح حجر بعبد الكرنك وهو محفوظ الآن بدار التحف بالجيزة يتضمن أخبار وقائع هذا الفاتح وغزواته يعرف الآن باسم لوح الكرنك الاحصائى وسمى بذلك لانه اشتمل على بيان عدد قتلاه وأسراه فى كل واقعة حربية ثم استولى على أغلب جزائر بحر الروم بما عدة سفن الفنيقيين (أهل صور وصيدا) ويستفاد من اللوح المذكور فتحه هذه الواقعة البحرية ففيه ان اسطوله بعد ما أخضع جزيرتى قبرص وكنديا (كريت) توجه لغزو جزائر الارخبيل الرومى وبعد ما فاز بالنصر التام عليها ملك قسما عظيما من بلاد اليونان وآسيا الصغرى والمظنون انه أدخل تحت طاعته سواحل جنوب ايطاليا ويفهم منه انه خضع سواحل ليبيا وأدخلها تحت الطاعة وقد بلغت مدة حكمه ٥٤ سنة وله كثير من الآثار الباقية الآن فى كل من مدينة هليو پوليس (المطرية) ومنفيس (ميت رهينة) ولقصر أبى الحجاج وجزيرة الفنتين (باصوان) التى بها القصر المشهور الآن باسم (قصر أنس الوجود) وجميع ذلك تشهد له بسمو القدر وعلو الشان

﴿ذكر الملك أمنوفيس الثالث﴾

فى عصر هذا الملك اشتدت الفتن فشرع فى اطفائها ونقش ذلك على تاج هيكل لقصر وكان هذا الملك ذو وقار ومهابة فى زمن الحروب محبا للتدبير والسياسة فى زمن الصلح وبذا لم تتنازل مصر فى أيامه وسمى فى تقدم العلوم والصنائع وقد وجد اسمه منقوشا على كثير من قطع الاحجار ان هذا الملك قتل من أول سنة من حكمه الى السنة العاشرة ١٠٢ أسدا ولم تنطف زهرة جنودها بدا يل ما وجد مرسوما على بعض أحجار بمتحف الجيزة ولشهرة هذا الملك بالاقطار الغربية سمته اليونان بالامنون وصنع صنمين عظيمين موضوعين فى باب هيكل لقصر أبى الحجاج يعرفان الآن

باسم

باسم شامة وطامة ولغاية سنة ٢٧ م كان لم يلتفت أحدهما الى ان حصلت زلزلة فاسقطت جزء أحدهما الاعلى وشوهدان هذه القاعدة متى سقط عليها النداء في الصباح سمع لها صوت مستطيل عند شروق الشمس فكان السياحون من اليونان والرومان يتعجبون من ذلك الى ان اعتقدوا ان صورة الملك امنوفيس هذه هي صورة شمسون أحد أرباب الاتيوبيين أبوه نيسون وأمه اورور وأنه هو الذي أعان بريامو س على اليونان في حرب (تروادة) وانه يشير بالتحية عند طلوع الشمس الى والدته اورور (أعني الفجر) ثم اعتقدوا فيه اعتقادات غير ذلك واعتقدته غالب السياحين فصاروا ينقشون أسماءهم على ساقي هذين الصنمين الى سنة ١٥٠ م حيث وفد على مصر الامبراطور ادريان ملك الرومان وزوجته الى الصعيد لسماع صوت هذا المعبود فلما عاين منه ذلك أخذته الرأفة عليه فوضع الجزء الملقى على الارض فوق قاعدته فلما امتلأت فوارغه بالمونة صار لا يسمع له صوت فاتضح ان صوته الرنان كان ناشئا عن تأثير النداء والشمس في الحجر فهي خاصية طبيعية ومتى ظهر السبب بطل العجب

﴿ امنوفيس الرابع ﴾

في عصر هذا الملك انتقل تخت المملكة من طيبة الى مدينة جديدة اختطها هذا الملك يعرف مكانها الآن بمحل يسمى تل العمارنة (بمديرية المنيا) وكان محافظا على بلاده جريا على عادات أبيه بدليل ما شوهد على الآثار من ان الاتيوبيين والشام والولايات الشرقية وجزائر البحر الابيض المتوسط كانوا يدفعون له جزية سنوية وفي مدته تجددت بمصر عبادة الشمس التي كانت معدومة من قبل عصر هذا الملك وسبب ذلك انه تزوج بامرأة أجنبية كما كانت أمه أجنبية أيضا فدخلت معها عبادة الشمس وخوفه على نفسه من الاهالي رحل من مدينة طيبة وسكن بالمدينة التي شيدها وركن الى السودان وأهر ليبيا وجعل جيشه منهم

وهدم جميع هياكل معبودات المصريين وبمجرد موت هذا الملك قام المصريون بعزم وحزم وأطفؤا بدعته الدينية ثم قامت الحروب الاهلية على قدم وساق مدة الملوك خلفائه المجهولة لنا أسماؤهم فخربت البلاد وهدمت العمارة وهيكل المعبود (آتن) الاله الجديد ومحا اسم امنوفيس الرابع من جميع المبانى وأعيدت عبادة الاله (آمون) وباقى الآلهة المصرية كما كانت

وصعد على سرير الملك بعده ملك يدعى (حرمحب) وهو الذى أطفأ نار الفتن وشرع فى ادخال السودان تحت طاعته حيث رفع لواء العصيان مدة الاضطرابات الاهلية وكذا خرج عليه سكان آسيا فشرع فى اخضاعهم ثانيا الا ان الموت حال بينه وبين أغراضه

﴿ذكر المائلة التاسعة عشرة﴾ القرن ١٤ ق م

﴿ذكر ما ثر الملك سيتوس﴾

ويسمى أيضا ستى اقتدى هذا الملك باعمال جده تحتمس الثالث أوطوطوميس فى تحصيل سمو القدر لدى مصر كما تشهد له بذلك الآثار ففى أول سنة من حكمه حارب بد ومدينة (بيتوم) الى ان أدخلهم أرض كنعان ثم توجه الى بلاد الارمن والشام وتحارب معهم حتى هزمهم ووضع عليهم حكاما مصريين ومحافظين فى جميع الاستحكامات كغزى وعسقلان وبعد ذلك حارب الفلسطينيين ولكن خرجت عن طاعته الجهات المجاورة لنهر الفرات ومن الآثار يستفاد انه حكم الاتيوبيين وأوصل نهر النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة حفرها كان فيها من تل بسطة الى ان تصب فى البحيرات المرة وأسس استحكامات فى شرق مصر وفتح طريقا فى الجبل للقوافل توصل من قرية (اراسيا) باقليم اسنا لى معدن الذهب بجبل (أتوكى) وأحدث عينا صناعية لشرب المسافرين ومات وخلفه ابنه رمسيس الثانى الآتى ذكره

﴿ذكر ما آثره رمسيس الثانى﴾ سنة ١٤٠٠ ق م

ارتقى هذا الملك صغيرا على سرير الملك فى حياة والده ولم تحسب مدة حكمه الا من بعد وفاة والده (ستى) السابق الذكر وقد سمته اليونان (سيزوستريس) وهو لقب اشتقوه له من كلمة (سيزوسترع) التى كانت عنوانا عاما لجميع فراعنة مصر وقد نسب اليه الرواة أغلب أفعال أسلافه وشابوها بقصص خرافية ونسبوا اليه أيضا حروبا وغزوات من قبيل الاكاذيب مثل غزوة بلاد فارس والهند وقد أفادتنا الآن آثاره انه كان من كبار الملوك أرباب الغزو والجهاد وكانت أجل غزواته فى سمال برّ الشام ومع حداثة سنه أرسله والده لغزو تلك البلاد وكان عمره وقتئذ عشرة سنين فغزاهم وأطاعهم ثم حارب بلاد الاتيوبيا والقبائل القاطنة هنالك على سواحل النيل فصارت تتواتر مفاخرة شيأ فشيأ الى ان نال أعظم الفضل فلما مات والده اشتغل بالملك وعزم على توسيع بلاده بالفتوحات ففى السنة الرابعة من حكمه قامت عليه سكان آسيا الشمالية وصاروا الى ان وصلوا بقرب حدود مصر فقام رمسيس بجيشه فاستظهروا عليه فى مبدأ الامر ولكن أخيرا ظفر بهم وفى حالة رجوع العساكر المصرية من هذه الحرب قام الكنعانيون وجيرانهم على الجيوش المصرية وكذلك الخيتاسيون حتى صار جميع سكان سواحل نهر الفرات الى سواحل النيل تقاتل المصريين وقد اجتمع المصريون مع أمة الخيتاس فى قاعة كدش فى وادى الجريت (وهو وادى نهر العاص بجوار عكة) فظهرت فيه بسالة مفرطة تخلدت فى بطون التواريخ وكانت سببا فى القصيدة التى ألقاها الكاتب بنتاؤر (معناها الشاعر اللبيب) المنقوشة على جدران هيكل الكرنك ولما تيقن ان الخيتاسيين كمنوا له خلف قاعة كدش بعث يستصرخ بجيشه فأحدق به الاعداء من كل جانب فلما عاين خواصه ما حل به تركوا ملكهم فى ساحة القتال وفروا على أقدامهم مدبرين فعند ذلك انقض على عسكر الاعداء بمفرده

وجال فى جموعهم جول البأس وصار وهو محدق بالاخطار يبتهل الى اله مدينة طيبة المدعو (أمون رع) ويذكر الهياكل الجليلة والمعابد العديدة التى أقامها احسانا له وهو يقول

(ياأبتى ياآمون أما لبيت صوتك ومشيت طوع أمرك أما قربت لك القربان العديدة أما شيدت لجلالتك معبدا مخلدا على ممر الدهور والاعوام أما ملأت بيتك بالاسراء أعدائك فأنا أدعوك ياأبتى ياآمون قد تركتنى عساكر الرماة والفرسان الكماة لكن أنت حسبى يا الهى من الجيوش المؤلفة والفرسان المتكاثفة والعساكر والجنود والاعلام والبنود)

ثم قال الشاعر المذكور ان الاله أبى نداه وقبل دعاه وملأ قلبه بسالة وملأ قلب العدو خوفا فاندفع بعربته ست مرات بين الصفوف وهزم المائين والالوف ثم أدركه بقية خواصه فلما دخل الليل تكاملت عنده عساكره فباتوا تلك الليلة وفى الصباح أمر الملك بالحملة على الاعداء فهجم الفريقان ودارت الدائرة فيها على أمة الخيتاس ففاز المصريون بالنصر فطلب ملك الاعداء منه الصلح وقد مكثت هذه الحرب مدة خمس عشرة سنة وأخيرا حصلت عهود بين رمسيس ميامون المذكور وملك الخيتاس كتبت على لوح من فضة (موجود الآن بالانتيكخانة بلندره) وبعد انقضاء الحرب بالعهود المذكورة شرع رمسيس فى تشييد المبانى فشيد بكل مدينة معبد المعبودها حتى قيل انه لم يوجد محل قديم بمصر والنوبة الا وله فيه أثر وأشهر هذه المبانى هيكل مدينة (ابسمبول جنوب مصر) وهو الذى حفر بحيرات التمساح ومهد الطريق الموصل لاستخراج المعادن من بلاد النوبة وطهر ترع الوجه البحرى وحصن حدود الصحراء بالاستحكامات لمنع اغارة العرب على مصر وبعد له كانت الاهالى تحبه وكان اذا أراد التوجه الى بلد من بلاده قابلته مشايخ البلاد بالملابس العظيمة واضعين على رؤسهم شعورا جديدة معطرة واقفين على

ابوابها

أبوابهم وبأيديهم ورد وهم ينادون لقد حصل السرور بمشاهدتك يارمسيس دمت بصحة وعافية ومات بعد ان حكم ستين سنة

﴿ذكر مآثر الملك منفطا الاول﴾

وهو ابن رمسيس الثانى كان هذا الملك مباشر الاحكام مدة السنتين الاخيرتين من حكم والده وجلس على تخت الملك وهو طاعن فى السن وشرع فى تشييد المبانى العظيمة بالوجه القبلى والبحرى وفى مبدأ حكمه كانت البلاد فى هدوء وراحة ثم ابتدأت اغارات الاجانب حيث ظهر فى بحر الروم اسطول حامل جماغفيرا من مقاتلى البربر مثل السليقيون (قبائل اليونان) وسكان جزيرة صقلية (سيسيليا) وأتى على سواحل ليبيا وانضمت عساكره لعساكر تلك البلاد وهجموا على مصر وقد دلت النقوشات البربائية ان مصر لم يدخلها عدو منذ خروج عرب الرعاة منها فألقى المصريون سلاحهم مدة نصف قرن فسقطت همتهم عن استعماله فلذا لم يوجد عندهم من يقاومهم فتقدموا حتى كادوا يدخلون مدينة منفيس فقام منفطا بجيش عرمرم وهزمهم واستولى المصريون على غنائمهم وسلبوا ما كان معهم وهذه أول واقعة حربية حصلت بين المصريين والاوروباويين

وبعد موته حصلت حروب أهلية لم نقف على تفاصيل حوادث هذه الحقبة المضطربة والذى نعلمه انه لا يتيسر لابنه سيتوس الثانى ان يجلس على تخت الفراعنة الا بعد موت أبيه بنحو اثنتى عشرة سنة ومن المحتمل انه تعاقب على تخت المملكة اثنان بطريق التعدى منقوشا اسمهما على المبانى القديمة ومن المحقق ان ذرية عرب الرعاة القاطنين بالوجه البحرى خلعوا أطواق الطاعة من أعناقهم وأوقعوا السلب والنهب وأشعلوا النيران واللهيب وتجاروا على ذلك عدة أقوام

﴿معاملة المصريين لبنى اسرائيل وخروجهم من مصر﴾ سنة ١٣٥٠ ق م

كانت عادة الفراعنة استعمال الاسراء فى تشييد المبانى والعمارات

وقد تكاثر عدد أولئك الاسراء فى عهد العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وكان منهم بنو اسرائيل الذين استعبدتهم المصريون واستمروا فى العذاب الى عهد رمسيس الثانى الذى زاد عليهم فى التشديد فشيد مدينة (رعمسيس) بعمال اسرائيليين ومع شدة ذل الاسرائيليين بأرض مصر نموا وانتشروا وأخيرا أمر فرعون برمى أولادهم فى النيل وقت ميلادهم وقد نجى موسى عليه السلام بأمر الله على يد ابنة الملك ثم بعثه الله رسولا للاسرائيليين لانقاذهم من جور المصريين

وقد ذكرت التوراة ان نبى الله موسى عليه السلام ألزم فرعون الحاكم وقتئذ بعد ما أراه الآية الكبرى ان يسمح لبنى اسرائيل بالخروج من مصر حيث كانوا مقيدين بقيد الاسر ورق العبودية فقادهم عليه السلام الى بحيث بجزيرة جبل الطور ثم ندم فرعون على تخليصهم من طوق الطاعة فاقتفى أثرهم بقوة جيش جرارا ولحقهم بالقرب من شاطئ البحر الاحمر بقرب الجهة المعروفة الآن بالسويس فانفلق البحر لموسى وعبر وقومه سالمين ولما أراد فرعون أن يتبعهم غرق مع قومه

وقد حمل المؤرخون عبارة التوراة على فرعون منفطا الاول مع ان النصوص البرباية عارضت هذا القول وثبتت انه مات حتف أنفه فان صح ذلك كان وقوع هذا الحادث المريع مدة الاضطرابات السابق أو اللاحق لحكم سيتوس الثانى ابنه

﴿العائلة المتممة للعشرين﴾ القرن ١٣ - ١٢ ق م

﴿ذكر ما آثر الملك رمسيس الثالث﴾

وهو آخر مشاهير ملوك مصر ولما تولى الملك اهتم فى تحفظ مصر وملحقاتها وسعى فى تقدم داخليتها وفى أول حكمه قامت عليه الناس من كل جهة فالبدو هددوا شرقى الدلتا وخرجت عن طاعته ولايات الشام وأغارت الليبيون على غرب المملكة فلما رأى تعصب هؤلاء الاقوام قام لقتالهم

لقتالهم فهزم أولا البدو ثم الليبيين ومن معهم فلما علم أهل آسيا الصغرى والجزائر اليونانية بهذا الحرب أرادوا الخروج عن طاعته فشنوا الغارة واندفعوا بجيوشهم على مصر من جهة الدلتا وتقابلت جيوشهم وسفنهم الحربية بجيوش وسفن المصريين وحصلت واقعة هائلة انتهت بنصرة المصريين على هؤلاء الاقوام وبعد ذلك هاجت الليبيون مرة ثانية ولكن المصريين قاتلوهم وانتصروا عليهم واغتنموا غنائم كثيرة مابين عدد حرب ومواش وأسروا منهم عددا وافرا وبعد ذلك حصل الامن والراحة وأرسل رمسيس المذكور فى البحر الاحمر سفنا الى بلاد العرب لجلب الخيرات منها ثم أرسل تجريدة حربية الى بحيث جزيرة جبل الطور وأدخل أهاليها تحت حكمه وفى أواخر حكمه أشرك معه ابنه رمسيس الرابع ثم بعد وفاته لم تشتغل الملوك خلافاؤه بالحروب بل توجهت أفكار الاهالى الى اتخاذ الصناعة والتجارة وكرهوا الحروب التى أهلكت أموالهم وأولادهم فدخل العناد والاضطراب فى جميع فروع الحكومة واستفحل أمر كبار كهنة المعبود (آمون) واستولوا بالتدريج على أعظم مناصب البر والرياسة العسكرية فلما مات رمسيس الحادى عشر قام رئيس الكهنة المدعو (حرحور) واغتصب التاج الملوكى وجعل نفسه ملكا سنة ١١٥٠ قم على كل مصر والشام وأمر بنفى الملك وعائلته من مدينة طيبة الى مدينة (تنيس) صان الحجر (بالشرقية) وجلس الكاهن المذكور على تخت مصر وبعد موته أخلفه قسيسان آخران وفى مدتهما وقع هرج عظيم ببلاد مصر وخرجت الاهالى هاربة من دفع الجزية وكان تختهما مدينة (تنيس) ووقع بين الطرفين شقاق ومنازعات شديدة وقامت الحروب على قدم وساق وآل الامر بنزع الملك من يد الكهنة بظهور الملك (سمنديس) رأس العائلة الحادية والعشرين

﴿ذكر العائلة الحادية والعشرين﴾ قرن ١١ قم

رأس هذه الدولة هو سمنديس وكان مقر حكومتها مدينة صا الحجر

(شرقى الدلتا) وقد أفنى عمره فى حرب ذرية الكاهن حرحور ملوك الصعيد بطيبة وبعد موته استمرت الحروب سجالا بين ملوك مدينة صا الحجر وملوك طيبة فكانت جيوش الوجه البحرى مؤلفة من جنود الليبيين والاقوام الذين كانوا قاطنين على مصبات النيل وكادت أن تكون رؤساء هذه الجنود المجموعة مستقلة وبيدهم الحل والربط وكان شيشاق أوشيشنق أحد رؤساء هذه الجنود وكان أجنبى الاصل وهو الذى هدم أركان الدولة الحادية والعشرين وأسس الدولة الثانية والعشرين وحكم جميع أرض مصر وفى مدته عاد لمصر رونقها القديم وأماذرية حرحور الكاهن فانها انهزمت أمامه وهربت الى بلاد الاتيوبيا وأسسوا دولة مستقلة وجعلوا تختها مدينة (نباتا) بالقرب من جبل البركل فى جنوب دنقلة القديمة وكان شيشاق المذكور معاصرا لسيدنا سليمان عليه السلام ملك بنى اسرائيل وبعد موته بخمسة أعوام هجم شيشاق على سبطى يهوذا وبنيامين ودخل بيت المقدس الشريف سنة ٩٧٠ ق م واستولى على جميع خزائن سليمان ويوجد منقوش على جدران معبد الكرنك أسماء المدن التى خضعت لجبروته ومن أعماله أيضا ايوان البسائط الباقى آثاره الى الآن بتل بسطة وفى أيام خلفائه عادت الفتن كما كانت عليه وكثرت العربدة بين الاكابر والاصاغر بحيث ان شيشاق الرابع الذى هو آخر هذه الدولة لم يكن ملكا الا على مدينة تل بسطة وما جاورها ومازال الامر يشتد ونيران الفتن تشتعل الى ان ظهرت العائلة الثالثة والعشرون من سنة ٨١٠ الى سنة ٧٢١ التى كان مقرها مدينة (تنيس) حيث انقسم الملك بين عشرين أميرا مستقلا لقب أربعة منهم بالالقاب الفرعونية فارتفع شأن أحدهم وهو تفنخت المؤسس للدولة الرابعة والعشرين الآتى ذكرها

﴿ذكر العائلة الرابعة والعشرين الصاوية﴾ قرن ٨ ق م نسبة الى مدينة صا الحجر ورأس هذه العائلة هو تفنخت أحد الامراء

العشرين

العشرين كما تقدم

وفى مبدأ أمره شرع فى نزع هؤلاء الامراء فاستعان بالاتيوبيين الذين كان لهم فى ذلك الوقت سطوة عظيمة وكان تختهم مدينة مرو بالاتيوبيا ولما جعلته الاتيوبيون ملكا على مصر أخذ فى محاربة بعض الملوك المجاورة له الى ان انتصر عليهم ثم حارب الامراء المذكورين فهزمهم وأخذ ما كان بأيديهم ثم توجه الى الصعيد فاذعنت له الامراء بالطاعة الى ان وصل الى قسم ارمنت واستولى عليه ثم وضع الضرائب على قسم اهناس المدينة التى كانت تحت حكم الاتيوبيين فلما بلغ ذلك ملك الاتيوبيا بعنخى قاتله حتى انتصر عليه وجعل مصر ملحقة ببلاده وأبقى لرؤسائها الامتياز وأبقى تفنخت ملكا عليهم واستقر فى صا الحجر وبعد موته أخلفه ابنه باخوريس

﴿ذكر ما آثر الملك باخوريس﴾

كان هذا الملك ضعيف البنية صائب الرأى ثاقب الفكر مشرعا عادلا وقاضيا عادلا ولما تولى الملك شرع فى نزع مصر الوسطى والوجه البحرى من الامراء ونجح فى ذلك وجعل مصر مستقلة تحت حكمه ثم أهان العجل (ابيس) معبود المصريين وجعل الاهانة له أعظم ذلة فاستعانوا عليه بملك الاتيوبيا المدعو سباقون فبادر بجنوده لقتال ملك مصر وانضم مع الامراء الذين كانوا يبغضونه فوقع باخوريس فى قبضة الاسر فألقاه سباقون فى النار حيا وآل الامر حينئذ للاتيوبيين وذلك سنة ١١٠٠ ق م

﴿ذكر العائلة الخامسة والعشرين الاتيوبية﴾ قرن ٧ ق م

حكمت هذه العائلة من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٥ ق م وعدد ملوكها أربعة ومدة حكمها ٥٣ سنة

السبب فى استيلاء ملوك السودان على مصر هو تغير الاحوال الناشئ من اختلاف الكلمة بين ملوك العائلة الرابعة والعشرين لعدوانهم

و بغضهم لبعض حتى ورد عنهم فى التوراة ما معناه
(ان ملوك تنيس صاروا الاعقول لهم وملوك منف ضلوا وأضلوا قومهم
فقضينا ان نعطى ملك مصر الى ملك جبار)
ففسر الاحبار الملك الجبار بسباقون السودانى الآتى ذكره

﴿ذكر ما آثر الملك سباقون﴾

لما تولى هذا الملك ملك مصر تلقب بالالقاب الفرعونية وشرع فى تنظيم البلاد وأحسن التدبير فقوى الجسور وشيدها وحفر الترع وطهرها خوفا على البلاد من الغرق والشرق وسعى فى تعمير مدينة بسطة وبنى ما تخرب منها ومن منفيس وأبطل العقوبة بالقتل بالاشغال الشاقة وعمل معاهدة مع الفنيقيين و بنى اسرائيل وأهل فاسطين ضد ملك آشور فأتت عليه بالوبال حيث حاربه ملك آشور فانهزمت الجيوش المصرية وهرب الملك سباقون وكانت هذه الهزيمة سببا لهيجان الوجه البحرى عليه وعلى السودانيين حتى طردوهم الى طيبة فقام (استيفانيس) قريب الملك باخوريس أو باكوريس الى اعادة نظام حكومة الوجه البحرى وأعان انه هو الملك أما سباقون فانحاز الى الصعيد ومات بعد قليل وترك حكم الاتيوبيا والوجه القبلى لابنه سباخون الذى حارب ملوك الوجه البحرى انتقاما لابيه فظفر بهم وحكم كل مصر ولكن بعد قليل تغلب عليه طهراقه وقتله

﴿ذكر ما آثر الملك طهراقه﴾

كان هذا الملك رجلا محاربا وفى عصره أغار عليه ملك آشور وطرده وأرجع الحكومة لامرائها العشرين وجعلهم يحكمون تحت رياسة نيخاؤس الاول ولكن فى سنة ٦٦٩ ق م أغار طهراقه على مصر ثانيا فحاصره ملك آشور وهزمه وطرد السودانيين وأرجع الحكم للامراء السابقين وعلى ذلك استمرت البلاد طورا فى أيدى السودانيين وطورا فى أيدى الآشوريين ومكثت مصر تابعة لملوك الآشوريين مدة من

الدهر

الدهر ثم عرفوا ان ملك مصر يحتاج لكثير من المشقة والتعب فتركوها وآلت بعد ذلك الى نوات ميامون ملك الاتيوبيين

﴿ذكر ما آثر نوات ميامون﴾

فى هذه المدة اضمحلت مملكة آشور فخرجت مصر من حوزتها فلما رأى ملك الاتيوبيا ذلك فاجأ المصريين وأغار عليهم فاستولى على الوجه القبلى بدون معارضة لوجود حزب الاتيوبيين هناك فساعده على ذلك أما الوجه البحرى فاستعمل المقاومة ولكن أخيرا انقادت أمراؤه لهذا الملك وقدموا له الطاعة وحكم كل مصر ثلاث سنوات

﴿الفترة بين العائلة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين﴾

(٦٦٥ الى ٦٥٠ ق م)

لما انتهت حروب الاتيوبيا وانجلت بعض عساكرها عن أرض مصر أدت مصر الى انحطاط قدرها وكسرت شوكتها وشق على أهلها تحمل حكم ملوك الاتيوبيا مع عددهم اذ كان أصعب ما على الامة المصرية الانقياد للاغراب فتعصبت وجهاء المدن وأعيانها وتعاهدوا على نزع الملك من يد السودانيين فقاموا عليهم وطردوهم من الوجه البحرى وتقاسموا الملك بينهم وكانوا اثنى عشر حاكما كل واحد يحكم اقليما فسميت حكومتهم بالتقاسيم الاثنى عشرية وكانت عبارة عن جمهورية وكان بساميتيك من ضمن هؤلاء الامراء فاستعان عليهم بعساكر يونانية متطوعة حتى أخذ مصر من يدهم واستبد بحكمها فصارت مملكة واحدة وصار هو مبدأ العائلة الصاوية السادسة والعشرين وبانفراد هذا الملك انفتح لمصر ثانيا باب مجد جديد وعاد لها رونقها الاول وشوكتها القديمة وقد مكثت مدة الدولة الاثنى عشرية ١٥ سنه

﴿ذكر العائلة السادسة والعشرين الصاوية﴾ قرن ٦ ق م

حكمت هذه العائلة سنة ٦٥٠ ق م ومدة حكمها ١٣٨ سنة

وملوكها ستة

﴿بسامتيك الاول﴾ ٦٥٠ – ٦١٧ ق م

لما كان هذا الملك أجنبيا عن الملك تزوج ببنت من العائلة المصرية الملوكية وكانت مصر في مبدأ حكمه قد اعتراها الخراب في حربها مع الآشوريين والاتيوبيين حتى طمت الترع وتلفت الطرق فشرع بسامتيك على ما رواه هيرودوت المؤرخ اليوناني في احياء مصر فاصلح الترع والطرق وأعاد الراحة والأمن وبث العلوم وعمر بيوت العبادة وأصلح ما تهدم من معبد الكرنك وغير ذلك من المنافع العمومية وسعى في تحسين سياسته مع الممالك المجاورة بجنوب مصر وشمالها وهي مملكة الاتيوبيا وآشور والقيروان ولحفظ بلاده شيد قلاعا في مضايق طرق الشام وفي ضواحي بركة المنزلة من الجهة الغربية وفي الشلال الاول وبعد ان تمم ذلك قام لغزو النوبة فظهر عليها وبعد ذلك قام لفتح الشام فزحف عليها وملك فلسطين وأخذ مدينة اشدود واكتفى بذلك وبعد هذه الفتوحات دهم مصر مصيبة كبرى وهي ان هذا الملك اقتدى باسلافه الفراعنة وجلب الى مصر الاجانب فاكرم نزل اليونان وأقطعهم أرضا على شواطئ بحر الطينة جهة الفرمة وفي هذا الوقت أيضا قدم قوم آخرون ورسوا بساحل بحر رشيد وأسسوا هناك معسكرا متسعا فقويت شوكتهم واختلطوا بالمصريين وأدخل أطفالهم المدارس المصرية وكان منهم سولون وفيثاغورث وأفلاطون (بمدرسة عين شمس الآن المطرية) وكانت المصريين تنظر لهم بعين الاحتقار وتأنف من الاختلاط بهم وكانت كراهتهم لهم مسرة أولا ولكن بعد ذلك انكشفت وسبب ذلك أن الملك أنعم عليهم بالرتب فأصبحت مصر تحت محافظتهم وأخيرا لما اشتد غيظ المصريين من ميل الملك للاجانب اجتمع منهم نحو ٢٤٠٠٠٠ نفس شاكي السلاح وهاجروا الى بلاد الاتيوبيا وهناك قابلهم ملكها بالترحاب ثم وطنهم بين البحر الابيض والازرق فنشأ منهم أمة عظيمة اشتهرت

بطائفة

بطائفة الاسماط أى حجاب ولكن سياحى اليونان سمتهم باسم أوتومولبس وبقى هذا الاسم معروفا الى القرن الاول من الميلاد ومات هذا الملك سنة ٦١١ ق م ودفن فى صا الحجر وورثه نيخاوس الثانى

﴿ذكر الملك نيخاوس الثانى﴾ ٦١٧ـ٦٠٠ ق م

تولى هذا الملك طاعنا فى السن وسلك بهمة ونشاط سلك مشاهير الفراعنة حتى ألبس مصر ثوب المجد ووجه همته الى اتمام السفن الحربية واعتنى بامرها كثيرا لانه كان يريد الاستيلاء على سواحل البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط فندب لهذا العمل مهندسين من اليونان أنشؤا له معامل بحرية وغيروا المراكب المصرية القديمة بمراكب حربية جديدة تسير بالمجاذيف وتسمى بالاغرية وشبت أيضا بمشروعهم وهو ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض لقطع برزخ السويس فحفر ترعة امتدادها أربع مراحل بحرية وعرضها يسع سفينتين كان مبدؤها مدينة تل بسطة وآخرها بركة التمساح الا انه هلك فى حفرها ١٢٠٠٠٠ نفس فتشائم الملك منها وأمر بابطالها سيما لما أخبرته الكهنة بان حظ الانتفاع يكون لامة أجنبية وقال ارسطاطاليس ان الملك كف عن عمل الترعة بناء على اخبار المهندسون له لان سطح البحر الاحمر مرتفع عن أرض مصر نخاف عليها من الغرق وبعد ذلك انفتح لهذا الملك مشروع مهم وهو انه بلغه من ملاحى صور وقرطاجة انهم اكتشفوا على سواحل أفريقا بلادا فيها كثير من الذهب والعاج والاخشاب العجيبة فأمر الملك ملاحى الفنيقيين بان يذهبوا بسفنهم فى طلب تلك البلاد فطافوا حول أفريقا مدة ثلاث سنين لكنهم لم يجدوا تلك البلاد وخاب سعيهم وفى هذا الوقت كان انحطاط مملكة آشور فقام نيخاوس سنة ٦٠٣ بجيش جرار الى آسيا وهجم على بلاد فلسطين فقهر ملكها وذا المدعو يوشيا وقتله فى مدينة مجدو (مجدلة) وألبس التاج الى يهوياقيم وضرب عليه الجزية وبعد ذلك صار بدون معارض حتى وصل الفرات مرتبا الحراس فى كل اقليم استولى

عليه ولما أدخل الجهات البحرية تحت طاعته انعطف جهة الجنوب ونزل بارض بجوار حمص وأقام هناك منتظرا قدوم أهل الشام للتحية عليه فبلغه تظاهر اليهود عليه فأحضر ملكهم وعزله وعين بدله وضرب عليه الجزية وبعد ان استولى على بلاد الشام وفلسطين عاد لمصر فقام بختنصر ملك بابل وحارب نيخاؤس وأخذ منه جميع البلاد التى فتحها وبعد ذلك أراد نيخاؤس أن يسترجع البلاد التى أخذت منه فمات بدون ان يبلغ أربه

(ذكر الملك واح ابرع أو ابرياس بن بسامتيك الثانى) ٥٩٤ـ٥٧٠ ق م قام فى عصر هذا الملك استنجد به صدقيا وجاهر بالعصيان على ملك بابل فقام بختنصر وهزم ملك اليهود ودخل بيت المقدس التعريف وبعد ذلك توجه لقتال ملك مصر حيث كان حضر هو وجنوده لاعانة ملك اليهود فانهزمت المصريون بمجرد وصول عساكر بابل وعاد بختنصر الى بلاد اليهود وقتل أولاد صدقيا فالتجأت اليهود بعد ذلك الى مصر فاستقبلهم ملكها وأقطعهم أرضا بقرب زفتى وبعضهم سكن صعيد مصر وبعد ان فرغ ملك بابل من قتال أهل آسيا رجع على مصر وقتل ملكها وأقام عليها حاكما من طرفه وأخذ معه اليهود على ما رواه يوسيفوس المؤرخ اليهودى ولكن هذه الحادثة نقضت ما قاله هيرودوث المؤرخ اليونانى من ان النصرة كانت للمصريين وقيل انه بعد هذه النصرة استنجدت به سكان سواحل ليبيا على قبائل اليونان بالقيروان فأرسل عليهم جيشا مركبا من عساكر مصرية فانهزمت المصريون وقتلت ولم ينج منهم سوى من هرب لمصر فتسبب عن ذلك عصيان وثورة من المصريين ضد الملك فأرسل عليهم جيشا تحت رياسة رجل من الرعاع اسمه احميس وبينما كان ينصحهم لردهم عن عصيانهم اذ أقبل عليه أحد الجنود العاصية وألبسه التاج وقال قد رضينا لك ملكا علينا فقبل منهم ذلك وقام معهم لقتال الملك فالتقى الجيش المصرى والجيش اليونانى الذى كان مع

الملك

الملك بقرب مدينة صا الحجر فانتصرت الجنود المصرية ووقع الملك فى قبضة احميس فأحسن مثواه وعامله معاملة الملوك ولكن بعد ذلك طلبت المصريون تسليم الملك لهم فبمجرد ما أخذوه خنقوه

﴿الملك آموزيس وهو احميس الثانى﴾ ٥٧٠-٥٢٩ ق م قال هيرودوت انه تولى هذا الملك تزوج بحفيدة الملك بسامتيك الاول ليؤسس بذلك لنفسه عائلة ذات حق وحافظ على نفوذ الشوكة المصرية فى فنيقيا وأتم فتوح جزيرة قبرص وكان ذكى الفطنة ولخوفه على بلاده من العجم أحسن سياسته مع ملكهم قيروش أوكرش فتمتع بالراحة ٢٥ سنة وكانت مملكته فى درجة عالية من الثروة ووسع الترع وأصلح شأن الزراعة والتجارة حتى أصبحت مصر به غنية وقطع الاحجار وأصلح جميع آثار الكرنك وغيرها وأصلح الوجه البحرى اذ كان متخربا وقتها وبعناية هذا الملك صارت مصر فى درجة لم تصل اليها فى غير أيامه حتى قيل ان مدنها بلغت فى عصره ٢٠٠٠٠ مدينة عامرة وكثرت بها التجارة خصوصا مع اليونان الذين كان دائما شاملا لهم بانظاره ولحبه لهم تزوج منهم وقد بلغ عدد اليونان فى ذلك الوقت ٢٠٠٠٠٠ نفس فأعطاهم مدينة نقراطيس ولعلها (فوه) واشتغلت أولئك اليونان بنقل كل ما يسمعونه من أخبار المصريين الى البلاد الاجنبية فقويت أطماع الناس فى مصر وصار يأتيها كثير من الفلاسفة والتجار والعسكر الاغراب المتنوعة وفى هذا الوقت توفى قيروش ملك العجم وتولى بعده ابنه قمبيز الذى غزى مصر كما سيأتى ولخوف قمبيز على عساكره من صحراء العرب قيض الله له رجلا يونانيا يدعى فانيس حضر اليه من مصر فاطلعه هذا اليونانى على حقيقة تلك البلاد ودله على الطريق الموصل اليها وبناء على ذلك عقد قمبيز معاهدة مع العربان الذين كانت لهم اليد على الطريق الموصل للنيل ليأتوا بالماء لجيشه وعلى ذلك سارت جيوش العجم حتى حلت أمام الطينة وفى هذا الوقت توفى احميس وأخلفه

﴿الملك بسامیتیك الثالث﴾ ٥٢٥ ق م

وفی عهد هذا الملك اشتدت الحروب بین العجم والمصریین عند الطینة وكان من جملة الجیوش المصریة فرقة من الیونان أرباب الحمكیة فأرادوا أن ینتقموا من فانیس الذی ترك أولاده وهرب عند العجم فاحضروهم الی المعسكر وذبحوهم بین الصفین وأبوهم ینظر الیهم و یتقطع قلبه حسرة علیهم ووضعوا دمهم فی اناء ومزجوه بالنبیذ وشربوه و بعد ذلك اقتحمت المقتلة بین الفریقین واحتال قمبیز علی ماقیل بحیلة عجیبة وهی وضع كثیر من القطط والكلاب والحیوانات المقدسة فی مقدم جیشه لعلمه بان هذه الحیوانات هی معبودات المصریین ولذلك لایمكنهم ان یرموا سهامهم علیهم و بهذه الحیلة تقهقرت المصریون ولم یثبت فی القتال سوی عساكر الیونان فانتهت الواقعة بهزیمة المصریین فأرسل بعد ذلك ملك العجم الی المصریین رسولا فی سفینة من عنده یطلب منهم التسلیم فكسرت المصریون السفینة وقتلت من بها فحضرت العجم قلعة منفیس وحاصرتها واستولت علیها وقتلت ابن الملك وكثیرا من أعیان المصریین و بذلك خضعت مصر الی الملك قمبیز ووقع بسامیتیك فی الاسر فأبقاه حیا و یقال انه بعد تسلیم منفیس أمر قمبیز باحضار أولاد الملك و بناته بملابس الرق حاملین قدور الماء علی رؤسهم ثم طلب أیضا أولاد أعیان المصریین الذین حكم علیهم بالقتل لیمروا أمامهم قبل القتل وكان بسامیتیك مشاهدا لذلك مع اظهار الصبر وأخیرا أراد أن یجعله نائبا علی مصر بدله فقال الموت ولا النیابة فقتله وسلم حكم مصر الی ایرندس الفارسی و بهذا الملك انتهت العائلة السادسة والعشرین و یلیها العائلة السابعة والعشرین الفارسیة ان شاء الله

﴿دیانة قدماء المصریین﴾

كانت الامة المصریة أعظم الامم تدینا وفضلا عن تعدد الاصنام التی كانوا یعبدونها

يعبدونها فانك ترى أكابر مصر وحكماءها يعتقدون وحدانية الله وما عداهم من الامة فكانت عاكفة على عبادة الاصنام

أما ديانة المصريين فكانت مؤسسة على عبادة الشمس وكان لها عندهم أسماء وأشكال مخصوصة حسب سيرها في السماء مدة النهار وكان لكل مدينة واقليم اله مخصوص فكان اله مدينة طيبة (آمون) وغيره وكان اله مدينة منفيس (بتاح) وغيره وكانت هذه الاسماء تتغير في بعض الاقاليم أما عبادة أوزوريس وآبيس وهوروس فكانت منتشرة أكثر من غيرها وكثيرا ما كانت هذه الآلهة تتشكل عندهم باشكال حيوانات كالطيور والتماسيح وغيرها وكانت هذه الحيوانات عبارة عن رموز على قدرة الخالق سبحانه وتعالى وكانوا يعرفون ان العبادة التي تقدم لهذه الآلهة انما تقدم لله جل شأنه حيث قدمت لصفاته

وكانت هذه الحيوانات تعبد في أنحاء مصر كل البلاد وتخدم كخدمة الملوك وتحنط عند موتها وتدفن في مدافن عظيمة وكان أقدس حيوان عندهم هو الثور آبيس ومحل عبادته مدينة منف وهو رمز على الاله بتاح وكان يعرف بعلامات مخصوصة عندهم وكان موته يعتبر مصيبة كبرى على عموم الامة ويوم تنصيب غيره يكون يوم عيد عام وبعد موته كان يحنط ويدفن في سيرابيوم (مدفن بسقارة) ومن أهم أركان ديانتهم الاعتقاد بخلود الروح بمعنى ان النفس الصالحة تدوم مع أوزوريس ثلاث آلاف سنة ثم تعود الى الارض وتدخل الجسم الذي خرجت منه فيحيى ويعيش كما كان أولا ويتكرر عليه الموت والبعث عدة مرات حتى يبلغ الدرجة العظمى وكمال السعادة

واعتقادهم بخلود الروح هو السبب في حرصهم على أجساد موتاهم وتحنيطهم ودفنهم في المدافن العظيمة والقبور العجيبة والاهرام البازخة أعظم مباني العالم وكان أمر خلود الروح وتوقف السعادة الابدية على حسن السيرة

ولغاية هنا قد انتهى ملخص ما ألقاه من دروس الفراعنة حضرة العالم الاديب والمؤرخ الاريب أستاذنا أحمد أفندى نجيب مفتش مصلحة الآثار المصرية ومعلم هذا العلم بمدرسة التجهيزية سابقا

الباب الثانى

﴿فى التاريخ القديم لامم الشرق﴾

(الشرق) يعنى بهذا الاسم فى علم الجغرافية أحد الجهات الاصلية أى محل شروق الشمس ولكن فى التاريخ تطلق هذه الكلمة على الممالك الواقعة شرقى أوروبا والبحر الابيض المتوسط وهى مصر وفلسطين والشام وبلاد العرب وأرض الجزيرة (جزيرة ابن عمرو) وبلاد العجم والهند والصين وهاتان الاخيرتان يعدونهما من البلاد المشرقية فى بعض الاحيان

وقد ذكرنا فيما سلف ان مصر مضى عليها جملة أعصر وأحقاب وهى حافظة لشوكتها وعظمتها ثم خضعت لدولة الفرس التى امتدت من نهر الهندوس لغاية صحراء برقة أوليبيا ولكن قبل الشروع فى ذكر أخبار هذه الدولة العظيمة التى هدمها الاسكندر الاكبر ملك مقدونيا نذكر طرفا من أخبار الامم والممالك العظيمة التى تقدمت عليها واندرجت ضمن هذه الدولة فى أيام قيروش وخلفائه وكانت آسيا الغربية مشتملة على عدة ولايات يحدها شمالا جبل قوقاز (الجركس) والبحر الاسود ومن الغرب بحر الروم المسمى بحر سفيد (البحر الابيض المتوسط) وجنوبا صحراء العرب وشرقا السهول العالية لبلاد فارس وهذه الولايات عبارة عن الدولة العثمانية الواقعة الآن فى آسيا

﴿الفصل الاول﴾

﴿فى تاريخ الآشوريين والبابليين﴾

كانت بلاد آشور عبارة عن الاراضى الواقعة بين ارمانستان والجزيرة وبلاد ميد وبابل وسميت هكذا نسبة الى آشور أو آسور بن سام بن نوح

عليه

عليه السلام وكانت بلاد الكلدانيين فى جنوب آشور بين بلاد الفرس وجزيرة العرب والخليج الفارسى وسميت هكذا نسبة الى كاليدوس بن سام ابن نوح عليه السلام

وأما بلاد بابل بين نهرى الدجلة والفرات وهى المسماة ميزوبوتاميا (أرض الجزيرة) وهى بين آسيا الصغرى وسوريا (أى الشام) وسميت هكذا باسم بابيلون أى مدينة البرج وقيل باب ايل أى مدينة الرب وقد أسسها فى سالف الازمان نمرود الجبار وبعد الطوفان نزل أولاد نوح عليه السلام من جبل عرارات (ببلاد القوقاز) الى الارض وسكنوا بهذه الاراضى وسموها أرض سنهار وتناسلوا واجتمعوا على بناء برج عال يحفظهم من اغارة الطوفان فبنوا برجا على شاطئ نهر الفرات وعلوا ابناءهم فأخذتهم صيحة فبلبلت ألسنتهم ودكت برجهم فتفرقوا شعوبا فى الارض فأتى آشور ومن معه وسكنوا شرقى نهر الدجلة وتناسل منهم الآشوريين وأتى كاليدوس ومن معه وسكنوا بجوار نهر شط العرب (نهر الفرات) وتناسل منه الكلدانيين وأتى ارامة ومن معه وسكنوا بين نهرى الدجلة والفرات وتناسل منهم الاراميون وأتى ميد ومن معه وسكنوا شرقى أرمانستان بجانب بحر الخزر وتناسل منه الميديون وأتى عيلام ومن معه وسكنوا فى الوسط بجانب ميد وتناسل منه العلاميون والفرس وكلهم من أولاد سام بن نوح عليه السلام ونزل كنعان بن حام فى أرض بابل ونزل مصرايم أرض مصر

﴿مبدأ سلطنة آشور وبابل﴾

وبعد تفرق بنى حام فى الارض تناسلوا وكثرت ذريتهم فى وقت يسير وكان أول من قام بتدبير مملكة آشور هو آشور فبنى لهم مدينة عظيمة على شاطئ نهر الدجلة وجعلها قاعدة البلاد وفى هذا الوقت بنى كاليدوس مدينة كالده التى محلها الآن كربلا وجعلها قاعدة بلاده وبنى نمرود أسوار مدينة بابل على شاطئ الفرات ثم أخذت هذه الامم فى الارتباط

والاتحادواجتمعوا مملكة واحدة تحت ادارة ملك واحد
وأما ديانة الربانيين أوالبابليين وغيرهم فكانت أولاد نوح عليه السلام
بعد الطوفان قدضلت عن الحق وعبدت الكواكب ثم عبدت الاصنام
واعتقدوا فى الاصنام اعتقادات تامة فكانوا يعبدون صنم بعل مرودا خ
أو بعلوس (الشمس) وكانوا أيضا يعتقدون الالوهية فى بعض الاشخاص
والطيور ويبنون لها الابنية العظيمة والهياكل كما كانت تفعل الفراعنة
المصرية وكذلك عبدوا الملكة سمرّاميس وقالوا انها بعد موتها تحولت الى
حمامة وبعدان كانت بابل وآشور متفرقة تحت رؤساء جعلوا بلادهم
سلطنة واحدة فكانت هى أقدم ممالك الارض بعد مصر وجدوا فى
الفنون والصنائع والكهنة هم أول من تكلم فى علم الفلك وقسموا
الحركة الشمسية الى بروج وعرفوا كيفية سير الكواكب وحركاتها
وانتقالها وعرفوا المزاول ووضعوا أحرف الكتابة التى أخذها الميديون
منهم وسموها بالكتابة المقدسة ومن الميديين تعلم أهل فارس وتمهروا فى علم
الفلك وأتقنوه للغاية وكانوا يكتبون أسماء الادوية المفيدة فى ألواح
ويعلقونها فى هيكل اله الطب

﴿فى الكلام على ملوك بابل وآشور﴾

﴿ذكر الملك نينوس﴾

وهو أول من انفرد بالحكم فى دولة آشور وكان بطلا حارب البلاد واستولى
على بلاد ميد وأذربيجان والعراق العجمى والعراق العربى وبلاد بابل
وسوريا وبنى مدينة (نينوى) على نهر الدجلة وجعل تلك البلاد جميعها
مملكة واحدة سلطانية وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وأقام مسلات
ومعابد كثيرة وعمل التماثيل فى (نينوى) وامتد حكمه من سواحل بحر
الهند الى سواحل البحر الابيض المتوسط (أو بحر الروم)

﴿ذكر الملكة سمرّاميس﴾

وهى فى الاصل من نساء بعض أمراء العساكر وكانت ذات قوة عظيمة

فاما

فلما كان نينوس مجدا فى الفتوحات والغزوات رآها فى بعض الوقائع وهى تحارب محاربة الشجعان فاعجبه فراستها فاخذها من زوجها وتزوج بها وسلم اليها فى الامور فلما مات نينوس انفردت بعده بالملك وجدت فى تشييد المدن وأسوار مدينة بابل الذى كان يمر من وسطها نهر الفرات وجعلت فى وسطها البساتين والهياكل وبنت هيكلا عظيما ليكون معبد الصنم بعل أو بعلوس وأقامت له تمثالا من الذهب وبنت فى وسط المدينة برجا ارتفاعه ستمائة قدم وفوقه سبعة أبراج ارتفاع كل واحد منها ٧٥ قدما وجعلت فى أعلى برج منها معبدا فيه مائدة من الذهب وفى أسفل برج معبدا فيه صنم من الذهب وبقربه مائدة وكرسى من ذهب وخارجه مذبحين من ذهب لتقديم القربان ومن بعد ذلك قامت للغزو والفتوحات ولم تقنع بهذه المملكة المتسعة بل أرادت انها تستولى على جميع أراضى الدنيا فغزت بلاد فلسطين وسواحل مصر والحبش ثم عادت لمحاربة الهندستان وكان ملك الهند فى ذلك الوقت مجهزا جيوشه وحصن قلاعه بالعساكر وكانوا يحاربون على الافيال فلما وصلت الملكة سمرّاميس الى الهند أمرت بسلخ البقر ذوات الجلود الحمر فسلخوها وألبسوها للجمال بعد ما فصلوا الجلود على هيئة الافيال ولما التقى الجيشان هجم الهنود بالافيال وقابلتهم سمرّاميس برجالها فانكشفت حيلة الآشوريين فشددوا عليهم الهنود فانهزموا وانهزمت سمرّاميس وعادت الى مدينة بابل مهزومة وتركت الحرب حتى قتلها ابنها نيلاس

﴿ذكر الملك نيلاس﴾

تولى الملك بعد قتل والدته وذلك سنة ٣٥٠ من التاريخ الطوفانى وكان ظالما لقومه ضعيف الهمة يحب الكسل وترك الاحكام بالذات نفسه وكان السريانيون قد تعودوا على الغزو والشجاعة فلما رأوا حال ملكهم أضمروا على أذيته فمن خوفه على نفسه وضع على محله حفرا وحفظة خوفا من الغدر والخيانة ومكث على ذلك حتى مات وبعد موته تعدت

الامراء على كرسى المملكة وصاروا يحكمون واحدا بعد واحد مدة ٨٠٠ سنة ولكن لم تكتسب المملكة منهم فى هذه المدة الطويلة غير الانحطاط والضعف لسوء تدبيرهم ولم يكن لهم ما يذكرون به فى الآثار ومضت مدتهم بدون منفعة واستقلت البلاد التى كان فتحها الملك نينوس وسمرّاميس مثل سوريا والشام وفلسطين ولم يبق تابع لآشور سوى بلاد بابل وبلاد ميد ومن بعد هذه المدة الطويلة تولى السلطنة الملك سردنفول أو سردنبال الآتى ذكره

﴿ذكر الملك سردنبال﴾ من ٨٠٠ - ٧٨٩ ق م

تولى ملك آشور وبابل وكان شابا جميل الصورة ولما حكم ترك الامور وانتبه الى لذات نفسه وكان يمضى أوقاته بالسكر ومجالسة النساء حتى انه كان يتخلق بأخلاقهن وكان يتزين بلبسهن فكرهته الرعية فقام سر عسكر الميديين المدعو ارباس وسر عسكر بابل المدعو بيليزيس واتفقا على خلعه من السلطنة وجمعا ٤٠٥٠٠ فارس وهجما بهم على آشور وحاصر سردنبال فلما يئس من الحياة جمع أمواله ونساءه وخدمه فى قاعة من قاعات سرايته وأشعل فيها النار واحترقت الدار بما فيها وحرق نفسه ومن معه واستقل ارباس بحكم ميد وبيليزيس بحكم بابل وذلك سنة ٧٨٩ ق م وزالت الدولة الآشورية الاولى

﴿الدولة البابيلية الاولى وذكر فول﴾ من ٧٨٧ - ٧٤٧ ق م

وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم وخروجهم عن طاعة الدولة الآشورية ولكن القائد البابلى أو الكلدانى المدعو باسم فول (بيليزيس المذكور) استولى على الاقاليم الآشورية وجعلها تابعة لبلاد بابل وضم اليها بلادا أخرى ثم ان فول المذكور نزل على سوريا وكان السوريون مقتسمين المملكة عشر أسباط منهم فى سوريا وقاعدة ملكهم مدينة السامرة وسبطان يهوذا وبنيامين كانا يسكنان بلاد فلسطين أو كنعان وقاعدة ملكهم أورشليم فلما أغار فول

على

على هذه البلاد وقاتله ملك الاسباط المدعو منحيم الاسرائيلي وانتصر عليه فول المذكور واستولى على أكثر ولايات سوريا حتى دفع له منحيم ألف طونولاته من الفضة

﴿الدولة الآشورية الثانية﴾

﴿وذكر الملك تجلات فلاصر الثاني﴾ من ٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق م

ولم تدم غلبة الكلدانيين على البلاد الآشورية الا لغاية وفاة الملك فول سنة ٧٤٧ ق م ثم قامت الحروب على قدم وساق بين الآشوريين والكلدانيين مدة ثلاث سنين وتمت أخيرا بهزيمة البابليين وتقلد تجلات فلاصر عرش الآشوريين والبابليين بما انه كان رئيس هذا الهيجان وذلك سنة ٧٤٤ ق م ولما حكم تجلات المذكور حارب الاراميين وانتصر عليهم مرارا وفي وقتها نزل قوم من الاراميين سكان الجزيرة حاربوا اليهود وانتصروا عليهم فاستنجدوا بتجلات المذكور فأنجدهم بجيوشه وقاتل الاراميين وحاصرهم مدة في القدس ثم افتتحها وسبى أهلها

﴿الملك سلمنصر بن تجلات فلاصر﴾ من ٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق م

كان ملكا جبارا يحب الغزو ولما حكم أغار على ملوك سوريا وأهلك كثيرا من الاسرائيليين وأخيرا دفع له الجزية يوشع ملك الاسرائيليين بعد ما أسر ملوك الاسباط العشرة وأدخل مدينة السامرة تحت حكمه وحمل أهلها الى آشور وأتى بطائفة من الآشوريين وأسكنهم فيها ثم نزل على الفنيقيين وقاتلهم وحاصر مدينة صور تحت ملكها مدة سنة ثم تركها وعاد الى بلاده وبهذا الملك انقرضت العائلة الملوكية الآشورية اذ كانوا انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطنية واجتمع الاعيان وقلدوا بمنصب الملك رئيس الجنود المدعو (سرجون) الآتي ذكره

﴿ذكر سرجون﴾ من ٧٢٢ ـ ٧٠٤ ق م

وقد كان هذا الملك من أعظم الملوك أرباب الغزو والجهاد وان كانت مدته قد مكثت مدة قصيرة لكنها قد ألفت على وجه التاريخ بهجة عظيمة

لان الملك سرجون فى مبادى حكمه كان قد أخذ مدينة (السامرة) وأخرجها بالكلية وحارب الملك سباقون الحبشى ملك مصر وغلبه فى واقعة (رافيا) ببلاد الشام سنة ٧٢١ ق م ثم شن الغارة على بلاد أرمينيا حتى أدخلها تحت الطاعة الا أشياء قليلة منها وفتح بلاد فلسطين سنة ٧١٠ ق م وكذلك جزيرة قبرص سنة ٧٠٨ وكانت هذه الجزيرة محكومة فى ذلك الوقت بجملة ملوك طوائف صغيرة أصل أكثرهم من اليونان وفى آخر حكمه اختط مدينة (خورازاباد) بدلا عن مدينة نينوى من بعد خرابها ومات مقتولا فى سنة ٧٠٤ ق م حيث قتله جماعة من أرباب الفتن ببابل

﴿ذكر سنحاريب بن سرجون﴾ ٧٠٤ - ٦٨١ ق م كان شجاعا صاحب حروب وغزوات كثيرة ولما حكم آشور وبابل جهز الجيوش لقتال اليهود ونزل على فلسطين وقاتل أهلها فاستعان عليه اليهود بملك مصر سباقون الاتيوبى فانجدهم بجيوشه فكسره سنحاريب (كما تقدم) وحاصر بيت المقدس وكان على اليهود فى ذلك الوقت حزقيا الصالح فلما ضاقت نفوسهم من شدة الحصار تضرعوا الى الله سبحانه وتعالى واستغاثوا به وكان فيهم النبى أشعيا فلما أصبح سنحاريب ورأى جيشه قد تلف منه عدد عظيم خاف على نفسه ورجع الى بلاده ودخل نينوى والتفت الى تنظيم المبانى وبناء الهياكل والمعابد وكانت عادته اذا زار الاصنام يسجد لها مدة فى يوم دخل هيكلا بعد ما تبرك بصنمه سجد طويلا فدخل اثنان من أولاده وقتلاه ثم خافا من أخيهما الثالث وكان جبارا فهربا الى جبال الموصل فى أرمينيا واختفيا هناك ثم أتيا الى بيت المقدس واستجارا بحزقيا ودخلا فى ملته

﴿ذكر الملك آسارادون بن سنحاريب﴾ من ٦٨١ - ٦٦٨ ق م حكم آشور وبابل وأخذ فى الغزوات وكان ملوك الاسباط بعد سنحاريب قد استقلوا بملكهم فنزل عليهم وقاتلهم كثيرا ودخل مدينة (السامرة)

بالسيف

بالسيف وسبى أهلها وبعد انتصاره على سوريا نزل فلسطين وقاتل اليهود وأسر منشا بن حزقيا ملك اليهود واستولى على كنعان وديار مصر ثم اعتراه المرض وأحس بالعجز عن القيام بواجب الملك فتنازل عن سرير المملكة لولده البكرى المدعو آسور بانيبال فى سنة ٦٦٨ ق م

﴿ذكر آسور بانيبال﴾ ٦٦٨ - ٦٤٧ ق م

كان هذا الملك هو آخر الملوك الآشوريين المجاهدين وهو الذى يعرف عند اليونان باسم سردانابال الثانى ومكث مدة ثلاث سنوات متواليات بالديار المصرية وهو يقاتل الملك (طهراقه) ملك الاتيوبيا وينازعه فى مملكة مصر واستولى على مدينة طيبة (بالصعيد) مرتين وأسلمها الى السلب والنهب ثم انتهى أمره لان ترك الديار المصرية حيث رأى ان ملك مصر يحتاج الى كثير من المشقة والتعب وكان له أخ يدعى (ساموليسموجان) كان عاملا من طرفه على بابل فقام عليه وأراد أن يستقل بنفسه ورفع لواء العصيان واستعان فى ذلك بملك بلاد العرب وذلك فى سنة ٦٦٢ ق م ووقعت بينهما حروب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود القوم الخوارج فهزمهم ملك نينوى وأخذ أخاه أسيرا ثم أطلق سبيله وعفا عنه ولما توفى آسور بانيبال تملك على مملكة نينوى ولده يدعى باسم (آسور دياليلى) وفى أيامه خرج عليه ملك الميديين (فراوورت) وأغار على بلاد آشور فقابله (دياليلى) هذا بجيوشه فى مضايق الجبال الكائنة بتلك البلاد فى سنة ٦٣٥ ق م وحصلت واقعة وقتل بها الملك (فراوورت) المذكور وهلكت الجيوش الميدية وهذه غاية نصرة عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة نينوى وكان موت الملك آسور دياليلى سببا فى ظهور الفتن والاختلال فى بلاد السلطنة الآشورية فحضره ملك الميديين (سياكزار) بجنوده أمام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان العامل الكلدانى المدعو (نابو بولاصر) قد أثار الفتنة فى مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها

وكادت مدينة نينوى ان تسقط لولا ما حصل فى ذلك العصر من اغارة القوم السيتيين (قبائل يأجوج ومأجوج) على بلاد الميديين سنة ٦٢٥ فرجع الملك سياكزار من الحصار وأراد أن يوقف اغارة هؤلاء الاقوام ومكثت الاغارة المذكورة مدة ١٩ سنة وكان الملك (ساروق آسور آقوس) قد قبض على قضيب الملك بمدينة نينوى فى تلك المدة وبعد خروج السيتيين من البلاد الميدية عاد سياكزار الى ما كان عليه وحاصر مدينة نينوى وأخذها بعد قتل الملك (ساروق) وحرق القصور والهياكل العديدة وصارت مدينة نينوى عبارة عن تلال وأطلال متهدمة وذلك سنة ٦٠٦ ق م وهذا هو خراب مدينة نينوى الاكبر لانها لم تعد للعمارة مرة أخرى بعد ذلك

﴿الدولة الكلدانية أو البابيلية الثانية﴾

﴿ذكر نابوكودونوزور﴾ ٦٠٧ - ٥٦١ ق م

وهو المعروف عند مؤرخى العرب باسم بختنصر الجبار تولى بعد موت أبيه نابوبولصر سنة ٦٠٧ ق م وهو أشهر ملوك بابل وأعظمهم ففى مبدأ حكمه نزل بلاد الموصل ودخلها بالسيف ثم حارب الاسرائيليين ونزع منهم أيالات سوريا وكانت وقتئذ فلسطين أيالة خراجية يحمل ملكها يهوياقيم الجزية سنويا الى نيخاؤس ملك مصر فلما فتح بختنصر سوريا حمل اليه يهوياقيم الجزية بدون قتال فتحول عنه وسار لقتال الفنيقيين وحاصر مدينة صور وفى هذا الوقت عصى يهوياقيم فعاد اليه بختنصر وأسره وحمله الى بابل ومعه طائفة من الاحبار (علماء العبرانيين) وكان منهم دنيال عليه السلام وعاد بختنصر الى محاصرة سوريا وكان قد تولى على اليهود (يخنيو) بن يهوياقيم فعصى على بختنصر فأرسل اليه وحمله الى بابل فمات بالطريق وولى مكانه عمه المدعو صدقيا فجمع اليهود وعصى على بختنصر بمساعدة ملك مصر المدعو ابرياس فأتى ملك بابل وقتل خلقا كثيرا من اليهود وأسر صدقيا وكحله بالنار وقتله

ونهب أمتعة بيت المقدس وحرقها ولحق القدس الخراب الاكبر وهو الخراب الثانى وذلك سنة ٥٨٨ ق م وتشتت اليهود فى البلاد وأتت منهم طائفة الى مصر فاجتمعت بفرعون مصر نيخاؤس فطلبهم بختنصر منه فأبى وتجهز لمحاربته والتقيا المصريون والبابليون فى مدينة (قرقيش) جهة الفرات وكسر نيخاؤس ودخل مصر مهزوما وعاد بختنصر الى صور ودخلها بالسيف ونهبها وسبى أهلها بعد ان حاصرها مدة ١٣ سنة وبعد رجوعه الى بابل تجبر وتمرد ودعى الناس الى السجود لتمثاله وفى آخر حكمه سلب عقله فترك المملكة وخرج الى الغابات وأقام بها وصار يقتات بالحشائش وفى هذه المدة كانت امرأته نيتوكريس تدبر الامور ثم انه شفى من مرضه وعاد الى المملكة وحكم سنة واحدة ومات

﴿ذكر الملك بلطازار﴾

وهو آخر ملوك الدولة البابلية الثانية تولى ملك بابل وآشور وعلق على اللذات فترك الامور للحكام وفى ذات يوم جمع أحبابه وندماءه فى وليمة أعدها لهم وكان يوم عيد عند البابليين فبينما هم فى حالة الانس وشرب المدام اذ فاجأهم قيروش بجنوده الفارسيين ودخل المدينة من مجرى النهر على حين غفلة من أهلها فاتفق ان أحد قواد عسكر العجم المدعو باسم (دارا الميدى) المكلف بهذه الاغارة الليلية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده الولاية الستراپية على بابل وبذلك زالت مملكة آشور وبابل بالكلية سنة ٥٣٨ ق م

﴿الفصل الثانى﴾

﴿فى تاريخ الميديين والعجم﴾

بلاد ميد عبارة عن أرض أزربيجان وهى تحد من جهة الشمال ببحر الخزر وبلاد أرمينيا والغرب ببلاد آشور الاصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفرثية وهى القطر الكائن بشرقى العراق العجمى وغربى خراسان الآن وجبال الخزر تستر

سائر سطح الجهة الشمالية منها وفى تلك الجهة أيضا ما يوجد من الانهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم فورش أو قور والثانى يسمى آراس وقد كانت مدنها الاصلية فى سالف الازمان كل من مدينة ايكباتان (وهى المعروفة الآن بهمدان) ثم مدينة (راجيس) أى مدينة الرى الآن أما حدود بلاد فارس أو فارستان فقد كانت فى سالف الازمان عبارة عن الارض المحصورة ما بين بلاد ميد المذكورة أعلاه والخليج الفارسى من جهتى الشمال والجنوب وبلاد الكرمان وبلاد بابل من جهتى الشرق والغرب وفيها من جهتى الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول اليها الا بغاية الصعوبة وكانت مدنها الاصلية فى سالف الازمان كل من مدينة برسبوليس (ولعلها الآن اتشهيل منار أو استخر) ثم مدينة بازار جادوهى مدينة (بازا أو فازا)

﴿ديانة الفرس والميديين﴾

وكانت ديانة الفرس تمتاز بصفة روحانية عن ديانة الآشوريين فان الفرس كانوا يعترفون بوجود ذات عليه لا يحويها مكان وكانوا يعبدون النار ويعدونها كأشرف العناصر

واعلم ان الذى أسس دين القوم الفارسيين فى سالف الازمان هو زرادشت ولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا الرجل الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان فى القرن الخامس أو السادس والعشرين قبل المسيح عليه السلام ولا يعلم شئ ثابت صحيح فيما يتعلق بحياة زرادشت المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الدينى الذى اسمه لغاية الآن مشهور وقد دون أحكامه الدينية فى كتاب يعرف الآن باسم (زندوستا) ولا يعرف له أيضا وطن معين ويقال انه كان فى بلاد بكتريان

﴿أورموزد وأهريمان﴾

وقد كان أورموزد فى اعتقاد زرادشت ومن تبع دينه عبارة عن اله الخير فيقولون بانه هو الذى خلق الخلق وهو الروح العاقل الحكيم ويعبرعنه

بروح القدس وأصل الخير ويتصور عندهم بالنور والشمس والنار يدعونها بصفة ولده وانه خالق كل شئ وله اله آخر وهو على الدوام والاستمرار خصم له وان اله الخير فى نزاع مستمر بقصد ان يتسلط عليه ويعلو فوقه وانه هو الروح الخبيث أو أصل الشر ويدعونه باسم (اهريمان) ويقال انه خلق الشر والموت ولابد ان يأتى عليه يوم فى آخر الزمان يغلبه اله الخير ويعلو عليه ويستحيل اله الشر الى حالة العدم وتعود الخليقة كما كانت قبل من الصفو والنقاوة ويذهب اهريمان المذكور الى حيث لا يرجع ويسمى مذهب زرادشت هذا بالديانة المزدية وأما ديانة المجوس عبارة عن مذهب اعتزالى ناشئ عن أصل دين زرادشت مبنى على عقيدة التثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصلين أرموزد واهريمان اللذين هما اله الخير واله الشر عندهم ويتعبدون لعدد عظيم من الآلهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرى لهم ذلك من ديانة الامم المجاورة لهم لاسيما الآشوريين وهذا أمر مناقض بالكلية لاصل شريعة زرادشت الاصلية

﴿ذكر الدولة الميدية﴾

﴿ارباس والدولة الجمهورية الميدية﴾

قد تقدم ان ارباس وفول البابلى قسما المملكة الآشورية قسمين واستقل كل منهما بقسم وبعد هذه الفتنة استقر ارباس فى بلاده الاصلية الا انه لم يكن فيها ملكا حقيقيا بل كان قائدا عسكريا ورئيسا جهاديا لملة مرتبة ترتيبا سياسيا أساسيا على هيئة ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقى الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميديون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من يقوم بأشغالهم فتفرق شملهم وتمزق حالهم وبعد زمن قليل قامت الدولة الآشورية من سقطتها فى أسرع وقت وأعادت قوتها العسكرية

فقامت هذه الدولة وعزمت على اعادة الدول التى كانت خرجت عن طاعتها لولا تعصبات الامم عليها وقد كادت بلاد ميد أن تقع فى حباله أسر الدولة العراقية بالثانى ثم استمروا على ماهم عليه الى ان اجتمعوا فى هيئة دولة واحدة قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية

﴿ذكر ديجوسيس ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميديين﴾

كان هذا الملك فى مبدأ أمره رجلا معتبرا فى قومه فبذل جهده بان يقضى بالحق بين أهل عشيرته بخلاف سائر القبائل الميدية الاخر ولما شاهد أهل بلاده حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك فى جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة واستمروا على ذلك الى ان ولوه ملكا عليهم وبعد ذلك أمرهم بان يشيدوا له قصرا يليق بمرتبته ويرتبوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته فامتثلوا لذلك الامر وبنوا له فى المكان الذى أشار اليه عمارة جسيمة متسعة حصينة ودار مملكة جميلة متينة وأباحوا له ان ينتخب من شاء من جميع أفراد الامة ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرير الملك أخبر الرعية على ان يبنوا له مدينة ويزينوها بانواع الزينة ويحصنوها بالاقلاع فاذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له ما أمرهم به وهى المسماة فى ذلك الوقت باسم (ايكباتان) وهى مكانها الآن (همدان)

﴿ذكر الملك فراوورت﴾ من ٦٥٧ - ٦٣٥ ق م

ولما مات الملك ديجوسيس تولى بعده ولده المدعو فراوورت وكان ملكا مغازيا محبا للجهاد ولا نعلم شيأ صحيحا من أخبار أوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد أشغلها بطرد الآشوريين من سائر الاماكن التى كانوا لم يزالوا عليها مستولين من بلاد ميد ولم يبتدئ فى مغازيه الكثيرة الا فى سنة ٦٥٠ ق م فأطاع أولا بلاد فارس الاصلية وكانت فى ذلك العصر قد أخذت فى ان تتكون فى هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهى متجزئة الى عدة قبائل صغيرة متعددة وكان

ملك الفرس المسمى عند اليونان باسم آشيمينوس هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه الملك فراوورت وأدخله تحت طاعته واليه نسبت العائلة الاشيمينوسية وهى التى تسمى عند العرب والفرس بعائلة الكيانية

ولم تك همة هذا الملك قاصرة على فتح تلك الجهات بل انه أطاع لدولته سائر الامم المتوطنين وراء جبال (هندوكوش) وأدخل أيضا بلاد بكتريان (وبكترية) وملحقاتها من ولاية (هركانيا) والمرجيان والسوجديان تحت طاعته وكانت الامة الارمينية مذعنة بالتبعة لسلطنته وحيث كان الملك فراوورت قد استولى على جميع هؤلاء الامم وبذلك جعل المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية حربية وظن انه يمكنه الاستيلاء على مدينة نينوى وكانت قامت من سقطتها السالف بحثها وعظمتها بعناية الملك ديايلى وشرع فى ان يطيعها الدولته لكن خاب أمله وهلك هو وجنوده جميعا وذلك فى سنة ٦٣٥ ق م

﴿ذكر الملك سياكزار﴾ من ٦٣٥ ـ ٥٩٥ ق م

ولما مات الملك فراوورت تقلد ابنه المسمى سياكزار ملك الميديين فكان أكثر حبا للجهاد من والده وفى مبدأ أمره خرجت عن طاعته أمة الفرثيين فسار اليهم بجيشه وحاربهم وأطاعهم ثم عزم على تتميم قصد والده وهو فتح مدينة نينوى ولحسن تدبيره وسياسته تعاهد مع ملك الكلدانيين وهو نابوبولاصر وزوج ابنته لابن ملك الكلدانيين المذكور وهو بختنصر السابق الذكر بشرط ان يقتسما دولة بنى آشور فاجتمع جيش الميديين مع الكلدانيين وأغاروا على مملكة آشور وذلك بعد وفاة ملكها (ديايلى) سنة ٦٢٥ وحاصروا مدينة نينوى الاان فى ذلك الوقت نزل أقوام عديدة من السيتيين وشنوا الغارة على سائر البلاد الميدية فرجع الملك سياكزار من الحصار وأراد ان يوقف اغارة هؤلاء الاقوام فلم يمكنه ان انهزم واضطر لان يصير تحت طاعة هؤلاء الاقوام المتوحشين واستمروا

مدة ١٩ سنة يخربون فى بلاد آسيا الى ان وصلوا الى الديار المصرية ثم قام الميديون وأشهروا لواء العصيان وطردوا من كان عندهم من هؤلاء الاقوام

و بعد ذلك قام الملك سياكزار وجدد المعاهدة مع نابوبولصر لتنفيذ ما كان قد عقد عزيمته عليه وتحبب اليه العزم على خراب مدينة نينوى فقاما لحصار تلك المدينة وظفرا بها تمام الظفر وقسما البلاد الآشورية الى قسمين فأخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعنى سنة ٦٠٣ ق م حصلت حروب بينه و بين ملك الليديين تمت هذه الحروب أخيرا بالصلح بينهما وتزوج ابن الملك سياكزار المدعو استياج بابنة الملك أليات ملك الليديين

﴿ذكر الملك استياج وزوال مملكة الميديين﴾ من ٥٩٠ - ٥٦٠ ق م

وكان استياج بن سياكزار المذكور قد خلف أباه على سرير الملك فى سنة ٥٩٠ ق م وكان ملكا ظالما فخورا لا مجد له وكان قد رأى فى المنام انه يعزله عن سرير مملكته ابن بنته المسماة باسم (منداته) وكان قد زوجها بولد من ذرية العائلة الفارسية القديمة يدعى قمبيز (غير قمبيز الذى فتح مصر) فاراد ان يقتل الطفل الذى ولدته ما عند ولادته وهو (قيروش) وكلف بهذه المأمورية رجلا من كبار ضباطه يقال له هرباجوس وهذه القصة مبنية على ما حكاه أهل فارس نفسهم فى حكاياتهم الاهلية وروايتهم التاريخية ان هرباجوس المذكور لما أمره الملك استياج بفعل هذه المأمورية أخذته الرأفة على هذا الطفل فألقاه عند راع من الرعاة فلما كبر خرج ذات يوم يلعب مع الاطفال ويجرى صورة رسوم المملكة عليهم ويلقى الاوامر العلية اليهم فعرفه الملك بتقاطيع وجهه فأخذه الى قصره وضمه الى دولته وانتقم الملك من هرباجوس المذكور بان أطعمه لحم ابنه فى هيئة لحم جدى مشوى فحقد عليه هرباجوس المذكور وحمل قيروش على الخروج عن طاعة جده وساعده على ذلك

فعمل

فعمل الحيلة وتوصل لان أشعل نيران الفتنة والعصيان عند أبناء أوطانه الاصليين أعنى الاقوام الفارسيين وكان الملك استياج قد أساء التدبير اذ قلد هرباجوس هذا بر ياسة جنده المتوجه لقمع الفتنة لداعى ما كان قد أسره فى باطنه من الحقد عليه بما أجراه من ذبح ولده واطعامه اياه فترك راية الظفر ومزية الغلبة لرئيس جند القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك بنفسه على رأس جنوده وأراد ان يدفع الجنود الفارسية فلم ينجح ووقع نفسه فى يد أعدائه وكان قد مكث على سرير السلطنة مدة ٣٥ سنة وهو آخر ملوك الدولة الميدية

تاريخ الفرس القديم

﴿ذكر قيروش﴾ ٥٥٩ ـ ٥٤٥ ق م

وكانت هزيمة استياج المذكور وافتتاح بلاد ميد أن صار بيد الملك قيروش (كسرى الاول) الولاية السلطنية على سائر البلاد التى كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصا على الامم الارانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندوكوش) وصحارى بلاد القرمان فبادر بوضع اليد بالفعل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك الامر سهلا عليه اذ كان سائر الملل يميلون اليه

ولما كانت بلاد بكتريان معرضة لكثرة اغارات الاقوام الاغراب وتكرر سقوط هؤلاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والنهب كان أول ما تعلقت به همة الملك قيروش ان ابتدأ القصد الحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين (المسميين الساسيين) وهم قوم من أقوام (يأجوج ومأجوج) كانوا قاطنين حوالى ينابيع نهر سيحون (سيرداريا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى (آمورجيس) وجعل بلادهم ستراپية أى محكومة بحاكم يدعى ستراپ (أى مرزبان) بمعنى العامل على اقليم من أقاليم الدولة الفارسية وفتح البلاد المجاورة لجبال القوقاز

بعد ان قاسى فيها مقاسات عظيمة وهلك منه اناس كثيرون وقد أدخل تحت طاعته كلا من اقليمى طاغستان والجرج والاقوام المدعوون باسم (الكولشيديين) سكان اقليم كولشيدة (وهو المعروف الآن بولايتى ايمرسيا ومنغرليا) وكذا الاقوام الذين كانوا قاطنين فى الجبال الكائنة على الساحل الجنوبى الغربى من بحر الخزر وهم الماردون والمكرونيون وأمة الطبرانيين وهم قوم كانوا مشهورين عند الامم السالفين من أقدم الاعصار السالفة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كلهم كانوا أطاعوا الصواتيه ودخلوا تحت أسر دولتيه وبذلك صار قيروش الفارسى المذكور مستوليا على سائر الاقطار الكائنة بآسيا الصغرى (بلاد الاناضول الآن) الى حد نهر قزيل يرموق

وكان كريزوس ملك الليديين (أمة بآسيا الصغرى) معاصر القيروش وكان هذا الملك مشهورا بغناوته فاتفق ذات يوم انه وجد أحد فلاسفة اليونان المدعو سولون فى معيته فسأله هل يوجد أحد فى الدنيا أغنى منى فجاوبه هذا الفيلسوف اليونانى قائلا ان الانسان لا يعد نفسه غنيا الا اذا انقضت باقى أيامه بالسلم فلم يمض مدة من الزمن الا وقد ثبت كلام هذا الفيلسوف الاجنبى

(نصرة قيروش على كريزوس) ولما علم كريزوس بنصرة العجم على الميديين فبالنسبة لقرابته لاستياج (صهره) عزم على كسر شوكة الاعجام وكان قد أخبره أحد كهنة المعبود (دلفوس) انه اذا تعدى نهر قزيل يرموق لحرب مملكة عظيمة فنظرا لذلك قام لمجادلة الاعجام فالتقى الفريقان فى محل متسع أمام مدينة (سردوس) قاعدة سلطنة الليديين وتم الامر بهزيمة الملك كريزوس ووقع فى قبضة الاسر فامر قيروش بالقائه فى النار فصاح ملك الليديين قائلا سولون ثلاث مرات فأراد قيروش ان يستفهم عن سبب ذلك فقص عليه القصة فلما سمع ذلك قيروش أخذته الرأفة وخاف من تقلب الازمان وأطلق سبيل كريزوس

وعامله

وعامله بالاحسان وكان فى أغلب الاوقات يستشيره فى مشروعاته
وبعد أن خضع قيروش آسيا الصغرى هجم على مدينة بابل ولم يمكنه
الاستيلاء عليها بالنسبة للحصون والقلاع المحصنة فتصنع بحيلة وهى انه
أمر بتحويل مياه نهر الفرات الى بحيرة صناعية فنقصت المياه الى ان
صارت لقرب الرضفة فدخل الفرس المدينة حيث كانت الاهالى مشتغلة
بيوم العيد فلم يروا الا مساء دخول الفرس عليهم واستولى قيروش على
المدينة وقتل أحد قواده المدعو باسم دارا الميدى الملك بلطازار بن نابونيد
كما تقدم
وبعد ذلك بسنتين ترك سبيل القوم العبرانيين الذى كانوا بمدينة بابل
مأسورين وأذن لهم ببناء هيكل أورشليم (بيت المقدس) بالثانى وذلك
سنة ٥٣٦ ق م
وبعد ان أتم فتوحاته رجع الى محاربة الماساجيتيين أمة من السيتيين
(يأجوج ومأجوج قوم من الاتراك) كانوا قاطنين حوالى شاطئ بحيرة
الخزر فلم يمكنه اطاعتهم فتصنع الملك بترك معسكره فدخل الماساجيتيين
وشربوا النبيذ الذى تركوه الاعجام فغابت عقولهم فعاد قيروش ومن
معه وقتلوا خلقا كثيرا منهم فقتل ابن ملكتهم (تومبريس) فأرادت هذه
الملكة ان تأخذ بثار ولدها فعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس فتم
الامر بنصر الماساجيتيين على الاعجام وقتل قيروش فى أثناء ذلك ويقال
ان (تومبريس) المذكورة قطعت رأسه وغمرتها فى قربة مملوأة بدم القتلى
وهى تقول (فلاشبعنك من دم البشر الذى كنت ترتوى منه مدة حياتك)
ومات قيروش سنة ٥٢٩ ق م وترك ولدين الاكبر منهما يدعى قمبيز كان
قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والاصغر يدعى سمرديس كان
قد تقلد بالعمل على ولاية بلاد بكتريان من أعمال سلطنة فارس بشرط
ان لا يدفع لاخيه خراجا وانما يعترف له بالاعلوية السياسية ولما تولى قمبيز
وجه همته لان يشهر نفسه بالفتوحات فقام أولا لفتح الديار المصرية كما تقدم

﴿الفصل الثالث﴾
(فى تاريخ الليديين)

اعلم ان مملكة الليديين كانت مملكة واقعة فى غربى آسيا الصغرى وكان قيروش فتحها بعد ان فتح مملكة الميديين وكان تختها مدينة (سردوس) وهى مدينة على ملتقى نهرى بكتول وهرموس وكانت مياه نهر البكتول تحتوى على صفائح ذهبية ومن هنالك أتت ثروة ملوك ليديا التى طالما بولغ فى كثرتها

﴿ذكر قندول وجيجيس﴾

وقد مكثت هذه المملكة مدة طويلة وهى خاملة الذكر وكان يحكمها الهرقليون (أى ذرية هرقول) وآخر الهرقليين هو قندول وقد حكى أفلاطون وسيسورون ان أحد رعاة الملك المسمى جيجيس وجد فى صورة حصان من نحاس أصفر خاتما عجيبا خاصيته اخفاء من كان حامله عن أعين الناس فأخذ جيجيس وبواسطة هذا الطلسم دخل قصر قندول وقتله واغتصب الملك وهذه القصة رويت عن هيرودوت ورويت بعبارات أكثر قبول للعقل من هذه وهى ان سبب قتل الملك قندول انه ذات يوم أمر امرأته ان تكشف وجهها على جيجيس فلما وجدت ما حصل لها من الاساءة حيث كانت هذه العادة مذمومة عند أهل الشرف فعزمت الملكة على ان تعاقب من أخل بشرفها وعزمت ان لا تخلى سبيل جيجيس وقالت له اما ان تقتل قندول الملك واما ان تقتل نفسك وبناء على ذلك قتل الملك وجلس على كرسى المملكة وذلك سنة ٧٢٨ ق م

﴿اغارة السميريين على آسيا الصغرى﴾

وكان لليونان جملة نزل على سواحل آسيا الصغرى وهذه النزل كانت تمنع الليديين من الوصول الى البحر فقام جيجيس المذكور وحارب سكان النزل اليونانية واستولى على مدينة كلوفون فلما مات سنة ٧٢٠ ق م

قام

قام ابنه المدعو اردبس وأخذ مدينة بريين وهدد مدينة (ميلته) ثم هلك هو وجيوشه فى اغارة السميريين الذين طردتهم السيتيون من بلادهم فأتوا الى آسيا الصغرى وهجموا عليها هجمة السيل على الاباطح فأغرقوها فى بحر ظلمهم ودخلوا مدينة (سردوس) ولا نعلم ما فعلوه هؤلاء الاقوام لكنهم قد انقرضوا بالحروب شيأ فشيأ وفى سنة ٦١٧ قام (اليات) وطرد من بقى منهم من بلادهم وكان فى ذلك العصر حصلت اغارة السيتيين على بلاد ميد كما تقدم

وفى سنة ٦١٠ قام حصل بين الليديين والميديين حروب طويلة انتهت بالصلح عند ما شاهدوا حادثة كسوف الشمس وتزوج استياج بن سياكزار ملك ميد بابنة ملك الليديين (اليات) وحصل بين الفريقين جملة مواثيق وعهود

﴿ذكر كريزوس بن اليات﴾

ولما مات اليات قام بالامر بعده ابنه كريزوس وهو آخر ملوك هذه الدولة وكان ملكا قد اشتهر فى الازمان السالفة والاحقاب الخالية بالغناوة والثروة فلما علم بان قيروش هزم استياج صهره قام لمساعدته (كما تقدم) فالتقى مع جيوش الفرس ووقعت بينهما مقتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين الا انه لم تتحقق النصرة لاى الفريقين حتى دخل الليل فانتهى بذلك الحرب فعاد كريزوس الى مدينة (سردوس) التى هى قاعدة سلطنته ومركز حكومته وبعث يطلب المدد من الديار المصرية وبابل واقدمونيا (ببلاد اليونان) لما كان بينه وبينهم من العهود وعزم على ان يعود بالحرب فى فصل الربيع الآتى ثم بلغ الخبر ملك الفرس بان كريزوس اعتمد على طول المدة وفرق شمل جنوده فبادر فى الحال ملك الفرس وحاصر مدينة سردوس فجمع ملكها ما قدر عليه من العساكر والتقى الصفان والتحم الجيشان فى سهل متسع عظيم مكشوف أمام مدينة سردوس المذكورة عند ملتقى نهرى هيلوس وهرموس وهو

النهر المعروف الآن بنهر (شرابات أو القادوس) بالقرب من مدينة أزمير فهزمت الجيوش الليديون شرّ هزيمة وانحصر الملك كريزوس في مدينته أربعة عشر يوما من ذلك الحصار هجم ملك العجم بجنوده على تلك المدينة فدفعهم القوم المحصورون في أوّل الامر وكان بعض جنود الفرس قد لحظ بالامس طريقا يوصل الى مكان من سور القلعة فأرشد اخوانه اليه وصعد عليها وتبعه كثير من أصحابه وبذلك دخل قيروش المدينة وزالت مملكة الليديين

﴿الفصل الرابع﴾

(في تاريخ الكنعانيين والفنيقيين)

وقد كانت مدائن الكنعانيين من أوّل الامر على سواحل الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي سنة ٢٥٠٠ قم تقريبا كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولية هذه اما لداعي زلازل أرضية وقعت فأخرجتهم منها كما ذكر ببعض الروايات واما لداعي حروب حصلت بينهم وبين ملوك بابل وكانوا قد انتصروا عليهم فيها فاضطروا للمهاجرة من أوطانهم الاصلية وهاجروا كلهم منها الى بلاد الشام ولما استقروا بها تغلبوا على تلك البلاد ووضعوا اليد عليها وتفرقوا هنالك الى فروع عدة طوائف منهم مكثت ببلاد فلسطين وبعضهم مكث بين جبل لبنان والبحر المتوسط ومنهم قبيلة تعرف باسم (الهيثيين) استقرت بوادي نهر العاص وقسم أغار على مصر مسترشدا بجماعة من القوم (الهيثيين) المذكورين واستولوا عليها وهم المعروفون باسم أمة الهكسوس السابقة الذكر

أما أمة الفنيقيين الموصوفة بالجراءة والنشاط وحب السفر لما رأت نفسها محصورة بين جبال لبنان والبحر الابيض وجهت همتها للملاحة والتجارة فامتدّت أسفارها الى أقاصي العالم المعروف وقتئذ وبهذا زادت ثروتها وقوتها حتى فاقت عن غيرها في الصنائع التي منها معرفة عمل

الزجاج

الزجاج الذى أخذته هو وباقى معارفها من المصريين وقد اشتهرت منسوجات الفنيقيين المصبوغة باللون القرمزى كما وانه ينسب الى هذه الامة اختراع فن الكتابة التى وصل منها الى اليونان وقد اشتهرت مدن فنيقيا منها مدينة صيدا وصور

﴿مدينة صيدا﴾

وبينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفتحوها فى ذلك العصر (ملوك الرعاة) قد كان من بقى من مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين (أى سكان مدينة صيدا) يظهر انهم لم يكن لهم أطماع حربية ولا رغبة جهادية فى الارض القارة فلذلك انصرفت قوتهم وتجردت نشاطتهم وشهامتهم للتشبث بالاعمال البحرية وقد مكثت (صيدا) فى قبضة المصريين من العائلة الثامنة عشرة الى العائلة المتممة للعشرين

وفى عصر فرعون رمسيس الثالث ملك مصر أغار على فنيقيا قوم يعرفون بالقوم الفلسطينيين وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريت) وكان أول نزولهم على سواحل بر الشام نواحى (غزة) و (اشدود) و (عسقلان) وبعد ذلك بنحو مائة سنة كانت قد اشتدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت أطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد سوريا الجنوبية وتجاروا على ان شنوا الغارة على بنى اسرائيل ووقعت لهم عدة وقائع حربية كان لهم فيها النصر عليهم وبذلك استولوا على سائر بلاد بنى اسرائيل وأذاقوهم أشد الجور والظلم مدة أكثر من نصف قرن وفى سنة ١٢٠٩ ق م قام اسطول من سفن الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين غفلة أمام مدينة صيدا ولم يكن عند أهلها استعداد لذلك فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الفنيقية العظيمة هذه التى كانت بنت كنعان البكرية وأخذوها بالقوة القهرية وأخربوها وأزالوها من ظهر الدنيا بالكلية وهذا هو المسمى بعصر الصيداويين أى وقت ان كانت

صيداهى مركز قوة الفنيقيين

﴿مدينة صور﴾

وقد كانت جموع الاقوام المهاجرين من أهل (صيدا) قد اجتمعوا فى مدينة صور وكانت هذه المدن لغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية من جملة المدن الفنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت صفتها وارتقت حالا نهادفعة واحدة وبلغ عدد سكانها الى أكثر من أضعاف ما كانوا عليه مرتين وصارت هى الكرسى الاصلى والمركز السياسى لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هى المركز الدينى فقط وخلعت مدينة صيدا من كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية وكان بها معبد بعل ملوخ (ميلكارت)

﴿ذكر محالفة مدينة صور مع بنى اسرائيل﴾ فى سنة ١٠٥١ ق م وقد كان نزول القوم الفلسطينيين المذكورين سببا فى تبديل أحوال العلائق التى كانت بين بنى اسرائيل والفنيقيين فى ذلك الوقت وذلك ان الاسرائيليين فى أول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا أعداء للصيداويين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شنوا الغارة عليهم دفعة واحدة وظفروا بهم نخوفا من ان يستولوا عليهم ويستعبدوهم استعبادا مخلدا تمكن فى أذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين وكان الملك (هرام) الثانى ملك صور معاصر السيدنا داود عليه السلام ملك اليهود فبعث اليه رسلا من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين ثم تفرغ الملك هرام الى بناء الهياكل والمعابد والقصور بمدينة صور وغير ذلك فبينما كان ملك صور المذكور مشتغلا بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفى داود وخلفه على سرير الملك ولده سليمان عليهما السلام فبادر ملك صور وهو هرام بان بعث الى القدس الشريف سفارة لقصد تهنئة ولد حليفه على تقليده ملك بنى اسرائيل وكان داود

قد

قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان بان يبنى هيكل بيت المقدس لعبادة المولى سبحانه وتعالى فطلب هرام لمساعدته وتعاهدا على أن يعملا بمصاريف مشتركة وذلك سنة ١٠١٨ ق م ولما مات هرام المذكور خلفه ملوك لا فائدة فى ذكرهم بالنسبة لعلم التاريخ

﴿تأسيس مدينة قرطاجة﴾

ولما مات (ماتان) ثالث ملوك هذه العائلة كان قد خلف اثنين أحدهما ذكر يبلغ من العمر ١٢ سنة يدعى باسم (بجماليون) والثانى أنثى كانت أكبر منه سنا تسمى (الياسار) وكان أبوهما قد عهد اليهما بالاشتراك فى الحكم وكان عوام الرعية يرغبون فى تغيير صورة ولاية الامر الفنيقية من هيئة الحكومة الملوكية ويبدلونها الى هيئة دولة أهلية فأثاروا فتنة داخلية وولوا على سرير المملكة الصورية بجماليون وحده دون أخته واتخذوا له مجلس شورى من أرباب المناصب الدولية المساعدين على هيئة الدولة الاهلية وبذلك خرجت أخته من حق المملكة فما كان منها الا ان تزوجت برئيس طائفة خدمة المعبود (ميلكارت) المدعو (زيشار بعل) فقتله بجماليون المذكور اذ كان يرى انه مزاحم له على سرير المملكة فتعصبت (الياسار) مع جم غفير على عزل أخيها فقويت الفتن واشتدت المطاعنة للحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة صور فصمموا على الخروج من ديارهم الصورية استنكافا من ان يبقوا فيها تحت ذل العصبة الاهلية واستولوا على السفن المتجهزة للاقلاع على حين غفلة وركبوا فيها وسافروا فى البحر تحت قيادة (الياسار) وساروا حتى نزلوا بساحل أفريقا واختطوا هناك مدينة قرطاجة (لعلها الآن تونس) وذلك سنة ٨٦٩ ق م وصارت هذه المدينة قرينة (روما) الكبيرة (كما سيأتى) وسميت (الياسار) المذكورة باسم ديدون (أى المحاربة باللغة الفنيقية ومعنى قرطاجة المدينة الجديدة)

وبعد ذلك استمر ملوك صور مدة من الزمن فى حروب بينهم وبين ملوك آشور الى ان وقعت فنيقيا وما جاورها من المدن فى قبضة الآشوريين أما مدينة صور بعد ان حاصرها بختنصر ملك بابل مدة ١٣ سنة ودمر جزأ منها انتقلت على جزيرة صغيرة مجاورة للساحل الا انها لم تقدر على اعادة مجدها القديم ثم وقعت مملكة فنيقيا بعد ذلك فى حوزة فرعون مصر (واح ابرع) وبعده دخلت ضمن مملكة فارس أيام قمبيز ملك العجم

﴿الاراميون﴾

كان الاراميون الذين هم من بنى سام ساكنين من منذ الازمان الغابرة شمال سوريا الممتدة من جبال لبنان لغاية نهر الفرات ولم يرى فى التاريخ ما يدل على انها انضمت الى بعضها بل بقيت فروعها متفرعة كل فرع قائم بذاته وسنقتص بالذكر أشهر هذه الفروع كان الخيتاسيون أحد فروعها وهى التى تلقت من القوى أقصاها ومن الصولة أعلاها حتى اقتدرت بما لها من قوى وعزائم وجليل الهمم على مكافحة فرعون مصر خصوصا رمسيس الثانى صاحب الفتوحات الباهرة ومن أشهر مدن سوريا مدينة دمشق التى بعد ان انفكت من أسر الاسرائيليين ارتقت الى درجة سامية من العز حتى صارت قاعدة مملكة شهيرة لها شأن عظيم فى التواريخ ومع كل ذلك لم نجد نصوصا تاريخية تدل على ان بلاد سوريا توحدت فيها الكلمة بل توالت عليها القرون وهى متجزئة بين ساكنيها وهذا التفرق وعدم توحيد الكلمة بين أهلها أضعف شوكتها وبذا لم تتمكن من مصادمة هجمات الفاتحين العديدين الذين ساروا بالتعاقب على بلاد سوريا الغربية على ممر الاعصار وبعد ان تعاقب عليها المصريون والآشوريون والبابليون انتهى أمرها بالدخول ضمن مملكة الفرس واشتهرت على من جاورها من الممالك

﴿الفصل الخامس فى تاريخ العبرانيين﴾

كان ابراهيم الخليل عليه السلام من ذرية سام بن نوح عليهما السلام

وهو

وهو جد العبرانيين والعرب ولد فى مدينة أور (أورفا أو الرها) بالفرات فهجر وطنه سنة ٢٢٠٠ ق م ووصل أرض كنعان بجنوب الشام وكان من نسله اسمعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام الذين قاموا بعبادة الله وحده حينما كانت جميع الامم غارقة فى بحر الضلال يعبدون الاوثان ولما ترقى يوسف عليه السلام أحد الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب (اسرائيل) عليهم السلام الى درجة سامية فى عصر ملوك الرعاة أحضر بنى اسرائيل وأسكنهم وادى غسان (المعروف الآن برأس الوادى) ومن المحتمل ان حسن استقبال ملوك الرعاة لاولاد ابراهيم عليه السلام مترتب على بعض المجانسة فى الشبه بين هذين الجنسين وبعد ان قطن العبرانيون بمصر أربعة قرون كثر عددهم حيث صاروا أمة لا تحصى وكانت فراعنة العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة يبغضونهم كلما تذكروا عصر ملوك الرعاة خصوصا لما عاينوا سرعة نمو هذه الامة الاجنبية المغايرة لهم فى الدين والعوائد فحملوهم ما لا طاقة لهم به وعاملوهم معاملة السوء واستعملوهم فى الاشغال الجسيمة التى شرعت فيها العائلة التاسعة عشرة مدة رمسيس الثانى حيث استعملهم فى تشييد هيكل مدينة بيتوم ورمسيوم بوادى غسان

وكان موسى عليه السلام من نسل بنى اسرائيل وتربى فى دار الفراعنة المصرية وتعلم ما يبيد الكهنة المصرية من العلوم وقام لتخليص قومه فنجاهم من العذاب فقادهم الى خارج مصر ومن المحتمل أن يكون أحد خلفاء منفطا الاول هو فرعون ذلك العصر وكان أذن لبنى اسرائيل بالخروج ثم ندم على ذلك واقتفى أثرهم بجيشه الجرار فغرقوا جميعا فى بحر القلزم (خليج السويس) وقد ذكرت التوراة انه هلك مع قومه فى ذلك البحر

أما العبرانيون فانهم بعد ما جاوزوا البحر مكثوا فى صحراء وادى التيه (بجبل الطور) فى بلاد العرب مدة أربعين سنة وأوحى الله على نبيه موسى

عليه السلام بجبل الطور قانونا كلفهم بعبادة الله وحده سبحانه وتعالى وعلمهم آيات أصول الادب وأدخل فيهم الحياة الدينية والمدنية ولما مات موسى عليه السلام قام بالامر بعده يوشع عليه السلام وأغار بهم على أرض كنعان فاستولى عليها وقسم أرضها التى على شاطئ نهر الاردن بين الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب عليهم السلام وكانت هذه الاسباط عبارة عن أمم متعاهدة مع بعضها يجمعها علاقة الدين والاحاديث العامة ولما كان العبرانيون تحيطهم الاعداء من كل ناحية جعلوا لهم حاكما سموه قاضيا ليدفع صولة الصائلين وكان أشهر هؤلاء القضاة جزعون ونفتح وهما اللذين خلصا قومهما من جور جيرانهم وأما شمسون فكان ذو قوة مفرطة فزع منها أهل فلسطين ثم شمويل عليه السلام وكان حبرا وقاضيا للاثنى عشر سبطا وأراد أن يحدث حادثة كبيرة فى ترتيب دولة بنى اسرائيل لقصد زيادة تثبيت دولتهم فشرع فى جعل ولاية أمرهم العليا وراثية لعائلته لكن لم يتيسر فيهم من يقوم بواجب العدل والانصاف وصاروا يأخذون الرشا على الحكام فحصلت فتنة داخلية وأرادبنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكا ينظر فى أمورهم فامتنع من ذلك أولا مستندا للاصل القديم المقتضى ان بنى اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة توجه نظره الى شاب جميل الصورة بسبط بنيامين وهو شاول (المعروف فى تاريخ أبى الفدا باسم طالوت) فانتخبوه ملكا عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم وذلك فى سنة ١٠٩٢ ق م

﴿تاريخ بنى اسرائيل مدة ملوكهم﴾

﴿ذكر شاول أو طالوت﴾ ١٠٩٢ - ١٠٥٦ ق م

وقام شاول المذكور بقيادة بنى اسرائيل لكن تملكه على الامة العبرانية وولايته على الملة الاسرائيلية لم تكن الاولاية جهادية ومملكة عسكرية لاغير بما أنه استمر مدة مديدة وهو تحت طاعة صاحب الولاية الدينية

وهو

وهو شمويل وقد كان ملك العمونيين المدعو (نابال) كان قد غزى بنى اسرائيل ووضع الحصار على احدى مدنهم (يبس) أو (سالم) التى نشأت فى مكانها (ارشليم) فجمع شاول من بنى اسرائيل نحو ثلاثة آلاف مقاتل فانهزمت أمة العمونيين ونزل مدينة (جلجاله) منتظرا قدوم العبرانيين للتحية عليه فحيوه بملك بنى اسرائيل من جديد وهنؤه بهذا النصر السديد وكان الفلسطينيون قد عادوا بجنود عديدة للغارة على أرض بنى اسرائيل بالثانى ولكن انتصر عليهم حيث ساعده ولده (يوناتاس) الذى كان اشتهر بالشجاعة والاقدام وبعد ذلك شنّ الغارة على العمالقة انتقاما لما فعلوه ببنى اسرائيل حيث كانوا قد منعوهم عند حضورهم من مصر للتوطن بأرض كنعان فحاربهم وقتلهم وأسر ملكهم المدعو (أجاج) ثم انه خالف أمر شمويل حيث كان قد أمره بقتلهم وقطع دابرهم فعفا عن (أجاج) المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وشمويل وتحكمت العداوة بينهما وهاجر شمويل الى بيت لحم وجعل داود ملكا على بنى اسرائيل وكان شاول قد أصيب بداء (المالیخوليا) وكان لا يسكن الا اذا جاء داود عليه السلام وضرب له على عوده المشهور فأحبه وغمره بنعمه ورقاه لمرتبة سائس ركابه وهو لا يدرى أنه قد لبس التاج فى السر بدلا عنه ثم اشتهر داود بقتل (جالوت) أحد أبطال الفلسطينيين فلما عاين ذلك الاعداء فروا على أقدامهم هاربين وتبعتهم بنو اسرائيل وفرقوا شملهم وغنموا منهم غنائم عظيمة فلما بلغ ذلك شاول صاهره لكن لما شاع صيته بالشجاعة عند بنى اسرائيل بغضه شاول وأراد قتله ففرّ هاربا واتفق ان الفلسطينيين كانوا قد شنوا الغارة على بنى اسرائيل فقتل شاول وابنه يوناتاس فعاد داود وقلد بولاية الامر وذلك سنة ١٠٥٦ ق م

﴿ذكر داود عليه السلام﴾ ١٠٥٦ ـ ١٠١٦ ق م

ولما كانت الاقوام الفلسطينية يسطون على الدوام على أمة اليهود

و يأخذون منهم الجزية فلم يسع داود ان يستطع لهذا العار فقام وحارب هؤلاء الاقوام وأدخلهم تحت طاعته وحارب العمالقة والايدوميين جنوب بلاد الشام وكذا العمونيين (سكان بلاد عمان) وبالنسبة لذلك قامت القيامات والعصب فى جميع البلاد الكائنة بين نهرى الاردن والفرات فلم ينزعج داود منهم بل سار بنفسه اليهم وقاتلهم واستولى على مدينة دمشق وسوريا وحمص وشتت شمل أمة الايدوميين بوادى الملح وأحدث طرق مواصلات تجارية فيما بين عمالكه وبحر القلزم وأقصى بلاد آسيا وأفريقا ونزل على القوم المسمين باسم (اليبسيين) وهم أشجع الاقوام الكنعانيين فقاتلهم وأخذ منهم قلعتهم المسماة باسم (يبس) أو (سالم) وهى التى نشأت فى مكانها مدينة أورشليم أو بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد وأدخل فيها النظام العسكرى والمدنى وكان عصره أعظم أعصار أمة اليهود وفى آخر سنة من حكمه خرج عليه ولده المسمى باسم (عادونياش) وكان داود عهد بالملك لولده سليمان فتخلى عن عادونياش أصحابه المتعصبون معه فدخل تحت طاعة أبيه وعفا عنه

﴿ذكر سليمان عليه السلام﴾ ١٠١٦-٩٧٦ ق م

قد اشتهر سليمان بالحكمة وفصل الخطاب وكان أبوه وطد له دعائم المملكة فلم يحتاج عليه السلام لاقامة حروب مع أى أمة ما غير ان أخاه المدعو عادونياش السالف الذكر قام عليه ونازعه فى الحكم فقتله سليمان ليصفو له سرير الملك من العاهات التكديرية وبعد ذلك صرف مدة حكمه التى هى عبارة عن أربعين سنة فى أنس وكان مهادنا لكل من جاوره من الامم وهو الذى بنى معبد القدس الشريف حسب وصية من أبيه فأمده (هرام الثانى) ملك صور (كما تقدم) بكل ما يلزم لبنائه من عمال ومواد وأتمه فى سبع سنين وكان يوجد به كثير من التماثيل التى لم يسمح بها

وقد اشتهر سليمان بالحكمة كما أسلفنا فكان مهابا محترما عند جميع الامم حتى سمعت اليه بلقيس ملكة سبأ من أقصى بلاد العرب لسماع حكمته وتزوج بها وكان يميل للمشروعات الجسيمة فكانت أساطيله تجول الاقيانوس الهندى لتبحث فيه على الذهب والعاج والامتعة الثمينة وكان ملاحوه من الفنيقيين ولا يخفى ان هذا الامر يحتاج لتبذير أموال جسيمة فلذا ألزم أهل مملكته بالمغارم فحصل لها ضجر عظيم ظهرت نتيجته بعد موته

﴿ذكر مملكتى يهوذا وبنى اسرائيل﴾

﴿ذكر رحبعم﴾

وبمجرد موت سليمان كان قد قام بعده على الفور ابنه (رحبعم) وذهب الى مدينة سيشار أو (نابلس) اذ كان قد اجتمع فيها سائر بنى اسرائيل ليقلدوه ملكا عليهم وكان رئيسهم رجل يدعى يربعم فطلبوا منه أن يحط عنهم بعض ما كان أبوه قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك وأغلظ لهم الجواب فقام جميع بنى اسرائيل ودخلوا خيامهم فارسل رحبعم بن سليمان وزيره المدعو باسم (عادورام) لمنع هذا القيام فرجموه بالاحجار حتى مات وخشى رحبعم على نفسه ففر هاربا الى أورشليم وخرج عن طاعته عشر أسباط من الاسرائيليين ماعدا سبطى يهوذا وبنيامين حيث بقيا على طاعته وبايع الاسباط العشرة يربعم المذكور وهكذا انقسمت الى قسمين قسم فى الجنوب عبارة عن سبطين وسمى مملكة يهوذا وقاعدته القدس الشريف وقسم فى الشمال عبارة عن عشر أسباط وسمى مملكة بنى اسرائيل وقاعدته مدينة السامرة

﴿ذكر مملكة يهوذا﴾

مكثت هذه المملكة نحو ٨٩٣ سنة وفى السنة الخامسة من حكم رحبعم بن سليمان دخل شيشنق رأس العائلة الثانية والعشرين أرض فلسطين بجيش جرار واستولى على بيت المقدس ونهب الاوانى المقدسة

من الهيكل وكذا القصر السليمانى ثم رجع الى بلاده بهذه الغنائم وذلك سنة ٩٧٠ ق م وقد كابدت هذه الدولة محنا جسيمة من مهاجمة الامم المجاورة لها من ذلك ان سنحاريب هدد بيت المقدس فالتزم حزقيا ملك اليهود وقتئذ ان يعقد معاهدة مع ملك مصر سباقون الاتيوبى فهلك من جيش سنحاريب عسكر لا تحصى (كما سبق ذلك) ثم وقع منشا بن حزقيا الصالح فى قبضة أسارادون ملك آشور سنة ٦٧٥ ق م ولما قام نبخاوس الثانى تقدم الى نهر الفرات وحاصر مدينة قرقيش الكائنة على هذا النهر بيد أنه انهزم أمام خصمه بختنصر وعاد المصريون بالخيبة الى بلادهم أما البابليون فاستولوا على بيت المقدس وقتلوا ملكه وولوا بدله صدقيا بن يوشيا فعصى على بختنصر واستنجد بملك مصر ابرياس (واح ابرح) فانهزم أمام خصمه ووقع بيت المقدس فى يد بختنصر بعد حصار ثمانية شهور ودمرته الكلدانيون وأسر صدقيا بن يوشيا الذى هو الملك المتمم للعشرين بعد سيدنا داود عليه السلام وأسروا جميع من نجى من القتل

ولو انه لم يكن لليهود دور مهم فى السياسة مع انهادون غيرها من الامم التى يختلط بها فى المدن الا اننا نرى لها تأثيرا مهما على الآداب لمحافظتها على عقيدة وحدانية الله سبحانه وتعالى ومع انها احتجبت عن العلوم والصنائع الا انها قد ارتفعت بواسطة الوحى الى درجة عالية من سمو الافكار كما يتبين ذلك من صحف الانبياء التى التوراة احداها

﴿ذكر مملكة بنى اسرائيل﴾

وقد بقيت هذه المملكة نحو ٢٥٥ سنة وفيها انتشرت عبادة الاوثان ونرى تاريخها مشحونا بالكبائر والكفريات حتى قام عليها ملكا آشور وهما تجلات فلصر الثانى وسلمنصر ودمرا ها وسبيا أهلها ثم بعد ذلك بمدة حضر سرجون وحاصر مدينة السامرة ثم استولى عليها ونهبها ونقل أهلها الى بلاد ميد وأرسل الى تلك المدينة بدلهم بأمم من آشوريين وكلدانيين

وكلدانيين

الباب الثالث

﴿فى تاريخ مصر وهى فى حكم الفرس﴾

﴿العائلة السابعة والعشرون الفارسية﴾

(ذكر قمبيز بن قيروش) من ٥٢٩ـ٥٢٥ ق م

ولما تمكن الملك قمبيز من ديار مصر وتسلطن عليها سعى فى ان يجذب قلوب المصريين اليه بواسطة تقليد من بقى من أعيانهم بعلامات الامتياز وقرب اليه أمناء الديانة ليتعلم منهم ما اشتهروا به من العلوم والفنون حتى انه كان قد اتخذ لنفسه ألقاب سلطانية مصرية وأراد ان يوهم الناس انه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية وسمى نفسه أيضا بمختصر الثانى

وكانت مصر قد تمهدت للقوم الفارسيين ولم يرفيها كما فى عهد افتتاح الاتيوبيين لها واستيلائهم عليها فى العصر السالف ان قام بالاقاليم البحرية (أى الدلتا) منها بعض عصب أهلية ولا حصل بها حروب حربية لقصد اخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيوش الفارسية قد أفزع سائر الامم المجاورين لها حتى ان الليبيين أذعنوا له بالطاعة من غير قتال وكذلك اليونان سكان برقة ولما صفا له الحال شرع فى ثلاث غزوات الغزوة الاولى كانت مع أهل قرطاجنة والثانية نحو (واحات آمون) والثالثة نحو بلاد الاتيوبيا فجهز للاولى اسطولا مركبا من اناس بحارة من الفنيقيين أى الصوريين فامتنعوا من موافقته على التوجه للهجوم لداعى قرابتهم بالقرطاجيين فتوجه قمبيز بجنوده الى بلاد الاتيوبية بجراءة لا يتصورها العقل غير ملتفت لمؤنة جيوشه من الذخائر الضرورية ولا لما يازم لنفسه من وسائل الاحتراس ولما وصل الى مدينة (طيبة) الصعيدية وجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو

خمسين ألف عسكرى لمحاربة الآمونيين (سكان واحه سيوه) التى بها معبد آمون المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتير) وأمر عسكره باحراق ذلك الهيكل وما فيه من الكهنة واستمر على السير بباقى جنوده الى جهة بلاد الاتيوبية وأراد ان يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند اعوجاجه الكبير وتوغل بعساكره الكثيرة فى الصحراء المعروفة الآن بصحراء كروسكو لكونها أقرب طريق للاتيوبيا فلما قطع ربع الطريق ووصل الى سهول متسعة من الرمال لاشجر فيها ولا علف للدواب ولا ماء للشرب تخلص زاده ولحق جيشه القحط والجوع حتى أكل بعضهم بعضا بالاقراع ثم خاف على نفسه فرجع هو ومن بقى معه وأما من توجه منهم الى الواحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثر وبقى حالهم مجهولا لغاية الآن وقد روى عن بعض الكهنة الآمونيين ان فرقة الجيوش الفارسيين الذين كانوا قد توجهوا الى تلك الناحية لما وصلوا الى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة فدفنتهم تحت جبال من الرمال

ثم اعتراه داء الجنون وصارت أفعاله اختلالات ومفاسد حتى اتفق عند رجوعه من غزوته الخائبة الى مدينة منف عيد اقامة معبود لهم جديد وهو العجل المشهور باسم (أبيس) حيث مات لهم عجل قديم فظن انهم فرحوا لهزيمته فقتل الكهنة وأرباب الحل والعقد دون ان يسألهم عن الاسباب وطعن العجل معبودهم فادماه على الارض ونهب ما كان بالمقادير من النفائس القديمة وقتل أخته التى هى زوجته أيضا وكان قد تزوج بها على خلاف عاداتهم اذ كانت العادة عندهم لا تجوز للاخ أن ينكح أخته ان كانا شقيقين

ويقال انه كان يتسلى بقتل الاعجام ويذبحهم كالاغنام وقد قيل انه دفن اثنى عشر رجلا من أعيانهم أحياء فى ساعة واحدة وهال عليهم التراب

اذ خطر له انهم يستحقون هذا العقاب ونبش قبر الملك أمازيس وضرب بالنخاس جثته وأيضا القبر المشهور باسم سيرا بيوم (مدفن بسقارة كان يدفن فيه العجل أبيس بعد موته) وأخذ ما كان به من الحلى والى غير ذلك من الاحوال الشنيعة ثم خرج من مصر بعد ان جعل نائبه على مصر (اريانذس) العجمى قاصدا بلاد فارس لاطفاء الفتنة التى أقادها غومات المجوسى المسمى أيضا جوماتيس المدعى انه سمرديس أو برديا أخو قمبيز لكونه كان مساويا له فى الذات ولما وصل الى برالشام وجد غومات يدعو الناس للمبايعة وبالجملة يطلب مبايعة عسكر قمبيز فمنعهم من المبايعة متعللا ان أخاه قتل وان غومات المذكور ليس من بيت الملك فلم يصغوا لقوله بل حملوه على الحقد لاخيه ثم نزل ليقضى بعض حاجته وبعد قضائها أراد ان يركب جواده فانزلق سيفه من غمده وجرحه جرحا بليغا ألزمه الفراش فمات بعد ذلك بقليل

﴿ذكر سمرديس الكذاب﴾

واستمر المجوسى المذكور ملك بلاد العجم حتى ظهر غشه فقام سبعة من الاعيان كان من جملتهم رجل يدعى داريوس (المعروف عند مؤرخى العرب باسم دارا) فأشار على الامة بالتوجه فى الحال ليهجموا على الملك المجوسى فى قصره ويقتلوه فوافقه جميعهم على ذلك وقتلوه وكل من صادفوه فى قصره من المجوس وبلغ هذا الخبر الى جميع البلاد الفارسية فقام أهل البلاد وقتلوا كل من قابلهم من المجوس ولما تم الامر بهذا الوجه المذكور اجتمع السبعة المتعصبون على من يكون الملك اذ كان أهل بيت الملك قد انقرضوا فاتفقوا على ان يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم الغد راكبين على ظهور أفراسهم أمام المدينة وأول من يسلم على الشمس وهى طالعة باول صهيل حصانه صار هو الملك المتقلد بتاج الملك دون غيره منهم وكان الذى فاز بذلك هو دارا المذكور بواسطة حيلة وخديعة من سائسه فتولى السلطنة

سنة ٥٢١ ق م

﴿ذكر دارا الاول ابن هيستاب﴾ ٥٢١-٤٨٥ ق م

وبمجرد موت قمبيز كثرت الفتن واشتدت العربدة بمملكة فارس ومازالت تأخذ فى الازدياد الى عهد تقليد دارا بتاج المملكة وكان بمدينة بابل رجل زعم انه ابن الملك نابونيد (والد بلطازار) الذى هو آخر ملوكها وعصى على دارا فتوجه اليه بجنوده وقاتلهم أشد القتال فانتصر عليهم على شواطئ نهر الدجلة وأخرى على نهر الفرات فالتجأوا الى مدينة بابل فحاصرهم بها مدة عشرين شهرا ولم ينتهى هذا الحصار حسب ماحكاه هيرودوت (المؤرخ اليونانى) الا بواسطة خديعة حصلت على يد رجل فارسى يقال له زوبير (بالزاى المعجمة) وهو أحد الامراء السبع السالفى الذكر فقطع أنفه وآذانه وذهب على هذه الهيئة الى القوم البابليين لقصد أن يوهمهم ان الملك (دارا) هو الذى فعل به تلك الفعلة القاسية وانه انحاز اليهم لينتقم لنفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فتمت عليهم هذه الحيلة وصدقوه فسلم المدينة لملك فارس بواسطة هذه المكيدة فكافأه مولاه بأن قلده الولاية السترابية على بابل وحصلت جملة فتن فى الاقاليم الشمالية لكنها قمعت بعناية الملك دارا وبعدان أطفأ سائر الفتن الاهلية ورتب جميع بلاد سلطنته ترتيبا سياسيا تراآى له من عزم الامور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية فتح بلاد أوروپا فشن الغارة على القوم السيتيين من جهة شمال بحر (بنطوكسان) فاجتاز بوغاز البسفور (وهو بوغاز القسطنطينية الآن) وذلك بوضع سفنه بجانب بعضها واخترق أراضى (تراقيا) وأنشأ قناطر على نهر الدانوب (الطونة) واجتاز بهم عليها وأقام من كان فى جيشه من اليونانيين حرسا عليها وأخذ يتتبع الاقوام السيتيين فى تلك الجهات فلم يثبتوا أمامه بل صاروا كلما دنا منهم يتباعدون وهكذا مازالوا ينتقلون ويرتحلون أمام الفرس فى سهول متسعة لا آخر لها حتى كادت ان تنفد ذخائر جنوده ويلحق القحط جيوشه فرجع القهقرى

لاجل

لاجل أن لا يقع فى مثل ماوقع فيه سلفه (قبيز) من المصائب بديار مصر وكانوا قد تركوا مرضاهم فى الطرق ولم يحملوهم معهم حيث كان العدو كاد ان يلحقهم و يبطش بهم حيث علموا ان جيوش الفرس قد اضمحلت قوتها وعاد (دارا) الى بلاد آسيا بعد ان هلك عدد عظيم من جيشه وكانت مصر فى أيامه سعيدة لانه عامل أهلها بحسن المعاملة كى ينسوا ماوقع من سلفه قبيز وهذا الملك هو الذى شرع فى عمليه حفر الترعة التى توصل النيل بالبحر الاحمر كما دلت المنقوشات الفارسية التى وجدت بتلك الجهة وأصلح الطريق الموصل من بندر قنا الى القصير وأمر بقتل ايرياندس العجمى حيث ظلم المصريين ولما كانت عادة الفرس الجور على رعاياهم خرجت مصر عن حكمه فى السنة الاخيرة ولبس التاج الملوكى المصرى أحد ذرية بسامتيك المدعو (خبيش) فاجتهد دارا فى ادخالها تحت الطاعة فمات والفتنة باقية بمصر سنة ٤٨٥ ق م

﴿ذكر الملك خبيش﴾

وكان استيلاؤه على مصر باتفاق رأى الامة المصرية قال (ماريت) وفى مبدأ حكمه حصن مصر بالقلاع المتينة حتى صارت مستعدة لدفع هجوم الفرس عليها وكان مكث ثلاث سنين فى تقوية الوجه البحرى وتحصين الاباطح وأشاتيم النيل لانه كان يظن ان الفرس ستهاجمه من البحر فجعل أقوى استحكاماته فى السواحل فلما جاءه شيارش بالهجوم لم تثبت أهل الوجه البحرى فى صف القتال الاقليلا حتى استسلمت العساكر الفرس فعاملتهم الفرس معاملة القسوة والجبروت وضربوا المغارم على كهنتهم ونهبوا ما كان فى معبد (بوتو) من الامتعة والنفائس وفى خلال تلك الواقعة اختفى خبيش المذكور ولم يعلم له مقر الى الآن

﴿ذكر الملك شيارش﴾ ٤٨٥ - ٤٩٢ ق م

ولما دخل مصر وضبط أهل الفتنة وعاقبهم جعل أخاه (أخيمينيس) واليا على مصر ومات الملك شيارش بعد ذلك بقليل وبمجرد موت الملك المذكور

رفع المصريون لواء العصيان لانهم كانوا يبغضون الاعجام ولو انه وجد مرسوما فى هيكل من هياكل المصرين مايفيد مدح الاعجام فقد وجد منقوشا فى آثارات لقصر التعبير عن شيارش بانه المولى المحسن سيد الجميع فهذه كتابة رسمية فقط والدليل على بغض المصريين لهم انهم كانوا يطلقون استقلالهم عند موت كل ملك من هذه الدولة

﴿ذكر الملك ارتخشيارش﴾

وهو الرابع من ملوك الفرس وقد اجتهد فى قطع الفتن القائمة بارض مصر وكان بين المصريين واليونانيين محالفات وعهود على أن تطرد اليونانيون من سواحلهم سفن دولة فارس وعساكرها حتى لا يبقى بمصر دولة للعجم كبيرة و وضعت حكومة أثينا سفنها الحربية فى البحر لمنع عبور سفن العجم و بعثت الى مصر جنود يونانية لتنضم الى جنود مصر فعند ذلك انهزم جند العجم وانحازوا الى جهة منف فهجمت عليها جنود المصريين فى تلك الناحية فاجتهد هذا الملك فى تفريق عصبة اليونانيين من المصريين وقبض ثانيا على زمام مملكة مصر واستعبد أهلها وأذلهم واستمر على ذلك حتى مات

﴿ذكر الملك شيارش الثانى وسوغوديانوس ودارا نوطيس﴾

ولم يحكم الاوّل الا مدة ٤٥ يوما ثم قتله أحد أولاده المدعو سوغوديانوس فحكم ستة أشهر وخمسة عشر يوما ثم عزله وقتله دارا الثانى الملقب (رع ميامون) وأخذ الحكم منه ولبث حاكما تسع عشرة سنة على قول مانيتون وفى عصره كانت دولة الفرس فى اختلال ولحق باهلها الضيم والهوان وكان متزوّجا بخالته وكانت امرأة قاسية فاسدة فلما رأى المصريون ذلك الاختلال استدعوا (أميريتيس) للتخلص من دولة الاعجام فحضر وأقاموه رئيسا عليهم سنة ٤٠٨ قم فهمّ ومن معه من العساكر ان يطردا نائب دارا وعساكره المحتلة بالديار المصرية وأخذ فى طردهم ومات دارا فى أثناء ذلك وملك المصريون وطنهم واشتغل بالملك

واجرى

وأجرى الاصول والاحكام القديمة من سياسة وديانة وبهذا الملك انقرضت دولة الفرس من مصر التى هى عبارة عن العائلة السابعة والعشرين فكانت مدتها ١٢١ سنة

﴿ذكر العائلة الثامنة والعشرين الصاوية﴾

﴿ذكر الملك أميريتيس﴾

كان هو وأبوه (بوزيريس) حاكمين على بعض الاقاليم المصرية ولكن لما استدعى المصريون (أميريتيس) سنة ٤٠٨ قم تقريبا من صا الحجر قام وطرد العجم بعزمه وتدبيره فلكوه عليهم فكان هو المؤسس للعائلة الثامنة والعشرين وبمجرد صعوده على كرسى المملكة بعد وفاة دارا الثانى اشتدت بمصر الفتن وقامت القيامات فسعى فى اطفائها وتوطيد سطوته وتأييد نفوذه فلما اعترف له غالب المصريين بالسيادة تلقب بالالقاب الفرعونية ومع كونه حكم سبع سنين فانه أصلح ما دمرته دولة فارس من المعابد والهياكل والصنائع الاهلية بعد بذل همته فى الحروب الطويلة مع العجم التى كان بها خلاص وطنه منهم وبوفاته انقضت العائلة الثامنة والعشرون ﴿العقد الثمين﴾

﴿ذكر العائلة التاسعة والعشرين الاشمونية﴾

نسبة الى أشمون الرمان (منديس) وكان ابتداء حكمها سنة ٤٠٠ قم تقريبا وعدد ملوكها خمسة الاول (نفروطس)

ولم يزل هذا الملك من وقت توليته على مصر يهدد الاعجام ويبعث اليهم العساكر واجتهد فى عقد معاهدة مع جمهورية اسبارطة اليونانية لمعاونته على الاعجام لانها خصم للفريقين وشيد قلاعا واستحكامات على حدود بر الشام ومات بعد ان حكم خمس سنوات

﴿ذكر الملك هوقور﴾ كان هذا الملك كسلفه أيضا فى عقد المعاهدات مع الاجانب فعقد معاهدة مع أهل قبرص والعرب وبرقة وبالاخص مع اليونانيين الذين ساعدوه كل المساعدة عند محاربة العجم له ونصرته عليهم

وفى أيامه قدم جملة من حكماء اليونان ليتعلموا الحكمة من حكماء مصر وكان من جملتهم أفلاطون الحكيم ومات بعد ان حكم ١٢ سنة

﴿ذكر العائلة الثلاثين السمنودية﴾

نسبة الى سمنود وكان ابتداء هذه العائلة سنة ٣٧٨ قم تقريبا وعدد ملوكها ثلاثة

رأس هذه العائلة هو (نقطانب الاول) وكانت أيامه كلها حروب وشدائد بينه وبين العجم فقد حوّل جيوشه نحو الطينة أو الفرمة فاغار الاعجام على مصر من جهة مدينة أشمون الرمان وطردوا العساكر المصرية التى بتلك الجهات فقام نقطانب من الفرمة مسرعا الى مدينة أشمون الرمان ووقع الحرب بين الطرفين فهزمت الجيوش الفارسية واغتنم المصريون منهم غنائم شتى وتبعتهم حتى نزلوا سفنهم ومات هذا الملك بعد ان حكم عشرة سنين

﴿طاخوس﴾ وكانت أيامه أغلبها محاماة عن الاقطار من العجم وقد مكن المعاهدة مع اليونان فبعثوا اليه جيشا جرارا تحت قيادة أجزيلاس فلما حضر القائد المذكور أشار اليه انا لا نهتم على العجم اذا قدموا على مصر فقام لاستقبالهم على سواحل بر الشام فبمجرد خروجه من حدود مصر قامت عليه العساكر وخلعوه ولو امكانه نقطانب الثانى ابن أخيه الذى هو السبب فى خلع عمه طاخوس وكانت مدة حكمه سنتين

﴿نقطانب الثانى﴾ تولى هذا الملك عقب خلع عمه فقامت ضده أخصامه فاشار اليه أجزيلاس ان يبدد شملهم قبل انتظامهم فقام وحاربهم وانتصر عليهم ثم عقد معاهدة مع أهل صور وصيدا اذ كانا على خوف من العجم كأهل مصر ولذا ما قصد العجم محاربة أهل مصر ابتدؤا بمحاربة الصوريين والصيدويين فبعث ملك مصر لمساعدتهما أربعة آلاف مقاتل وكذا ساعدتهم أهل قبرص فانكسرت الجنود الفارسية فغضب من ذلك دارا اخوس ملك فارس من هزيمة جيشه فجمع ٣٠٠٠٠٠

نفس وسار بهم الى مصر فلما سمع نقطانب ملك مصر بقدوم ملك فارس جهز من العساكر ما يقوم بحماية وطنه ولما حاصر دارا أخوس مدينة الفرمة (بيلوزه) خرج نقطانب قبل حصول الواقعة وفر هاربا الى السودان فخضعت مصر للعجام فكان هذا الملك آخر ملوك مصر الوطنيين ومن ذلك الوقت الى عصرنا هذا لم تعد مصر لحكم أهلها الاصليين بل حكمت بامة اليونان والرومان والعرب والى غير ذلك

﴿مصر تحت حكم العجم المرة الثانية﴾

(ذكر العائلة الحادية والثلاثين الفارسية)

عدد ملوك هذه العائلة ثلاثة دارا أخوس وابنه أرسيس ودارا الثالث

﴿دارا أخوس﴾ لما حكم هذا الملك (بعد موت ارتخشيارش الثانى الذى حصل فى مدته رجوع العشرة آلاف الشهيرة كما سيأتى) سمى نفسه ارتخشيارش الثالث واستعمل القوة والفظاظة مع دولة فارس فاهلك أبناء وبنات الملك لحوذ كر أسلافه وأدخل مصر تحت طاعته ويقال انه هو الذى شيد قصر الشمع (عصر القديمة) وجعل فيه هيكلا وفى عصره أخذت مقدونيا فى الظهور والارتقاء بين الدول ووجهت أطماعها الى أخذ آسيا الصغرى من الفرس وسهل ذلك ان أدخل الاغا (باغواس) السم فى طعام الملك دارا أخوس فمات وترك الملك لابنه (أرسيس) ولم يكن لهذا الملك شئ من الآثار يذكر به بعد موته ومات بعد ان حكم سنتين وتولى بعده دارا الثالث

﴿ذكر دارا الثالث﴾

وكان هذا الملك معاصر الملك مقدونيا وهو الاسكندر الاكبر الذى شتت دولة فارس وهدم أركانها وهزمه فى واقعة (أربل) الشهيرة بزوال مملكة الفرس وهو آخر ملوك العجم كما سيأتى بيانه ان شاء الله عند التكلم على الاسكندر الاكبر الرومى

الباب الرابع

(فى تاريخ قدماء اليونان)

اعلم ان بلاد اليونان أو هيلاس كانت مشتملة على الجزء الجنوبى من تركية أوروباو بلاد الروم والمورة وعدة جزائر من البحار المجاورة لها وقد انقسمت هذه البلاد الى خمسة أقسام وهى أولا مقدونيا وهى الجزء الشمالى من بلاد العارناءود (ألبانيا) وثانيا تساليا وهى على شكل مربع فى الجنوب الشرقى من بلاد العارناءود أيضا وثالثا ابيروس وهى على شكل مستطيل فى الجنوب الغربى من بلاد العارناءود ورابعا بلاد اليونان الاصلية المسماة الآن بلاد الروم وخامسا بيلوبونيزيا المسماة أيضا بحيث جزيرة المورة وكان يتبعها جزائر بحر الارخبيل وجزيرة كندیا

وينقسم تاريخ هذه البلاد الى قسمين عظيمين الاول تاريخ الازمنة المجهولة أى من أول ذكرها الى مهاجمة الفرس تحت دارا بن هيستاب سنة ٤٩٠ ق م وتسمى العصور الخرافية الثانى تاريخها من مهاجمة الفرس الى اخضاعها للرومانيين

﴿تاريخ الازمنة المجهولة﴾

قيل ان اليونان من نسل ياوان بن يافث بن نوح عليه السلام وكانوا قديما متوحشين يسكنون المغارات ويلبسون الجلود ويأكلون جذور النباتات والبذور وقيل لم يكن يعرفون فائدة النار وكانوا أولا يعمرون مساكنهم متفرقة عن بعضها ثم وبالتدريج اجتمعت المساكن حتى صارت قرى صغيرة وهذا هو السبب فى انقسام بلادهم الى ممالك صغيرة واستمروا على هذه الحالة حتى أتى اليهم قوم من فنيقيا يدعون أمة التيتانيين وأدخلوا فيها قليلا من التمدن وأخيرا انقطعت هؤلاء الاقوام بسبب الحروب فعاد اليونانيون الى حالتهم الاولى وبقوا على ما هم عليه

مدة

مدة ٢٠٠ سنة ثم دخل عندهم (سكروبس) المصرى وجمعهم وجعل سكان قسم آتيكا اثنى عشرة قرية وأسس مدينة (أتينا) وعلمهم زراعة الزيتون ومات بعده رجل يدعى أمفكتيون وفى عصره أى سنة ١٤٠٥ ق م أدخل قدموس الصورى حروف الهجاء وفن الكتابة وكان اليونان أولا يكتبون سطرا من اليسار الى اليمين ثم سطرا من اليمين الى اليسار وهلم جرا

﴿حرب تروادة﴾ ١١٩٤ - ١١٨٤ ق م

تروادة كانت مملكة عظيمة فى الشمال الغربى من قسم آسيا الصغرى وملكها فى ذلك الوقت كان يدعى (برياموس) فأحد أولاده المسمى باريس سافر الى بلاد اليونان ونزل عند (منيلاوس) ملك (اسبارطه) فأخذ زوجته (هيلانة) وفر هاربا الى بلاده ليلا فلما أصبح الصباح وعلم ملك (اسبارطه) ماحل بامرأته هو وأخوه (أغاممنون) وكان شجاعا تهابه الناس وغضب لذلك أمراء اليونانيين وقالوا ان هذه فعلة ماحصلت لامة من الامم وفضيحة ماوقع مثلها بين العرب والعجم ولئن رضينا بهذا سقطنا من أعين الناس فصمموا على حرب تلك المدينة ونهب أهلها انتقاما لهذه الحادثة فتجهزوا للحرب وصحبوا معهم ألف مركب حربية لابسين جلود النمور يقودهم (اخلاوس) كالليث الكاسر ومعه جملة من الشجعان وكان أكبرهم سنا (نيتوس) من بيلوس (مدينة بالجنوب الغربى من المورة) وأضعفهم من أخذت المدينة بحيلته وهو (أوديسايس) أو (عوليس) من ايتسكا (مدينة بجزيرة يابونيا بالارخبيل) ولم يكن أعداؤهم أيضا ضعفاء بل كان منهم برياموس أبو الامير باريس السابق الذكر وكان شجاعا تنقاد لشجاعته الابطال وكانت مدينة (تروادة) ذات أسوار متينة وقام لمعاونته أيضا جملة من أمراء آسيا الصغرى وتقوى أيضا بولده (هيكتور) لانه كان شجاعا تذل لشجاعته الابطال فلما علم أهل تروادة بقدوم اليونان الى مدينتهم دخلوا المدينة وأغلقوا الابواب

وحصنوا الاسوار فمكث اليونانيون عشرة سنين خارج المدينة وهم يرمونهم بالنبال وينتظرون بروزهم للقتال حتى اشتد باهل تروادة ماهم فيه من الحصر والكرب ففتحوا الابواب وخرجوا مشعلين نار الحرب وبعد جملة مناوشات حصلت بين الطرفين وقتل (اخلادوس) (هيكتور) فقتله (باريس) انتقاما لاخيه (هيكتور) ثم علم اليونانيون انه لا يمكنهم أخذ هذه المدينة لشدة حصونها ومقاومة أهلها فاخذ (أوديسايس) فى اعمال حيلة لفتح المدينة وهلاك أهلها فأمر باعمال هيكل عظيم من الخشب على صورة حصان ودخل فيه مع جملة من شجعان اليونان وأمر بوضعه أمام تلك المدينة وان يفوض اليونانيون خيامهم ويوهم أهالى المدينة بانهم كفوا عن حربهم وقتالهم فحملوا خيامهم ورحلوا حتى وصلوا البحر ونزلوا فى السفن واستمروا سائرين الى ان وصلوا جزيرة (تينيدوس) ولما عاين أهالى تروادة ارتحالهم أدخلهم الغرور وأخذوا هذا الهيكل وأرادوا أن يدخلوه من باب المدينة فلم يسع الباب لادخاله فهدموا سور المدينة وأدخلوه فلما انتصف الليل فتح (أوديسايس) بطن الحصان وخرج ومن معه من الشجعان وصاروا يضربون وينهبون ويأسرون ورجع أيضا باقى اليونانيين وعلاصياحهم فى المدينة ونهبوا ما بها من الاشياء الثمينة وهرب برياموس مع أولاده الى هيكل فادركه بعض اليونانيين فقتلوه هناك هو وأولاده ولم ينج من أهل المدينة سوى من هرب وأخذ منيلاوس زوجته الملكة التى هى السبب فى خراب مدينة تروادة وأكرمها غاية الاكرام وأتت طائفة من التروادين بعد ذلك الى مصر وأسسوا مدينة تره (من أعمال مصر) ومن ذلك الوقت سقطت تروادة الشهيرة

﴿اغارة الدريانيين﴾ ١١٠٤ ق م

ذكر المؤلف (دوبركس) فى كتابه ان قبيلة الدريانيين احدى قبائل اليونان الاربع الشهيرة (وهم الاخيون والايوليون والايونيون والدريانيون

والدريانيون) الا انهم لبثوا فى التوحش مدة طويلة عن باقى القبائل اليونانية وكانوا يسكنون بالقرب من جبال وبتا (جبل بين بلاد هيلانة أو بلاد اليونان الاصلية وبلاد تساليا) فى مملكة كانت تسمى دوريد وفى سنة ٨٠ بعد حرب ترواده تجاوز الدريانيون البوغاز الفاصل لبلاد اليونان الاصلية وبحيث جزيرة المورة (بيلو بونيز) وأغاروا على هذه المملكة الاخيرة وفتحوا أرغوليد وليكاونيا واستولوا أيضا على قورنته فهاجر الآيونيون من بحيث جزيرة المورة الى قسم آتيكا وصارت هذه المملكة الاخيرة ملجأ لجميع المهاجرين ثم أراد الدريانيون طرد هؤلاء الاقوام من قسم آتيكا فتجاوزوا برزخ قورنته وتقدموا الى مدينة أتينا فاخبروحى دافوس الدريانيين انه اذا مات ملك الآتينيين ظفروا بكم واذا مات ملككم ظفرتم بهم فلما سمعوا قول ذلك الوحى احترسوا كل الاحتراس عن قتل ملك أتينا وكان ملكها يدعى (قودروس) فدخل متخفيا فى معسكر الدريانيين فقتله أحد هؤلاء الاقوام فلما عرف الدريانيون جثة ملك الآتينيين رجعوا الى بلادهم خائبين وتسمى هذه الاغارة أيضا برجوع الهركليين وقد نشأ من هذه الاغارة جملة مهاجرات أسست نزلا يونانية على شواطئ آسيا الصغرى وأفريقا وسيسيليا وايطاليا

﴿الكلام على ديانة اليونان﴾

أما ديانة اليونان فكانت عبارة عن عبادة الغابات والجبال والرياح والمياه التى كانوا يشخصونها فى جمعية الآلهة التى هى على صورة الانسان ولهم الشهوات والمصائب

وقد كان لامة اليونان فيما يزعمون آلهة متفاوتون فى الدرجات ومتباينون فى الامتيازات والاعتبارات فكان من أعظمهم عندهم قدرا وأرفعهم ذكرا سائس أوجو بيتير وكانت سلطنته فى السماء وكان ملك باقى الآلهة وعلى يمينه صاعقة وبجواره نسر ممتد الركوبه عليه

ومنهم بوسايدون أو ربيتون وهو مدبر البحر وكان يسير على الموج بعربة من الصدف يجرها بعض المدبرين الآخرين وكان بيده شئ كهيئة شكل مثلث له ثلاث شوكات أعدها للزلازل ومنهم ابلوتون وهو مدبر الارض السفلى والعالم المظلم ومنهم آبولون (آبولو) ومن شأنه الاخبار بالغيب واظهار الفنون العجيبة كالموسيقى والاشعار وكان أجمل من غيره وله معرفة بضرب الطنبور وكانوا يقدمون الذبائح والقربانات لآلهتهم وكان لهم احترام زائد للهياكل والمعابد اعتبارا لآلهتهم حتى اذا دخل مذنب فى هيكل ليحتمى فيه لم يتعد عليه أحد مادام داخل المعبد

﴿ذكر جمهورية اسبارطه﴾

اعلم أن مدينة اسبارطه كانت قاعدة ليكاونيا بناها القديمون فى القرن الخامس عشر قبل المسيح وبعد رجوع الهركلدية واستيلائهم على ليكاونيا وارغوس وميسينى ملك على ليكاونيا ابنا (أرستود) اللذان اسم أحدهما (أورشين) والآخر (بردكليس) وبقيت المملكة بعد وفاتهما مقسومة الى قسمين بين نسلهما نحو ٩٠٠ سنة وجرى بين ملوك القسمين الشقاق والمخاصمات فى غضون تلك المدة وفى سنة ٨٨٤ قم توفى (بوليدكتوس) ملك أحد القسمين تاركا زوجته حاملا وكان له أخ اسمه (ليكورغوس) فراودته امرأة أخيه طالبة أن يتزوج بها و يتقلد بالملك بعد أخيه وانها تهلك الجنين اذا قبل ذلك فكره ليكورغوس ان يرتكب هذا الامر القبيح وعند ما وضعت امرأة أخيه ذكرا اهتم بتربيته ودعاه ملك اسبارطه الشرعى وكان يدبر أمور الدولة بالنيابة عن ابن أخيه ولكن اذ حدث نفور بينه و بين امرأة أخيه كره ان يبقى على تلك الحالة فسافر الى جزيرة كريت (كندياالآن) ثم الى آسيا الصغرى ومصر لكى يدرس علوم تلك البلاد وشرائعها فحدث فى مدة غيابه مخاصمات وفتن كثيرة فى اسبارطه وجاهر كثيرون بالعصيان على الملك

وشرائع

وشرائع المملكة فارسل الاهالى يطلبون من ليكورغوس ان يوفيهم عاجلا ويتقلد زمام الملك ويقى البلاد من الدمار فاجابهم الى ذلك وأخذ فى اصلاح البلاد واخماد الفتن وغير هيئة الحكومة من الملكية الى الجمهورية حيث اقتدى به كثير من ممالك اليونانيين وأصبح الحكم الجمهورى غالبا فى اكثر البلاد وأراد التسوية بين وجاهة الملوك والاكابر والعامة ورتب لذلك ديوانا مركبا من ٢٨ عضوا ينتخبون من أعيان الاهالى وقسم المملكة بين الاهالى بالمساواة لكى لا يكون بينهم فقير ولا غنى وأبطل المعاملة بالذهب والفضة وجعل عوضها قطعا من حديد وكانت تؤخذ أولادهم وقت ميلادهم ويتربون بالحكومة ليتعودوا على اقتحام الاهوال وكانوا يعلمون الاولاد احترام الشيوخ والشرائع واحتقار الآلام والموت

﴿ذكر جمهورية أتينا﴾

كانت أتينا مركز حكومة قسم آتيكا وكان حكمها ملكيا الغاية زمان قودروس السالف الذكر أحد ملوكها الذى عاهد شاول أوّل ملوك بنى اسرائيل وفى زمانه كان رجوع الهركلدية كما تقدم وبعد موته أبطل الآتينيون الحكم الملكى وأقاموا عوضا عن الملك رئيسا سموه (اركونا) وأوّل اركون أقاموه هو ميدون بن قودروس المذكور وبقيت هذه الوظيفة فى نسله ٣٣١ سنة وكان الاراكنة فى أول الامر يقيمون فى وظيفتهم مدة حياتهم ثم بعد ذلك تغيرت الى عشرة سنين ثم الى سنة واحدة فقط وزيد عددهم رويدا رويدا الى تسعة يشتركون فى جميع الامور ولما لم تكن الشرائع مرتبة ترتيبا حسنا شرع ادراكون رئيس الاراكنة وقتئذ فى تنظيمها وتجديدها وسن قوانين صارمة جدا جاء فيها الموت عقابا لكل مذنب وفى سنة ٦٠٤ ق م كان رئيس الاراكنة سولون الحكيم من نسل قودروس فسن قوانين وشرائع جديدة مناسبة لاحوال البلاد وفى عصره صار السلطنة العظمى فى جمعية من الاهالى

لا يدخلها الا من بلغ من العمر ٣٠ سنة ورتب مجلسا عدد أعضائه ٤٠٠ نفس واهتم سولون بتوسيع التجارة وتكثير البضائع والمعامل ثم سافر سولون الى ليديا وكان ملكها يومئذ كريزوس ومكث هناك عشرة سنين وقد تقدم ذلك ولما رجع الى بلاده وجد الفتن قائمة فلم يستطع ان يخمدها لان رجلا اسمه فستراتوس كان قد اختلس الحكم من الاراكنة فبذل جهده لتخليص البلاد من يده فلم ينجح اذ نجح فستراتوس باستمالة الاهالى اليه ومات سولون بعد ذلك بسنتين وبعد فستراتوس خلفه ابناه هبياس وهيرجوس فقام اثنان من أهل أتينا على هيرجوس وقتلاه فقتلهما هبياس وشرع يظلم الاتينيين فاستغاثوا بأهل اسبارطه طالبين عزله من الملك فأجابوهم وأخذوا المدينة فهرب هبياس الى آسيا الصغرى عند أحد نواب الفرس من طرف دارا الاول الذى كان عازما على استفتاح بلاد اليونان فارسل الى الاتينيين طالبا ترجيع هبياس الى ملكه واذا لم يقبلوا ذلك جعل عدم قبولهم سببا لمهاجمته بلادهم

﴿الكلام على الحروب الفارسية﴾

﴿الحرب الاولى﴾ ٤٩٠ ق م

وبعد ان فتح الاعجام آسيا الغربية ومصر أرادوا فتح بلاد اليونان ففتحوا أولا نزلهم الموجودة بآسيا الصغرى ثم أرسل دارا الاول ملك العجم رسلا الى بلاد اليونان يعلنهم بالطاعة له أهل أتينا واسبارطه فالقوا هؤلاء السفراء فى الآبار فاغتاظ دارا من ذلك وتقدم الى المحل المعروف باسم مراتون ببلاد اليونان ومعه ١٠٠٠٠٠ مقاتل فتقابل مع ١٠٠٠٠ آتينى و ١٠٠٠ بلاتينى فهزمت الجيوش الفارسية واقتفى اليونانيون أثرهم حتى نزلوا سفنهم

﴿الحرب الثانية﴾ ٤٨٠ ق م

وبعد ذلك بعشرة سنين قام شيارش ومعه مليون مقاتل و ١٢٠٠ سفينة حربية فقام الملك ليونيداس ملك اسبارطه ومعه ٣٠٠٠ مقاتل

مقاتل فمات ومن معه فى المضيق المعروف باسم ترموبيل ودخل شيارش فى أتينا وحرقها ولكن هزمت جيوشه البحرية عند مرورها من جانب جزيرة سلامين وفى السنة عينها هزمت جيوشه البرية فى واقعة بلاتية وفعلت هذه الواقعة الاخيرة بعناية بوزانياس ملك اسبارطه

﴿الحرب الثالثة أى انتهاء الحروب الفارسية﴾

وبعد ذلك أيضا قام اليونانيون وطردوا جيوش العجم الموجودة فى جزائر بحر الارخبيل والموجودة على سواحل آسيا الصغرى وفتحوا جزأ من جزيرة قبرص التى كانت تابعة لهم

ولما رأى ارتخشيارش الاول ملك الفرس ان مملكته قد ضعفت فى الحروب الكثيرة المستطيلة اضطر الى أن يطلب الصلح فأجابه سيمون (رئيس فى أتينا) الى ذلك تحت شروط ثلاثة وهى أولا أن يرفع يده عن ممالك اليونان الموجودة بآسيا فتكون ممالك مستقلة بذاتها ثانيا أن يمنع سفنه عن السير فى بحر الارخبيل ثالثا أن لا تتجاوز عساكره أكثر من ثلاثة أميال ضمن حدود النزل اليونانية

﴿عصر بريكليس﴾

أما سيمون فلم يتمتع بثمرة أعماله العظيمة اذ توفى من جرح أصابه فى حصار جزيرة قبرص سنة ٤٤٩ قم فبقى بريكليس رئيسا فى أتينا بعد موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيرا بتحصينها وترتيبها وفى عصره بلغ أهل أتينا الدرجة القصوى فى الصنائع والفنون ومعامل البناء لاسيما بالنقش والتصوير واشتهرت بالمعارف والعلوم

﴿حرب المورة﴾

لما وقعت الحرب بين مملكة كورنته وجزيرة قرسيرا المسماة الآن قرقوس حرض بريكليس الاتينيين على مساعدة أهل قرسيرا فحسب ذلك الاسبارطيون نقضا للعهد الذى أقيم بين ممالك اليونان فانشبكوا

جميعا فى حروب شديدة فكان من الجهة الواحدة اسبارطه وكورنته وجميع ممالك المورة الى أرغوس وأكثر الممالك الشمالية ومن جهة أخرى أتينا وتساليا وبعض جزائر الارخبيل وكان عدد جيش اسبارطه ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت أمر ارخداموس ملكهم وعدد جيش أتينا ٣٢٠٠٠ لكنها فاقت على اسبارطه كثيرا بقوتها البحرية ومكثت هذه الحروب ٢٨ سنة تارة انتصرت أتينا وتارة اسبارطه وكان فى السنة الثامنة والعشرين رئيس جيش اسبارطه رجلا يدعى ليساندر فانتصر على الاتينيين فى واقعة بحرية وحاصر مدينة أتينا برا وبحرا حتى سلمت له وصارت أتينا تحت حكم اسبارطه وأما ليساندر فأبطل الحكم الجمهورى من أتينا وجعل مكانه ثلاثين رئيسا تحت أمر حكومة اسبارطه الذين ظلموا الاتينيين ظلما شديدا وقتلوا منهم فى مدة ثمانية شهور ١٥٠٠ نفس ثم قامت عليهم الاتينيون وطردوهم ورجعوا الحكم الجمهورى وفى هذا العصر ظهر سقراط أشهر فلاسفة اليونان وكان يعلم بوجود اله واحد سبحانه وتعالى

وفى آخر زمان حرب المورة توفى دارا نوطيس ملك فارس وخلفه ابنه ارتخشيارش منيمون الثانى وكان له أخ اسمه قيروش الذى حسب وصية أبيهما تولى على ليديا والولايات المجاورة لها فقام قيروش هذا على أخيه قاصدا عزله عن الملك فأخذ عشرة آلاف من عساكر اليونانيين تحت أمر كليارخوس رجل من اسبارطه فانتصر ارتخشيارش عليهم فى واقعة بقرب من مدينة بابل وقتل قيروش وتسمى هذه الواقعة بواقعة (كونا كزه) ثم مكر ملك الفرس بكليارخوس وقتله وبعد ذلك انتخب اليونانيون (كسينيفون) رئيسا عليهم وأخذوا فى الرجوع الى بلادهم وقاسوا مشقات كثيرة من البرد والجوع الى ان وصلوا البحر الاسود ووصلوا مدينة (طرابزون) التى كانت أحد نزل اليونان وسميت هذه الحادثة برجوع العشرة آلاف

واعلم

واعلم ان تجريدة العشرة آلاف هي احدى الحوادث العظيمة القدر والشهرة التي حفظها التاريخ منذ الازمان الغابرة نظرا لها وانتائجها فان شهامة اليونانيين في أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد قد ظهرت مظهر الفخار وكانت محط التعجب أكثر من غيرها حيث كانت الجنود المؤلفة منها هذه التجريدة جنودا محكمة من أقوام ذوي شراهة ومحبي السلب والنهب غيرانهم وصفوا بالبأس الصادق وقوة العزم والاقتدار على تتبع مقصدهم ولو بالقتال فيالها من خصال عجيبة وزد على ذلك ما اشتهروا به من النظام وفن تصفيف الصفوف العسكرية اللذين فاقوا بهما معاصريهم كافة عامة ولهذه الفرقة أيضا مزية لا تقدر هي علم بأصول الحرب لا يقتصر على القواد بل للضباط أيضا اليد الطولى فيه وعدم الزيغ عن طريق مستقيم اذا حل بهم الخطب أو نزل ما لم يكن على بالهم وقصارى الكلام ان الشعائر الدينية بقيت فيهم معززة السلطان حتى حين المجازفة وقطع الطريق فهي كانت لهم مصدر وثوق وحماسة فكان رؤساؤهم لا يشرعون في زحف ولا ينشبون أقل حرب قبل أن يؤكدوا ان الآلهة عنهم راضون فلوان أمة عندها جيش من هؤلاء الاقوام ولو قل عدده ان تجد أمة في المشرق قاطبة تقاومها ولن تجد في المغرب غير الرومانيين فانهم هم الذين ربما أوقفوا سيرها وان تجريدة اليونانيين الذين كانوا في خدمة قيروش استلفتت أنظار اليونان ووجهت أطماع المغرب بأثره نحو الشرق وان عدة عجالات تألفت في عصرها منها رسالة كسينيفون التي زادت هذه الحادثة شهرة على شهرتها التي أفادتها اياها الروايات فكيف يتصور ان عشرة آلاف يوناني قد قاوموا في مضمار القتال أربعمائة ألف من الفرس وقاوموا القوة والخداع فكانت هذه التجريدة سببا في اذاعة ضعف المملكة الفارسية واعتبرت كقاعدة سياسية ان عشرة آلاف قاوموا جنود الفرس اذن ثلاثون ألفا منهم يكونون أكفاء لاخضاعهم فكانت تلك القاعدة سببا في غزوة

اجيسيلاس والاسكندر الاكبر وان غزوة الاسكندر ليست الا نتيجة من غزوة العشرة آلاف وان لم تعقبها مباشرة

فكانت التجريدة المذكورة احدى الحوادث التى من بعض الجهات شرفت الانسانية وأعلت قدرها ففى أى ظرف من الظروف كان يتعالى عزم الانسان هذا فى العالم الدنيوى وما كانت الحوادث تتقادز منا طويلا لازم أولذكاء مستمرين وما أفادته هذه الغزوة لفن الحرب هو الركن الاعظم والفائدة الكبرى فلقد كانت له هذه الغزوة أساسا ينتمى اليها ويرجع فى مؤلفاته عليها فانها مثل يضرب لقوادو ضباط وعساكر كل عصر ومن أعمال هذه التجريدة النظامات العسكرية والحيل المصطنعة لمفاجأة العدو وأنواع التكتيكات للقيادة والسوارى

ولما كان اليونانيون القاطنون فى آسيا الصغرى قد قاموا على ارتحشيارش مع قيروس المذكور أرسلت اسبارطه عساكر لمعاونتهم تحت قيادة اجيسيلاس ملك اسبارطه فوقعت الحرب ثانيا بين اليونان والفرس فحرض ملك الفرس ممالك الموره أن يقوموا على اسبارطه فالتزم اجيسيلاس أن يرجع الى بلاده لحمايتها وبعد حرب عدة سنين عقد الصلح تحت شرط تسليم آسيا الصغرى وجزيرة قبرص للفرس وجزيرة لمنوس وسيرالاتينا واعتمد ذلك الصلح سنة ٨٧ ق م

﴿جمهورية طيوه﴾

ان طيوه كانت مدينة معتبرة من بيوثيا ولما كانت الحروب قائمة بين أتينا واسبارطه وضعفتا كلتاهما تقوت طيوه حتى صارت قاعدة السلطنة لجميع البلاد المجاورة لها فخافت اسبارطه لئلا تزيد قوة طيوه وسطوتها فأرسلت جيشا وأخذت المدينة وأقامت عليها اولاة من قبلها فقتلوا كثيرين من أهاليها وهرب آخرون الى أتينا منهم رجلان اسم أحدهما (أباميناوندا س) والآخر (بلوبيداس) فقاما على ظالم بلادهم وقتلاه بمساعدة بعض الاهالى فاضطربت بسبب ذلك حرب شديد بين اسبارطه

وطيوه

وطيوه فانتصر جيش طيوه بقرب (لوكريا) (احدى مدن اركاديا) بالمور وأضربوا اليكاونيا بالنار والسيف حتى أبواب اسبارطه ذاتها وعادوا الى بلادهم ثم تجددت الحرب بعد برهة من الزمن وانتصرت طيو ولكن قتل أباميونداس

وبقرب هذا الوقت حدث فى مقدونيا قلاقل كثيرة اذ توفى امنتاس ملكها تاركا ثلاثة أولاد فشرع هؤلاء يتنازعون الملك فطلب المقدونيون الاسعاف من طيوه فارسلت جيشا تحت قيادة بلوبيداس لكى يصلح أحوال تلك البلاد وعند وصوله الى هناك ثبت الملك فى يد فرديكاس وأخذ أخاه فيلبش وثلاثين من أولاد أكابر البلاد رهنا وأرسلهم الى طيوه وفى مدة اقامة فيلبش هناك تعلم قواعد الحكم والحرب من أباميونداس وبلوبيداس وبعد عقد الصلح بين طيوه واسبارطه لم يحدث بين اليونانيين أمر مهم الا فى زمن الملك فيلبش المذكور

﴿تاريخ مقدونيا﴾

اعلم ان مبدأ تاريخ هذه المملكة مجهول الحال فقيل ان مؤسسها هو أول ملوكها المدعو كرانوس سنة ٧٩٤ قم وكان امنتاس أبو فيلبش سادس عشر ملوكها بعد كرانوس وقد تقدم ان فيلبش تعلم من طيوه قليلا من أمور السياسة وكان عمره وقتئذ عشرة سنين فأقام فيها اثنى عشرة سنة ولما بلغه خبر قتل أخيه هرب من طيوه فوجد أهل بلاده مكتئبين من قتل ملكهم فرديكاس فى واقعة مع أهل (ايليريا) وكان افرديكاس ابن صغير فاخذ فيلبش على نفسه أن يكون وصيا له وحكم باسمه الا انه بعد قليل طلب المقدونيون أن يكون هو الملك وانهم لا يريدون طفلا يملك عليهم فاجاب طلبهم وملك سنة ٣٦٠ قم وعمره ٢٤ سنة ثم أخذ فى تدبير الوسائط لاخضاع الممالك اليونانية وضمها الى مملكته واذ كانت أثينا واسبارطه قد ضعفتا فى الحروب مع الاعجام وكانت طيوه أيضا قد ضعفت من حروبها مع اسبارطه فاخذ يزرع الفساد بين

ممالك اليونان وكان له فى جميعها خدمة فى أهلها وأكابرها ساعدوه على اجراء مقاصده وفتح بقرب مدينة (فيلبى) معادن الذهب والفضة واستخرج منها كل سنة مبالغ وافرا من المال فيغلب بالدراهم اذ لم يستطع أن يغلب بالسلاح وفى السنة الرابعة من حكمه ولدت زوجته (ولمبياس) ابنا فى مدينة (بلا) وسماه الاسكندر وكلف بتعليمه وتهذيبه ارستاليس الفيلسوف

وبقرب هذا الزمان نشأت حروب بين اليونان سميت بالحروب المقدسة سببها ان أهل قوسيا وضعوا أيديهم على أرض تابعة لهيكل (أوبلون) فى (دلفوس) وحكمت عليهم المشورة الامفكتيونية أن يدفعوا مبلغا وافرا للتكفير عن هذا الذنب فلم يخضعوا لهذا الحكم بل زعموا بانهم أحق من غيرهم بتدبير أوقاف الهيكل وصيانتها فاضطربت عند ذلك حروب مدة عشرة سنين بين (قوسيا) و(أتينا) و(اسبارطه) من جهة وطيبه ولوكريا وتساليا من جهة أخرى فعرض (فيلبش) نفسه وسيطا أو مصلحا بينهم وصيروه عضوا من أعضاء المشورة الامفكتيونية خلافا لارادة الاتينيين اذ كان (ديموستين) الخطيب (باتينا) يحذرهم دائما من فيلبش ويريهم ان مقاصده نزع حريتهم واخضاعهم تحت سلطنته وبعد ذلك وضع أهل (لوكريا) أيديهم على أوقاف الهيكل المذكور وأبوا الخضوع للمشورة الامفكتيونية فدعت المشورة فيلبش لكى يجرى حكمها غصبا ولما أجابهم متقدما الى بلاد اليونان بجيشه رأى (ديموستين) نتائج عمله متوجه الى اخضاع البلاد فحرض أهل أتينا وطيبه على مقاومته فجمعوا جيشا ولكن هزمهم فيلبش فى واقعة كيرونيه (فى بيوتيا) واستولى على بلاد اليونان واذ كان مستعدا لمحاربة الفرس قتله بوزانياس أحد أتباعه فى السنة السابعة والاربعين من عمره وخلفه ابنه الاسكندر الآتى ذكره

﴿ذكر الاسكندر الاكبر﴾ ٣٣٦ - ٣٢٣ ق م

تولى بعد موت أبيه فيلبش ويعرف فى التواريخ باسم اسكندر الاكبر الرومى ويلقب بذى القرنين (غير ذى القرنين المذكور فى القرآن الشريف) وهو صاحب الفتوحات العجيبة التى خلدت اسمه فى دفاتر مشاهير المؤرخين

واعلم ان غزوة الاسكندر للبلاد الفارسية هى أعظم حادثة حفظها التاريخ بعد الحروب الميدية وأجلها شهرة ونفعا كيف لا وقد أقامت الحروب الميدية التمدن من مهده فأرشدته تلك الغزوة وهو فى شرخ شبابه طريق رفعته وفوزه وكان ذلك أول القتال الذى انتشب بين التمدن والهمجية حيث لم يكن قبلا يتجاسر على نزال خصمه فمن سعده وحسن حظه انه انقلب على عقبيه مدبرا ونجى بعمره فنمى مستقلا فى ركن من زوايا الارض وترك المملكة لخصمه فخرج أخيرا بعد كسرته وأقبل بعد ادباره تحت كنف الاسكندر فوضع قدميه فى ساحة القتال ونازع خصمه فى ملكية الارض فكأن أوجدت هذه الغزوة شيأ جديدا ألا وهو التمدن

ولم تكن هذه الغزوة على نهج الغارات البربرية والغزوات الوحشية التى سبقتها بل كان الاسكندر بدل أن يقهر بالقوة غلب بالحيل وقد كان يشيد ولا يهدم ويرفع ولا يضع خلا بعض مدارس الكهنة الذين كانوا يخفون ما عندهم من العلم على قلته فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا بل دمر مساكنهم وأحرقها فلم تسمع لها بعد ذلك ركزا ولم يصادف الاسكندر فى طريقه الا همجية تتبجح بدعوى المال عارية عن الفضائل ومرزبانات وأرقاء ليسوا بأناس فانتشرت سلطة اليونان فى النفوس والعقول وخلع الناس ناف الذل والبلاء فكانت هذه التجريدة بعثة نور او هدى للناس الذين استعبدتهم الدولة الفارسية فوقاهم الله شر ذلك ونجاهم بهذا القائد الذى اتصف بذكاء الرسل وفطنة الانبياء ألا

ترى انه كان بعد نصرته يعتبر نفسه انه تلميذ ارستاط اليس وليس هو ملك مقدونيا الذى أعطى النصر فى مواطن الحروب والمواقف أوليس هو الذى أخضعهم باقتحام المخاطر والمخاوف وقبل غزوة الاسكندر لم يكن وجود دنيا تستحق هذا الاسم بل كانت أرضا معمورة بأقوام منفردين يجهلون بعضهم البعض ذوى عوائد وأخلاق مختلفة المقصد قد جمعها فيروش كباقى الملوك المتبربرة وجعلها مملكة واحدة وأما غزوة الاسكندر فربطت تلك الامم بروابط الائتلاف والمودة وجعلتهم تحت ناموس واحد فبهذه المثابة علمت كل أمة معارف الاخرى وأفكارها وتعلموا مالم تتوصل عقولهم اليه ووقفوا على حقائق الامور وتجمعوا حول مصباح معارف اليونان وبهذا الاتحاد وجد عالم متمدن جديد بهذا الاسم حرى ولم يبارح الاسكندر بلاد اليونان الا بعد ان آمن على مقدونيا من الاقوام المتبربرين المجاورين لها وبعد أن أخضع بلاد اليونان بأثرها ولم يخضعها الا تنفيذا لما ربه هاجم الاقاليم البحرية وأمر جيشه البرى أن يسير وسواحل البحر لكيلا يفصل بينه وبين اسطوله فاصل وقد استعان بالنظام على العدة بما يقضى العجب واذا كان من المحقق ان النصر قد منحه كل شئ فانه أيضا عمل كل شئ فى نوال النصر وفى أوائل مشروعه حيث كانت أقل هزيمة تكفى العكس أملم يركن الى الصدفة الا فى قليل من أموره ولما أسعفته المقادير بالظفر بالحوادث اتخذ المجازفة من وسائله وقبل سفره كان قد زحف على الايليريين ولما رجع الى بلاد اليونان لم يفتح طيبوه ويهدمها الا رغم أنفه فانه عسكر أمامها مدة ينتظر ان تعقد معه الصلح فكانوا هم الجانين على أنفسهم واستعان فى هدم قوى الفرس العسكرية بجسارة القائد (بارميتيون) وبمهارة نفسه فكان من حكمته فصل الفرس عن أسطولهم واكراههم بأنفسهم الملاحة وكانوا فيها بارعين وكانت صور تابعة للفرس وكانوا لا يستغنون عن تجارتهم ارم لاحتها فأعدمها ودخل مصر التى كان قد تركها دار بلاحامية

حيثما

حيثما كان يجمع قوته فى جهة أخرى

فعبوره نهر الجرانيك سنة ٣٣٤ ترتب عليه الاستيلاء على المستعمرات اليونانية وواقعة طرسوس أهدته صور وملك مصر وواقعة اربل (بالقرب من الموصل) سنة ٣٣١ قلدته سيادة العالم وبعد واقعة طرسوس المذكورة ترك داراواشتغل فى تثبيت دعائم فتوحاته وتنظيمها وأما بعد واقعة اربل تبعه حتى لم يترك له ملجأ فى دولته فكان زحف الاسكندر سريعا جدا حتى انه يخيل انما ان تملكه على العالم كان جزاء له على سيره لا أجل المناحرزه من النصر كما كان يحرز قصب السبق من سبق فى ألعاب بلاد اليونان

فهكذا كان فتح البلاد فانظر الآن كيف ساسها لم يطاوع الاسكندر من أراد معاملة اليونان معاملة السادة والفرس معاملة الارقاء بل فكر فى أن يؤلف بين الامتين وان يعدم امتياز الامة الغالبة على الامة المغلوبة وقد ترك بعد الفتح جميع الاوهام والخزعبلات على حالتها وتخلق باخلاق الفرس وعوائدهم ليرضيهم وليتقلدوا هم بعوائد اليونان واحترم غاية الاحترام امرأة داراو والدته حين وقعن فى قبضته بعد واقعة طرطوس فأرسل دارا اليه طالبا أن يفدى نساءه بمبلغ وافر وانه يعقد الصلح معه ويزوجه بابنته وان يجعل صداقها الاراضى الواقعة بين نهرى الفرات وبحر الروم فأجابه الاسكندر أن يسلمه اياهن بشرط اذا جاء بنفسه يطلبهن فخاف دارا واستمر حتى ساقه الاسكندر بعد واقعة اربل ثم لم يعلم له أثر بعد ذلك وقد ذكر المعلم بطرس البستانى فى دائرة المعارف انه مات فى السنة الثالثة من حكم الاسكندر

فاستعمال الرأفة واحترام الديانات واستعمال المشورة فى الامور كل ذلك مما جعل أمة فارس تأسف لفقده فانظر أيها القارئ سهل الله الى نفائس الخيرات طريقك هذا الفاتح الذى بكت عليه الامم التى أخضعها بسيفه ورادفها بسهامه وهذا المغتصب الذى عند موته

سكبت عليه العائلة التى اغتصب منها الملك الدموع زفرات وساءهم اعدامه فتلك آية من آيات حياته مارووى لنا المؤرخون ان أحدا من الفاتحين تباهى بمثلها

ولما كان يعلم أن لاشئ يؤيد الفتح أكثر من التأليف بين الامتين تزوج الاسكندر بنساء فارسيات وأمر معيته كذلك وقد حزى حزوه بقية أهل مقدونيا وشيد فى بلاد فارس نزلا يونانية وشاد عدة مدن وأرسى قواعد الدولة الجديدة فى جميع أنحائها حتى انه بعد موته لم ينشر لواء العصيان اقليم بسطه ولكيلا يقلل اليونان والمقدونيين أرسل الى الاسكندرية طائفة اليهود ولم يعبث بما اعتادت عليه هذه الامة ما داموا له من المخلصين ولم يترك للامم المقهورة أخلاقهم وعوائدهم فقط بل ترك لهم قوانينهم المدنية وأيضا ملوكهم وحكامهم الاصليين وجعل المقدونيين قود الجيوش وأهل الشرطة والوطنيين حكاما لجهات الادارة والقضاء وكانت ملوك الفرس قد هدمت معابد المصريين وهياكلهم وكذا البابليون واليونان فأعادها فكأنه لم يفتح أمة الا ليكون ملكها الخصوصى وليكون أول وطنى بها

وقد جاء بامرين منكرين وهما حرق مدينة استخر وقتل كليتوس الذى نجاه من الفارسين اللذين قصدا قتله بعد واقعة نهر الجرانيك الا انه ندم على ذلك شديد الندم حتى انه أنسى الناس أفعاله القاسية وذكرهم احترامه للفضيلة حيث اعتبرهما من المصائب التى فاجأته فى عمره والتى أتى بهما من خطأ ارادته

وكان الاسكندر مغلول اليد فى مصاريفه الخصوصية مبسوطها فى المصروف العام والدليل على ذلك انه كان فى نظام بيته (مقدونيا) ولدفع ديون العساكر وأخبار اليونان بفتوحاته وفى اسعاد كل رجل من جنده كان (الاسكندر)

وبعد ان تم فتح ملك فارس دخل بلاد الهند وهزم ملوكها لاسيما بيروس العظيم

العظيم القدر ولم توقف سيره الصحارى ولا الانهار ولا الجبال الا انه اضطر أن يطيع أمر جنده الذين ملوا من الحروب وطلبوا الراحة واكتفى بترك آثاره الفاخرة على شواطئ نهر آراسب وعاد بجيشه من طريق آخر وأخضع جميع البلاد التى قابلته وعاد الى بابل مهابا محترما ولكن هذه المملكة الواسعة لم تقم الا بمقدار عمره القصير ومات وهو فى سن الثلاث والثلاثين من عمره بينما كان متشبثا بأجل المقاصد التى لم يتشبث بها أحد على وجه الارض بعشم زائد فى نجاحها فاختطفته المنية ولم تتركه زمنا لتثبيت أعماله وأخاف أخاله مهبولا و ولد ارضيعا غير أكفاء للقيام باعباء هذا الحمل العظيم ومما عاد على بيته بالشؤم ومملكته بالخراب والدمار ان ترك قوادا عودهم على الحروب والغزوات والطمع فلا يرجون شيأ سواها وكان مستشعرا بما سيحصل بعد موته ومن خوفه أن لا يطاع أمره لم يتجاسر على تعيين خليفة له ولا وصى لاولاده بل أخبر أن أصحابه سيشيعون جنازته بوقائع سافكة للدماء وقد رأى فى حياته تقسيم مملكته وخراب بيته وأما مملكته التى ورثها من أجداده منذ أزمان طويلة وهى مقدونيا فقد اغير عليها كأنها ميراث ليس له وارث وحكمها عائلة غير عائلته فهكذا تكون حالة الفاتح العظيم الذى ذهب بفضل الشهرة وأن يكون آخر ملوك عائلته فلو انه قعد فى مملكته ساكنا فما كانت مملكته تقسمت بين ضباطه وكان ترك مملكة آبائه لابنائه ولكنها لما كبرت واتسعت كان ذلك سببا فى زوال ملكه الخاص فتلك ثمرة كثرة الفتوحات والغزوات

وهو الذى اختط مدينة اسكندرية فى محل القرية التى كانت تعرف فى ذلك اليوم باسم (راكوتيس) وجعلها على نسق المبانى المقدونية وذلك سنة ٣٣٢ ق م وقد عين بنفسه محل المبانى والهياكل سواء كانت مصرية أو مقدونية وهذا دليل على اباحة الديانة المصرية عنده وجعلها مركز التجارة الشرقية والمغربية ومات الاسكندر بالحمة المتقطعة وذلك

من انهماكه على شرب الخمور زيادة عن الطاقة وذلك سنة ٣٢٣ ق م
ومدة حكمه ١٢ سنة وعمره ٣٣ سنة قال بعض المؤرخين انه مات
ببابل وقد ذكر المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف انه مات بشهرزور
بعلة الخوانيق وكان عمره ٣٦ سنة ودفن في تابوت من ذهب مرصع
بالجوهر وطلي بالصبر ائلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية وبنى
الاسكندر ١٢ مدينة منها أصبهان وهراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد
مدينة لروشنك وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية

﴿خلفاء الاسكندر﴾

ومات الاسكندر ولم يعين خليفة له وكان له ابن ولد بعد موته ببضع شهور
وأخ أحمق لا شرف ولا مجد له فصارا يتقلبان على سرير الملك مدة من
الزمن ثم قام أتباع الاسكندر وقسموا ممالكه الى خمسة أقسام استولى
(أنطيباتيه) على مقدونيا و(أنتيجون) على آسيا الصغرى و(ايمين)
(بامالة الالف والميم) على قبادوسيا و(سيلوخوس) على بابل و(بطليموس)
على مصر وجعلوا (افرديكاس) الذي كان قد أعطى له الاسكندر قبل
موته خاتمه الرياسة عليهم لكن بعد ذلك أبوا رياسة فرديكاس وأرادوا
أن يكون لهم الرياسة المطلقة على أقاليمهم ومن ثم حصلت مخاصمات
ومنازعات فاشتد الحرب بين هؤلاء الطمعة فقتل (فرديكاس) وقام
(انطيباتيه) ثم (ايمين) وجدوا في طلب حقوق عائلة الاسكندر ولكن
(ايمين) بعد ان انتصر نصرات عظيمة هزمه أخيرا (أنتيجون) وقتله وبعد
موته لم تجد عائلة الاسكندر من يقوم بحمايتها ووقعت بين أيدي أعدائها
واتبعوها بالقتل حتى أهلكوها ولم يبق منها غير المستضعفين وقبض
(أنتيجون) وابنه (ديمتروس) على زمام أقاليم آسيا فتعصب عليهما
بطليموس وسيلوخوس وأحزابهما ووقعت الحروب بينهما فدارت الدائرة
فيها على أنتيجون ومن معه بالقرب من مدينة ابسوس (بآسيا الصغرى)
سنة ٣١٠ ق م وقتل أنتيجون وأما ابنه ديمتريوس ففر هاربا وكانت

واقعة

واقعة (ابسوس) المذكورة سببا فى انقطاع الشقاق والنطاع عن وانقسمت ممالك الاسكندر بعد ذلك الى ثلاثة أقسام الاول مصر وتولاها بطليموس صوتير والثانى سوريا وتولاها سيلوخوس والثالث مقدونيا وتولاها كساندر

تاريخ اليونان بعد موت الاسكندر

﴿الحزب الاخيوانى وذكر أراتوس﴾

ولما انحطت بلاد اليونان جميعها ستعبدها ملوك مقدونيا فشرعت فى انقاذ نفسها وأول من اجتهد فى ذلك من أهلها الشهير (أراتوس) فخلص مدينته التى ولد بها من الطاغية وأراد كذلك انقاذ وطنه بتمامه من طغيان أهل مقدونيا ولكن كان يتوقف نجاحه على اتحاد البلاد اليونانية فى الكلمة كما فعلت أيام الحروب الميدية فتسنى لها طرد الاجانب لكن لما كانت مدائن (أشاء) أو (أخيا) يدا واحدة عقد أهلها مع بعضهم المعاهدات فجمع شملهم رعامل كل منهم أخا على وتيرة واحدة وبالجملة كانت (أخيا) عبارة عن حزب فبث (أراتوس) فى الحزب الاخيوانى روح الحمية وسعى فى ضم بلاد اليونان جميعها الى حزبه فتمكن من ذلك وأنقذ كورنته من حامية مقدونية وأدخل فى الحزب جملة مدائن منها (أتينا) وكان ذلك نحو سنة ٢٥٠ ق م

﴿الحزب الايطوليانى﴾

قد اضمحلت مقدونيا بالفتن الداخلية وصارت هى والحزب الاخيوانى أعداء ألداء للاقوام المعروفين باسم الايطوليين (بشمال المورة) الذين كانوا يشنون الغارة دائما على أطراف تلك الجهات ويهددونها بالسلب والنهب ثم اجتمعوا فى هيئة حزب سمى بالحزب الايطوليانى وانتشبت الحرب بين الاخيوانيين والايطوليين انتهت بحصول معاهدة بينهما وقبل ذلك اراتوس وكانت اسبارطه قد قامت من سقطتها بعناية أحد

ملوكها المدعو (آجيس) الذى نشر أحكام (لوكورغه) ليحيى بذلك وطنه فابتدأ بابطال الديون ثم قسم الارض بين الاهالى فغضب لذلك أغنياء اسبارطه وأغروا على قتله ولما تولى كليومين الثالث (بامالة الميم) الملك صمم على تنفيذ مشروع (آجيس) فابتدأ فى تنظيم القوة العسكرية لبلاد (لقديمونيا) وأراد كسر شوكة الحزب الاخيوانى فقام وهجم على اراتوس وانتصر عليه جملة نصرات ورجع الى لقديمونيا وحبب اليه العزم فى استرجاع أحكام لوكورغه وشدد فى ذلك ومن ثم عاد لاسبارطه شوكتها القديمة وصار كليومين له الرياسة الملوكية على أغلب مدن المورة فلما شاهد اراتوس ذلك وعرف مقاصد كليومين استنجد بملوك مقدونيا فبعثوا لمساعدته جيشا من المقدونيين والاخوانيين فانهزم الاسبارطيون بالقرب من مدينة (سيلاذريا) (لاكونيا) سنة ٢٢٢ ق م وأما كليومين ففر هاربا الى مصر والتجأ الى بطليموس الثالث ثم قتل نفسه وذلك سنة ٢٢١ ق م

وبعد واقعة (سيلاذريا) انتشبت الحروب بين الاخيوانيين والايطوليين حيث كان غرض الايطوليين أن يكون الحكم المقدونى فى أيديهم وسميت هذه الحرب (حرب الحزبين) فانهزم الاخوانيون والتجؤا الى مقدونيا وكان ملكها وقتئذ فيليبش الثالث وفى سنة ٢١٣ مات اراتوس مسموما بامر فيليبش المذكور وبذلك تحكمت يده على بلاد اليونان

الباب الخامس

﴿فى الكلام على مصر تحت حكم اليونان أى زمن البطالسة﴾

اعلم أن ملوك البطالسة هم ذرية بطليموس السالف الذكر وقد مكثت مصر تحت حكمهم مدة ٢٧٠ سنة وكان مقر حكومتهم الاسكندرية وعدد ملوكهم أربعة عشر بما فيهم كليوبتره التى كانت خاتمة لهذه الدولة

ولنذكرهم

ولنذكرهم على الترتيب فنقول

﴿ذكر الملك بطليموس الاول﴾

ويلقب باسم صوتير أى المخلص وقد وقعت مصر فى قبضته حينما انقسمت ممالك الاسكندر وكانت مصر أعظم ممالك العالم وأبهجها ولما تحكمت يده فى مصر أحسن التدبير والسياسة واستمال عقول الاهالى وقد أدخل جمهورية القيروان تحت حكمه لما قامت بها فتنة داخلية وهو الذى عمم الهياكل والمبانى وصارت الاسكندرية من أعظم مدن الدنيا فمن ضمن هذه المبانى ضريح الاسكندر الذى خفى الآن عن العيون وظن انه فى محل بعد فى النبى دنيال عليه السلام ومنارة الاسكندرية التى أنشأها بجوار المينة البحرية لمنافع التجارات وفوائد السياحات والمعاملات وهى احدى بنيان العالم العجيب الذى بقى على ممر الزمان من عجائب الدنيا ومن أنفع مبانى بطليموس المذكور مدرسة الاسكندرية المسماة بالرواق حيث جمع فيها علوم ذلك الوقت من فلسفيات ورياضيات وطبيعيات وحكم وآداب فكانت هذه المدرسة موصلة لقصره بقرب عمود السوارى المشهور وقد جلب اليها علماء اليونان وغيرهم من سائر البلدان ومامضى على الاسكندرية برهة من الزمن الا وصارت مركز التمدن والعلوم والفنون وأنشأ فيها خزائن كتب ملوكية جمع فيها الكتب القديمة المعتنى بها وكان له مزيد عناية بالفنون المتجربة حتى كان عنوانه فى ديوان مقدونيا قابودان الاسطول وكثرت فى أيامه التجارات والمخالطات مع البلاد البعيدة وقد ذكر المؤرخون ان مصر فى أيامه كان فى وسعها الاستحضار على مائة ألف من العساكر وأربعين ألف من الفرسان وعلى ألف مسلح من المناشير والمناجل وكان فى مخزن المملكة مائة ألف طقم مجهزة من الزرد وكانت بالترسخانة نحو ٣٥٠ سفينة كبيرة وكان مايبقى فى كل سنة من الايراد بعد الصرف ٢٠٠٠٠٠ كيس ومات سنة ٢٨٥ ق م

﴿بطليموس الثانى﴾ ٢٨٥ - ٢٤٧ ق م

ويلقب فيلادافيس سمى بهذا الاسم من باب التهكم والتمسخر لانه كان يبغض اخوته ويتقصدهم بالقتل وكان سنه وقت تقليده السلطنة ٢٤ سنة وقد سار على سيرة أبيه وتفرغ الى تقديم العلوم وهو الذى أمر القسيس مانيتون المصرى بتأليف تاريخ مصر باللغة اليونانية ثم ترجم الى اللغة الفرنساوية ثم الى العربية فى عصرنا هذا (الاستاذ عبد الله بك الشهير بأبى السعود مدير عموم المكاتب الاهلية سابقا) فجمع المؤلف تاريخها من الدفاتر المصرية والتذاكر القديمة المحفوظة بالهياكل والمعابد المصرية ولم يبق من هذا التاريخ الا بعض جزئيات وصلت الى الفرنج ضمن كتب المؤرخين وكانت مصر فى عصره أعظم البلاد وقد اعتنى بمعرفة حقائق البلاد فاستكشف داخل بلاد أفريقا وسواحل بحر فارس المعادن والاحجار الكريمة وقد اجتهد فى استكشاف منبع النيل وأرسل لذلك جملة ارساليات واستكشف أيضا السودان والنوبة وجنوب بلاد (مرو) وقد جدد عملية حفر ترعة السويس التى كان شرع فيها من الفراعنة نيخاوس ومن الفرس دارا الاول ففتح هذا الخليج من فرع الطينة بالقرب من تل بسطه عند الزقازيق ووصله الى البحر الاحمر بقرب السويس فى الجهة الشمالية وأرسل كثيرا من الكشافين لاستكشاف بحيث جزيرة العرب الى بحر الهند وأخذ مساحتها وقد شرع فى بناء هيكل عظيم لزوجته التى هى أخته أيضا وهو أول من أمر بترجمة التوراة من اللسان العبرانى الى اللسان اليونانى ومات سنة ٢٤٧ ق م

﴿الملك بطليموس الثالث﴾ ٢٤١ - ٢٢٢ ق م

ويلقب أيضا أورجيطه (أى المرحوم) لقب بذلك من باب التهكم ولم يمكث زمنا طويلا الا وقد اضطر الى الحرب مع سيلوخوس الثانى ملك الشام واستمرت المشاجرة بينهما أزمانا وسبب ذلك ان سيلوخوس المذكور قتل أخته بعد أن تغلب على ملك زوجها أنطيوخوس الثانى فآل الامر

بهزيمة

بهزيمة سيلوخوس ودخل بطليموس المذكور بلاد الشام واستولى على سواحل آسيا الصغرى وتقدم الى نهر الفرات ودخل أرض الجزيرة وبلاد بابل والعجم والميديين وزحف لغاية بلاد بكتريان ثم رجع الى مصر لداعى الاضطرابات التى حصلت بها فترك هذه الولايات ولم يبق منها سوى فلسطين وسواحل آسيا الصغرى لغاية بوغاز الدردنيل ولما عاد الى مصر وأطفأنار الفتنة زحف بجيوشه الى بلاد الاتيوبيا فقهر ملك مملكة مرو واستولى على بلاد الحبش واتسع نطاق مملكته من ينابيع النيل الازرق لغاية بوغاز باب المندب وقد أدخل جزيرة قبرص تحت طاعته وأيضا برقة وليبيا وجلب من هذه الفتوحات غنائم شتى ولما كان غائبا خافت عليه زوجته فنذرت نذرا ان رجع زوجها سالما تكرس شعر رأسها للزهرة فحين رجع وفت بالنذر وكرست شعرها ووضعته فى هيكل الزهرة ومكث بالهيكل المذكور عدة أيام ثم سرقه أحد القسس فأمر الملك بقتل جميع القسس الموجودين بالهيكل نخاف الحراس على أنفسهم فنجاهم أحد المنجمين بقوله للملك ان الزهرة قد نقلت شعر الملكة الى السماء ووضعته بين النجوم ومن ثم سمى مجموع من مجاميع النجوم (شعر برنيقا) المعبر عنه بالثريا وهو الذى بنى (المعبد الاكبر) بمدينة (ادفو) وكان فى مدته وجود الفلكى (ايراتوستم) الذى ثبت ثبوت الارض وتحرك الاجرام السماوية واستمر رأيه مدة أربعة قرون أعنى الى ظهور بطليموس الذى كان بمدينة (الفرما) وأثبت رأى ايراتوستم ولم يزل علماء هذا الفن يعتقدونه الى الجيل الخامس عشر حتى جاء العلامة كوبرنيق الالمانى وأظهر حقيقة المسئلة ومات أورجيطه سنة ٢٢٢ ق م

﴿بطليموس الرابع﴾ ٢٢٢ ـ ٢٠٥ ق م

ويلقب فيلوباطور أى المحب لابيه لقب بهذا الاسم على سبيل التهكم والاستهزاء لانه اتهم بقتل أبيه بالسم وفى عصره خرج عليه انطيوخوس الاعظم ملك الشام يريد بذلك القبض على زمام الاقاليم التى فتحها

أورجيطه فتقابلا الجيشان فى مدينة رافيا وهزم الجيش الشامى وفتح فيلوباطور بلاد فلسطين وجزأ من بلاد شوريا وكان ضعيف الرأى حيث كان وزيره (سوسيبيوس) يدخل عليه الاراجيف والوهميات التى لا أصل لها واستمال عقله حتى أغراه على قتل أخيه وأعيان دولته وزوجته وأمر أيضا بقتل يهود الاسكندرية حيث منعه (الحاخام) من زيارة بيت المقدس ومات سنة ٢٠٥ ق م

﴿بطليموس الخامس﴾ ٢٠٥ - ١٨١ ق م

ويلقب (ابيفان) أى الماجد تولى هذا الملك وهو ابن خمس سنوات وأقيم عليه أحد وزرائه كفيلا وصار هذا الوزير يرتكب الجرائم والمفاسد وكذا قامت عليه الاهالى وأخذوه واستأذنوه فى قتله وقتلوه مع جميع أحبابه ونقلت الكفالة وولت الاهالى كفيلا غيره فتغيرت الاحوال فأغار عند ذلك ملك الشام ولكن انتصر عليه ملك مصر بكثرة جنوده

﴿الملك بطليموس السادس والسابع﴾ ١٨١ - ١١٧ ق م

ويلقب أيضا فيلوماطور أى المحب لامه سمى بهذا الاسم تهكما وكان بينه وبين ملك الشام حروب شديدة انهزم فيها بطليموس وأخذ أسيرا ولما رأت أعيان البلد ما حصل لملكهم أقاموا أخاه بطليموس السابع فيسكون (الخنطاء) ولما سمع بذلك ملك الشام ذهب الى الاسكندرية وحاصرها ثم ان اليهود شاعت ان ملك الشام مات فى حصار مدينة الاسكندرية فاضطربت أحوال بلاد الشام فلما علم ملك الشام تلك المسئلة توجه الى وطنه وترك الحصار وعاد بطليموس

فعند ذلك حصل النزاع بين الاخوين فذهب فيسكون الى بلاد اليونان واستعان بهم فحكم له أن يكون واليا على بلاد القيروان وبرقه فلم يرض فزادوه جزيرة قبرس فغضب بطليموس المحب لامه وانتشب الحرب بين الاخوين فغلب بطليموس محب أمه أخاه فيسكون وأخذه أسيرا ثم عفا عنه وزوجه بنته كليوبتره الصغيرة

(بطليموس

﴿بطليموس الثامن﴾ ١١٧ - ١٠٧ ق م

فكان ملكا على القيراوان. ولما سمع بموت أخيه فيسكون تزوج باخته كليوبتره التى كانت زوجة أخيه المتوفى وذبح يوم عقده ابنها على حجرها ثم تزوج بابنتها أيضا وانهمك على اللذات والمعاصى فبغضته الرعية ففرّ هاربا الى جزيرة قبرص وخاف أن يمتلك ابنه المملكة فارسل اليه ولما حضر عنده أمر بذبحه ووضعه بزنبيل وأرسله الى زوجته كليوبتره ولما نظرت ما حصل بابنها جهزت عساكر وتحاربت مع عمها الذى هو زوجها فهزمها وتولى على مصر ثانيا

﴿بطليموس التاسع﴾ ١٠٧ - ٨٨ ق م

ويلقب أيضا بالارقط لانه كان له علامة فى وجهه وكان الملك مبغوضا عند أمه لانه كان عازما على قتلها بالسم فقومت عليه الاهالى ففرّ هاربا الى جزيرة قبرص وأخفى نفسه فجاءت أمه وألبست التاج لاخيه الاصغر المدعو الاسكندر الثانى

﴿بطليموس العاشر﴾ ٨١ ق م

ومكثت أمه تحاربه وهو فى جزيرة قبرص فكانت تارة تغلبه وتارة يغلبها ثم قتلها ابنها الاسكندر المذكور وأراح العباد منها ونبش قبر الاسكندر الاكبر وأخذ التابوت الذهب الذى كان مدفونا فيه ووضع تابوت بدله من البلور فلذا بغضته الاهالى وأحضروا أخاه بطليموس الزامر ملكا محل أخيه ومات سنة ٨٠ ق م

﴿بطليموس الحادى عشر﴾ ٨٠ - ٥٢ ق م

ويلقب بالزامر سمى بذلك الاسم لتولعه بسماع المزمار وكان بينه وبين أخيه الاسكندر اضطرابات عظيمة وحوادث جسيمة الى ان مات الاسكندر سنة ٨٠ ق م ولما انفرد بطليموس الزامر بالحكم تعاهد مع بومبيوس ويواص قيصر ملكا روما ودفع لهما مبالغ جسيما وتحصل على

هذه الاموال بزيادة الجزية فبغضته الاهالى ففرّ هاربا من مصر ثم عاد مع جيش رومانى وقتل الامراء وأعيان مملكته واستولى على أمتعتهم

بطليموس الثانى عشر والثالث عشر وكليوبتره الكبيرة

تولى بطليموس الثانى عشر على مصر سنة ٥٢ ق م وهو وقاصر مع أخته كليوبتره فبغضها الاهالى فهربت الى الشام وبقى بطليموس الثانى عشر حاكما وحده وفى هذه المدة قامت فتنة بين ملكى روما بومبيوس ويوليوس قيصر وبومبيوس قيصر ولما انهزم بومبيوس فر الى مصر واحتمى عند بطليموس الثانى عشر فما كان منه الا ان قتله وبعث رأسه الى يوليوس قيصر فشق عليه ذلك الامر وأمر باحضار بطليموس الثانى عشر وأخته كليوبتره وحبسهما عنده فالتمس أهل الاسكندرية من يوليوس قيصر أن يرسل لهم بطليموس ليكون حاكما عليهم ولاجل أن ينتقموا من كليوبتره فامتنع من ذلك فوقع الحرب بين أهالى الاسكندرية والملك يوليوس قيصر فغلبوه وأرادوا أن يأخذوا سفنه فاحرقها بيده أيضا واشتعلت نيرانها من البحر حتى وصلت الى القصر الملوكى ومنه اتصلت الى كتبخانة الاسكندرية ثم ان مدينة روما لما استشعرت بذلك أرسلت الى يوليوس قيصر عددا عظيما من العساكر فانتصروا على المصريين وبعد ذلك أطلق لهم يوليوس قيصر بطليموس الثانى عشر ولما خرج من عنده جهز عساكر بحرية فانهزم امام خصمه فأخذه وقبض عليه وأغرقه هو وعساكره فى النيل وعاد يوليوس قيصر الى بلاده سالما سنة ٤٨ ق م وأمر يوليوس قيصر بطليموس الثانى عشر وكليوبتره أن يحكما بالاشتراك ومات بطليموس مسموما سنة ٤٤ ق م فتزوجت أخته بانطينيوس ملك روما فكان له شريك فى الملك يدعى اقطاوس فحصل بينهما مثل ما حصل بين يوليوس قيصر وبومبيوس فانهزم انطينيوس ورجعت كليوبتره من الشام الى مصر وأرسلت لزوجها انه اقتلت نفسها فلما بلغه الكلام قتل نفسه ودخل اقطاوس مصر ولما استشعرت بذلك قتلت نفسها بثعبان وقيل

انها

انها قتلت نفسها حينما لم يقبل اقطاوس أن يتزوج بها وذلك سنة ٣١ ق م
ومن ذلك الوقت صارت مصر اقليما رومانيا

الباب السادس

(فى تاريخ قدماء الرومان)

﴿تأسيس مدينة روما﴾

اعلم أن اللذين أسسا مدينة روما هما (روموولوس) و(ريموس) من سلالة ملوك (البالانغ) سنة ٧٥٣ ق م ووضع هذه المدينة على نهر التبر ثم جعلاها بعد ذلك تحتا لملكهما ثم قتل (روموولوس) أخاه (ريموس) وانفرد بالحكم واشتغل بالجهاد والحروب مع من جاوره من الامم لاسيما السابينيين فانه قتل رجالهم وسبى نساءهم وأدخلهم تحت طاعته ثم قسم الاراضى بين رعاياه وأسس مجلسا مكونا من مائة عضو وسماه مجلس السناتو (أى مجلس الاعيان) ليقوم بخدمة المملكة وقسم الاهالى ثلاثة أقسام أشراف الناس والشواليه وهم اللذين يخرجون الى الحرب بخيولهم وفقرائهم وعامتهم ثم تجبر وتنمرد فقتله أرباب المجلس وأشاعوا أنه رفع الى السماء فعبدوه وسموه (كيرينوس) وذلك سنة ٧١٦ ق م

وبعد موت (روموولوس) بقى التخت بلا ملك نحو سنة وكان الحكم فى هذه الفترة لاعضاء المجلس ثم اتفق أهل المدينة على توليه رجلا يدعى (تومابومبليوس) ملكا عليهم فسار فيهم سيرا حسنا واجتهد فى تهذيب أخلاقهم ورتب لهم محافل دينية وأسس طائفة الرهبان الوستالية أى لعبادة الاله (وستا) ومات بعد ان حكم ٤٣ سنة وذلك سنة ٦٧٢ ق م
ومن ملوك روما أيضا تركان الثانى الملقب بالتكبر وهو السابع من ملوكهم جلس هذا الملك على تخت المملكة قهرا عن أهل المدينة حينما قتلت زوجته (توليا) أباها سيرويوس توليوس ونفى رؤساء المجلس

السناتو وجعل معيته رجالا أغرابا وجعل على الاهالى ضرائب مختلفة فاذعنوا له وأدوها اليه ثم ان ابنه سكستوس فخش بامرأة تسمى لوقريس فقتلت نفسها وأوصت زوجها أن يأخذ بثارها وعند ذلك بلغ نفور قلوب الاهالى منه منتهاه فانتهز الفرصة غونيوس بروطوس وكان الملك (تركان) هذا قد قتل أباه وأخاه فحرض أهل المدينة على العصيان واشهار السلاح ولم يكن الملك (تركان) وقتئذ بالمدينة فاجمعوا على نفيه مع عائلته مدة حياته وابطال السلطنة الملوكية ونشروا فى ذلك قرارات وذلك سنة ٥٠٩ ق م

﴿تأسيس الجمهورية الرومانية﴾

وبعد طرد (تركان) سنة ٥١٠ ق م وخروجه من المدينة شرعوا فى تأسيس الحكم بكيفية جديدة فاجمعوا على عقد جمعية من مشاورالفرق المئينية لانتخاب حاكمين أى قنصلين لاجراء الاحكام العليا فكان سطوتهما كسطوة الملوك الا انهما لا يحكمان الا سنة واحدة فوقع الانتخاب أولا على بروطوس وقللتان زوج لوقريس المذكورة فلم يعد على الامة من هذه التغييرات فائدة لانه بعد ان كان الظالم واحدا صار متعددا وصارت أهل المدينة حزبين أغراضهما مختلفة أحدهما الاشراف وغرضهم أن يكون الحكم لهم والثانى الرعاع ورغبتهم أن يكون لهم دخل فى الحكم ومكث تركان بعد طرده يحارب أهل المدينة مدة مديدة من الزمن فلم ينجح وقيل انه فتح المدينة لكن تركها العصيان رعيته

﴿الشقاق الداخلى بين الرعاع والاشراف﴾

لما صارت الحكومة جمهورية سطت يد القوى على الضعيف وتجاهر بعض الاهالى بالعصيان فحصل بروما نزاع عظيم بين رعاع الناس وأشرافهم بسبب معاملة الاشراف لهم من شدة الظلم والصعوبة فى الحكم فخرجت الرعاع وتركت المدينة الى جبل صغير مجاور لها يسمى الجبل المقدس فلما شاهد ذلك مجلس السناتو التزم بان ينتخب قاضيين

يقومان

يقومان بالمدافعة عن حقوقها لاجل تهديد تلك الامة فصار بعد ذلك قاضيان نائبان عن الامة وصار الحكم فى أيديهم يتزعزع كما كان فى يدى مجلس السناتو وانتهى أخيرا بتفريق الجمهورية وشطاطها وبعد مضى زمن قليل قالوا على حسب مابدا لهم من رأى العين أن لا يحكمان بالقوانين الموضوعة فى الاصل الا بعد اضافة بعض أحكام أخر لها ولاجل نهو ذلك الامر أرسلوا رسولان الى مدينة أتينا لاحضار قوانين سولون وعند رجوع الرسولين من تلك المأمورية كلف عشرة رجال من الاشراف بتحرير تلك القوانين وأطلقوا عليهم (جمعية انتخاب القوانين) فعملوا ما أمروا به ولكن درجوا ماليس هو مدون فيه من الظلم والعدوان فقامت عليهم الامة لما ظهر لها من ظلمهم وجورهم وطردوهم وأما المسيو (أبيوس كوديوس) الذى كان فائقا فى الظلم فكان عقابه الموت وبعد ذلك حصل بين هاتين الامتين معاهدات عظيمة أهمها عقد الزواج بينهما وبعد مضى ٧٠ سنة حصل من أحد قضاة الامة المسمى سيسينوس ستولون هيجان عظيم بقوله ان القانون لا يجوز لاى وطنى أن يستأجر أكثر من ٥٠٠ فدان من الاراضى الميرية ولا بد ان أحد القضاة يكون من أصاغر الناس (أى من عائلة فقيرة) فلم يقبل منه ذلك الا بعد مضى عشر سنوات أى بعد انقطاع الشقاق الداخلى

وفى سنة ٣٦٦ ق م كان أول قاض فى البلد هو سيكتيوس من أسافل الناس وأخيرا فان صحة أقوال ذلك القانون تم قبولها بواسطة رعاع الناس بشرط أن يستحقون ألقاب الشرف أو رؤساء الديانة وقد انقطع من وقتئذ الشقاق الداخلى من تلقاء نفسه الذى جعل روما منذ مدة مديدة فى اضطراب عظيم وتقدمت فى فتوحاتها من ذلك الوقت تقدما لا يدرك العقل سبيل كنهه

﴿اغارة الغول على روما﴾ سنة ٣٩٠ ق م

ولما كانت الحرب عند الرومانيين من أعظم الوسائل لاتساع مملكتهم

تقدم عندهم هذا الفن واشتهر وابه وحيث كانت مصاريف الحرب فى أول الامر على الاهالى فكانت أيامه قصيرة وكانوا اذا مضى عليهم فى الحرب عشرون أو ثلاثون يوما قعدوا عنه وانصرفوا لاشغالهم فأشار مجلس السناتو بترتيب ماهية للعساكر فقبلت الاهالى منه ذلك وعدوه احسانا وفى ذلك الوقت ابتدأت شوكة الجمهورية فى الظهور لدوام جيوشها تحت السلاح ولولا الوسائل التى بها احتراز الرؤساء العسكرية تحت السلاح لما نجحوا فى واقعة مدينة (ويس) التى مكثوا فى محاصرتها عشر سنين وكان الفخر فى هذه المدينة التى هى قرينة مدينة روما لكاميل (أحد الجنرالات الرومانية) وذلك قبل المسيح بنحو ٤٠٥ سنة فكوفئ هذا الرجل الشهير بالنفى لانه اتهم ظلما وعدوانا باختفاء جزء من الاموال المغتنمة من المدينة المذكورة فلما حكم عليه بالنفى ذهب الى الادرياتيين وأقام عندهم وفى ذلك الوقت هجم جيش عظيم من الغول (وهم قدماء الفرنساويين) كان عبر جبال الالب تحت قيادة (برينوس) وأتلف كل ما مر به وأفنى الجيش الرومانى قريبا من نهر الاليا ودخل روما وكان قد تركها أهلها وحرقت المدينة وذلك سنة ٣٩٠ قم وكان مانيليوس فى ذلك الوقت انضم الى بعض شبان الرومانيين وتحصن معهم فى قلعة الكابيتول فسد الغول طرقها ومسالكها وضيقوا عليهم ودفعهم مانيليوس مرارا فلما بلغ كاميل ماحل باهل وطنه نسى ما كان وقع منهم فى حقه من الاساءة وخرج من عند الادرياتيين لمساعدة وطنه فقلده مجلس السناتو برتبة الدكتاتورية (ولى الامر المنفرد بالحكم) فقيل انه حاربهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم من يبلغ خبرهم لاهل وطنه فكان كاميل ومانيليوس هما اللذان أنقذا وطنهما من الغول الا ان طمع مانيليوس كان سببا فى القائه من أعلا قلعة الكابيتول

﴿الحروب القصصية﴾

الحرب

الحـــرب الاولى

قدذكرنافيما تقدم أن قرطاجة قدأسسها جملة من المهاجرين الصوريين سنة ٨٦٩ قم وكان الرومانيون قدعقدوا جملة معاهدات تحالفية وتجارية مع أهل قرطاجة ثم ان كلا من هاتين الامتين كان متطلبا الاستيلاء على جزيرة سيسيليا فصار ذلك منشأ لوقوع الشقاق بينهما فلما استولى المامرتينيون على مدينة مسينا وهى احدى مدن تلك الجزيرة حاربهم هيرون ملك سيراقوزة (بالجزيرة عنها) فأتى القرطاجيون وأعانوهم عليه الأن المامرتينيين لخوفهم من عدوهم هيرون المذكور وغدر القرطاجيون لهم دخلوا فى حماية روما وفى سنة ٢٦٤ قم ذهب القنصل أوبيوس قلوديوس الى سيسيليا وكسر القرطاجيين والملك هيرون فتعصب الفريقان على روما فاقتضى الحال محاربة الرومانيين مدينة قرطاجة التى كانت لها الشوكة القوية والمكانة العلية عند من جاورها من الامم لاسيما الملاحة ولم يكن للرومانيين وقتئذ قوة بحرية فصنعوا مراكب حربية وتولى القنصل دوبليوس قيادة الدوناغة الجديدة وفاز بنصرة عظيمة على القرطاجيين وهذه أول واقعة بحرية حصلت من الرومانيين وانتصروا فيها واستولوا على جزيرتى قورسة وسردينيا

وبعد ذلك توجه أحد الجنرالات الرومانية المدعو ريجولوس مع جيش الى قرطاجة الأن كزنتيب القديم ونيانى الذى كان قد أتى لمساعدة المدينة المذكورة هجم على ريجولوس وكسره وأخذه أسيرا ووضعه فى الحديد واستمرت الحرب الا أنها كانت متراخية ودولابينهم وقيل أن القرطاجيين عذبوا ريجولوس عذابا شديدا حتى مات ثم فاز الرومانيون بنصرة عظيمة قريبا من جزائر أغاته تحت قيادة القنصل لوتاسيوس سنة ٢٤٢ قم والتزم القرطاجيون بدفع جزية سنوية لروما وهذا هو

الحرب الاول القصصى الذى مكث مدة ٢٢ سنة

الحرب الثانية

﴿وذكر أنيبال وكورنيليوس سيبيون﴾

واستمر القرطاجيون يدفعون الجزية للرومانيين الى أن نشأ فيهم انيبال أحد جنرالاتها وقتئذ عدو الرومانيين لغرض أهل بلاده على حربهم فشرعوا فى محاربة ساجونتا احدى مدن اسبانيا وكانت هذه المدينة حليفة روما فحرقها أنيبال وصيرها رمادا واجتاز جبال بيرينية ونهر الرون وجبال الالب وذلك سنة ٢١٨ ق م فهزم ثلاثة جيوش رومانية وأعظم هذه الوقائع وقعة (كانه) سنة ٢١٧ ق م فقتل فيها القنصل ايميوس ٧٠٠٠٠ من العساكر الرومانية الا أن هذه الواقعة أفقدت القرطاجيين عساكر كثيرة فذهب بعد ذلك الى جهة (كابو) التابعة لبلاد قبانية فلينت لذات الجهة المذكورة طباع عساكره فنسى الرومانيون الشقاق الداخلى وجمعوا جيوشا جديدة وصار بذلك انقاذ روما وفى أثناء ذلك الوقت فتح مارسيلوس مدينة سيراقوزة سنة ٢١٢ ق م واشتهر سيبيون فى اسبانيا وطرد القرطاجيين من بحيثية جزيرة اسبانيا ولما عاد الى روما أراد التوجه والهجوم على افريقا فقبل منه المجلس وفى السنة الثانية أزعج قرطاجة بجيشه الهول فدعت من ايطاليا انيبال لمعاونتها الا انه كان لم يتيسر لاحد مقاومة هذا الشهم الرومانى فهزم انيبال فى (أودية زاما) سنة ٢٠٢ ولما غلب أنيبال ومن معه نصح أهالى مدينته بقبولهم الصلح من عدوهم حيث لم يتيسر لهم غلبه بعد ذلك وأما أنيبال فانه خرج من بلده وذهب يبحث فى غير تلك البلاد على من يكون عدو الرومانيين وأما قرطاجة فضرب عليها الجزية وهذا هو الحرب الثانى القصصى

﴿الحروب الاخيرة بين الرومانيين وأهل مقدونيا والشام﴾

ولما

ولما أمد فيليبش الثالث ملك مقدونيا أنيبال بالامدادات الحربية جرد الرومانيون عليه التجريدات الحربية للانتقام منه وانضموا الى اليونان أعدائه وهجموا على مقدونيا تحت قيادة القنصل (فلامينينوس) فهزمه بالقرب من مدينة سينوسيفاله (بتساليا) فالتزم هذا الامير بتحمل مشارطة صلح موجبة لذله وحقارته وباعطاء ديمتريوس أحد أولاده رهينة عند الرومانيين وذلك سنة ١٩٦ ق م

وفى سنة ١٩١ ق م ابتدأت الحروب بين الرومانيين وانطيوخوس الاكبر ملك الشام الذى كان قد التجأ اليه أنيبال وأيضا كان قد قام لمساعدة الايطوليين ببلاد اليونان فهزمه الرومانيون فى مضايق ترموبيل وفر هاربا الى آسيا الصغرى فتبعه القنصل (لوسيوس سيبيون) أخو سيبيون الافريقانى وانتصر عليه أيضا بالقرب من مدينة مانيزيا سنة ١٧٩ ق م فالتزم الملك المذكور ان يترك للرومانيين جميع أقاليمه التى بآسيا الى جبل الطور فأخذ الرومانيون منها أموالا جسيمة ولقب سيبيون المذكور بالاسياتيق

وفى سنة ١٧٠ ق م جد بيرسى بن فيليبش الثالث فى التخلص من رق الرومانيين فغلبه القنصل (بول ايميل) فى واقعة بيدنا (مدينة بمقدونيا) وبعث به أسيرا الى روما ومعه جماعة من أكابر اليونان وكان من ضمن هؤلاء الاسارى المؤرخ الشهير (بوليب) وبعد ذلك ببضع سنين قام ابن بيرسى المذكور وأشهر لواء العصيان لكنه هزم أمام حصن ميتيليوس وصارت مقدونيا من ذلك الوقت اقليما رومانيا

وفى سنة ١٤٦ ق م دخل الرومانيون بلاد اليونان وكانت قد ضعفت من الفتن والعرابيد المتوالية فلذا لم يجدوا عندهم من يكافحهم غير الحزب الاخيوانى فحصلت وقعة بالقرب من مدينة كورنتة فانهزم الحزب المذكور ودخل القنصل موميوس المتوحش المدينة المذكورة ونقل الى روما جميع ملحها وبضائعها ونفائسها وأسلمها الى اللهيب

وصارت مملكة اليونان من ذلك الوقت اقليما رومانيا وسموه اقليم اخيا

ذكر الحرب الثالثة

ولما أغار (ماسينسه) ملك نوميديا (بلاد الجزائر) على أراضى قرطاجة الذى كان يهددها بالهجوم دائما ترتب على ذلك مشاجرات ألزمت مجلس السنا تو بارسال رسل لازالة هذه المشاجرات حيث كان هذا الملك حليف روما وكان من ضمن الرسل المذكورين (قاتون) فلما رأى هذا الجنرال وسائل الاستعداد عند القرطاجيين رجع الى روما منزعجا وحرض أهل بلاده بالتخلص من كل خوف يخشونه فى المستقبل وختم كلامه بقوله يلزم هدم قرطاجة فتولى سيبيون ايميليان قيادة الجيش الرومانى وكانت الاوامر التى صدرت له عارية عن الشفقة بالكلية فلما رأى أهل قرطاجة انه لا ناصر ولا مانع لهم من أعدائهم دافعوا عن أنفسهم بكل ما فى وسعهم من الحمية الا أنهم فترت قواهم من كثرة عدد عدوهم وأخذت المدينة قهرا وسلمت ايد اللهيب فبقيت النار سبعة عشر يوما وهدمت جميع ديارها وذلك سنة ١٤٦ قم ولقب سيبيون لجده بالافريقانى لكونه تمم الحرب الثالث القصصى

﴿الجراكيين﴾ من ١٣٣ - ١٢١ قم

فلما تمت الحروب الخارجية وقع الشقاق بين أهالى المدينة فكان يرى فى روما جم غفير من الفقراء لا يتملكون القوت الضرورى وجم آخر يملك أراضى كان من الواجب أن تكون تحت يد الجمهورية فشرع رجلان مشهوران بمعارفهما وهما طيبريوس جراكوس وكيوس جراكوس أولاد كورنيليا بنت سيبيون الافريقانى على أن يحاميا عن الاهالى ويغرسا شجرة العدل والاحسان ليدثر بذلك آثار الظلم والعدوان وكان طيبريوس قد استحصل على نيابة الاهالى فامر بنشر قانون الفلاحة وصار يساعد الفقراء فى أمرهم هذا ومن ثم كثرت أعدائه فصار قريبه سيبيون

نازيكه

نازيكه مقدم الفرقة المضادة له وأغار على محل اجتماعه بالامة وكانت الامة مجتمعة هنالك فقتل طيبريوس من شدة الضرب مع ثلثمائة من أحزابه وذلك سنة ١٣٣ ق م

وأما كيوس جراكوس فانه مع ما حصل لاخيه من القضاء والقدر توظف مكانه وسلك طريقته فكانت عاقبته مثل عاقبة أخيه وذلك أن أوبيموس الذى كان من أعدائه لما تقلد بالقنصلية قام على جماعته وقتل منهم ثلاثة آلاف وكان من جملتهم كيوس جراكوس المذكور وألقى رءوسهم فى نهر التبر وذلك سنة ١٢١ ومن ثم انتصرت أشراف الناس لكن بئس ما فعلوه

﴿الحروب الداخلية بين ماريوس وسيلا﴾

﴿ذكر متريدات﴾

ولما انتصر ماريوس على ليوغورتا ملك نوميديا وأيضا على الجيشين العظيمين من السمبريين والطوطونيين المتوحشين الذين كانوا قد شنوا الغارة على أطراف ايطاليا الشمالية بغضه سيلا فاتحد ماريوس مع أرباب الفتن والفساد لنزع الحكم من يد الاشراف ونقله الى يدى العامة حيث كان هو من رعاع الناس وأسافلهم وسعى هو وحزبه فى عزل سيلا فخرج الامير الاخير وعساكره على روما سنة ٨٧ ق م فولى ماريوس ومن معه هاربين ثم توجه سيلا لمحاربة متريدات الاكبر ملك بونت بآسيا الصغرى فقويت قلوب حزب ماريوس واستولوا على روما ثانيا وأحضر ماريوس الا أنه تجاوز الحد فى الظلم والقساوة وقتل جميع أحزاب سيلا وقلد نفسه بالقنصلية وتوفى وهو فى أعظم شوكة وسطوة الا انه لما بلغه نصرات سيلا على متريدات كدر عليه آخر أيام حياته وعاد سيلا الى ايطاليا بجيشه ودخل روما وهو ظافر باعدائه الا انه دخلها خالى من الرأفة والشفقة كما كان ماريوس كذلك فلم يقاومه أحد وأعطى لعساكره أموال القتلى وجمع لنفسه جميع الوظائف فانزعج منه مجلس

السناتو وقلده بوظيفة ولاية الامر الدائمية وذلك سنة ٨١ ق م ثم تنازل عن الحكم ومات بعد قليل

﴿حكومة الثلاثة رجال الاولى﴾

﴿الحروب الداخلية بين بولص قيصر وبومبيوس قيصر﴾

ولما مات كراسوس شريكهما في الملك واشتهر بولص قيصر (سيزار) بفتح بلاد الغول حقد عليه بومبيوس قيصر (بومبيه) وأغرى المجلس عليه حتى نزع منه رياسته الا ان بولص قيصر المذكور كان قد أحدث له بروما حزبا عظيما ومع ذلك فان الجيوش التي قادها مدة مديدة من الزمن كانوا محبين له فامتنع من الامتثال لامر مجلس السناتو فاشهره في الحال عدوا عموميا وأمر بومبيوس بالقيام بملاحظة المملكة وذلك سنة ٤٩ ق م فخرج بولص قيصر على روما ولما دنا منها هرب بومبيوس الى مقدونيا فتبعه خصمه فيها فاقتضى الحال لمعركة قاطعة لهذا المشكل فحصل ذلك في أودية فرساله وذلك سنة ٤٨ ق م فانتصر عليه بولص قيصر وفر هاربا الى بطليموس الثاني عشر ملك مصر الذي كان له الفضل عليه حيث ساعده في توليته ملك مصر فقتله هذا الملك الخائن وقيل ان بولص قيصر لما بلغه هذا الخبر لم يستطع أن يحجز دموعه وتم الامر كما تقدم ثم توجه الى آسيا المحاربة فرناس بن ميثريدات وانتصر عليه ومحى آثار حزب بومبيوس من الدنيا وتقلد بمنصب الدكتاتور الدائمي (أي الذي لا يعزل) وحكم بغاية العدل والانصاف وعفى عن أعدائه ولكن تعصب عليه جملة من الجمهورية فلما بلغه هذا الخبر تعمد دخول المجلس في اليوم الذي كان قد اجتمع فيه المتعصبون على قتله فضربوه ثلاثة وعشرين خنجرا وذلك سنة ٤٤ ق م

﴿حكومة الثلاثة رجال الثانية﴾

﴿وذكر واقعة اكسيومه﴾

ولما قتل بولص قيصر حصل عصيان مهول بين الامة وحوادث جسيمة

تسبب

تسبب عنها التجاء مرك أنطوان الى ليبيدوس رئيس الغول القاطنين وراء جبال الالب وأما اقطاوس (أوكتاف) وارث الدكتاتور المقتول (لم يكن ابنه وانما كان متخذه ابنا) لما رأى ان اعتباره بروما أخذ فى الانحطاط ذهب الى أنطوان وليبيدوس وأشركهما معه فى الحكم فبدؤا بتشتيت جميع أعدائهم وجرى الدم فى أطراف روما وكان يعلق فى المحل العمومى صبيحة كل يوم قوائم طويلة باسماء من صدرت الاوامر بقتلهم فلما تعبت القضاة الثلاثة من الامر بالشنق والانتقام ختموا ذلك بقتل بروطوس الذى كان موجودا فى مقدونيا ثم ان الاتفاق بينهم لم يطل وذلك ان اقطاوس ابتدأ بنفى ليبيدوس وحكم هو وأنطوان بالاشتراك مع بعضهما ثم قسم المملكة بينهما واكتفى اقطاوس بامر المغرب وأنطوان بامر المشرق لكن لما تنازل أنطوان عن الاقاليم الرومانية الشرقية لامرأته كليوبتره ملكة مصر قام اقطاوس وأعلن حرب أنطوان الذى كان نسى نفسه من وجوده عند كليوبتره التى دهشته محاسنها فانهزم أمام خصمه فى واقعة بحرية قريبا من مدينة اكسيومه (فى الشمال الغربى من بلاد اليونان) وذلك سنة ٣١ وقتل أنطوان وكليوبتره نفسهما كما تقدم ذلك ودخلت مصر تحت حكم الرومان

الباب السابع

﴿فى تاريخ مصر تحت حكم الرومان﴾

ولما انفرد اقطاوس بالحكم لقب نفسه باغسطس قيصر وأبطل تأثير الجمهورية ولم يبق لها الا الاسم فقط لان أغسطس قيصر كان مطلق التصرف والحكم ولما صار ملكا تشبث بالعدل مع انه قبل توليته كان ذا قساوة وشرع فى ترتيب القوانين العدلية لراحة الرعية فرغبت فى حكمه ممالك الشرق وكان العامل من طرفه على مصر اليوس غالوس فاجتهد هذا العامل فى اصلاح ما أفسدته يد الفتن فى آخر حكم البطالسة ثم عزله أغسطس لداعى انه رحب باعدائه المنفيين من روما وولى مكانه

بطرونيوس ففى مدته صدرت اليه الاوامر القيصرية بمحاربة بلاد العرب فما أمكنه اطاعتها لداعى صعوبة أقطارهم ولما كان هذا النائب غائبا ببلاد العرب هجمت على مصر ملكة السودان المسماة قنداس واستولت على أقاليم الصعيد فحين رجع هزم السودانيين شر هزيمة وضرب عليهم الجزية وصيّر ملكتهم تابعة لبلادروما وكان العامل من طرف أغسطس قيصر على أمة اليهود هو هيرودوس الذى فى عصره ولد المسيح عيسى عليه السلام ٦٢٢ قبل الهجرة فأراد قتله هذا العامل فاخذته أمه السيدة مريم ويوسف النجار وهربت الى مصر ومكثت مدة سنتين وكانت ولادته فى بيت لحم (بالقدس) ثم عادت الى الشام ونزلت بمدينة الناصره وبها سميت النصارى وكان فى ذلك الوقت مات هذا العامل ومات أغسطس ١٤ م فكانت مدة حكمه ٤٣ سنة غير رياسة الجمهورية وفى عصره وفد على مصر الجغرافى استرابون اليونانى ووصفها وصفا عجيبا

﴿ذكر الامبراطور طيبريوس بن أغسطس﴾

وكانت مصر فى أيامه سعيدة الطالع لم تتنازل عن بهجتها ولكونه كان قاسى القلب على أكابر روما كان لا يسوغ لحكام أقاليمه بظلم الرعية أصلا وهو الذى بنى مدينة طبرية بالشام وفى عهده رفع المسيح عيسى عليه السلام الى السماء وكان هو الذى أمر بتسليمه لليهود كى يصلبوه (والقصة مشهورة) وكان قد تعدى قبحه ان قتل جميع أقاربه وأصدقاءه ومن كان محترما من الاهالى وكان المساعد له سيجان وزيره فكسا مدينة روما ملابس الحزن وذهب الى جزيرة كابريه (فى مدخل خليج نابولى) وانهمك على اللذات والمعاصى الى ان مات سنة ٣٧ م

وتحت حكم كاليغولة تكاثر ورود بنى اسرائيل الى مصر وأرادوا أن يتمتعوا فيها كما كان ذلك زمن البطالسة حيث كان لهم علاقات مع المقدونيين فامرهم عامله على مصر بدخول تمثال الامبراطور

فى

فى كنائسهم ومن يمتنع من ذلك ولم يؤد له حق الاله على المعبود عذبه عذابا شديدا فذهب فوكون أحد علماء ذلك العصر الى روما ليترافع عن حقوق أبناء وطنه فلم يعد من سفره فائدة وكان أقسى قلبا من طيبريوس وأخف عقلا منه حتى انه قلد حصانه بوظيفة القنصلية

ومن ابتداء حكم الامبراطور كلود الذى خلف هذا الامبراطور لغاية حكم الامبراطور ويسبيزيان لم يحدث بمصر أمور مهمة تستحق الذكر وفى عصر الامبراطور الاخير حصل مصاب عظيم ببلاد ايطاليا أورث المملكة هما وغما وذلك ان جبل النار المسمى قيزوف حصل فيه فوران فابتلع مدينتى هيرقولانوم وبومبى وخرب الحريق معابد كثيرة فى روما ومكث بها ثلاث أيام ثم أعقب ذلك طاعون أهلك اناسا كثيرين

فتح تيتوس عاشر امبراطورات روما مدينة بيت المقدس وعمر هيكل الاسرائيليين الذى كان بمحل يعرف باسم (تل اليهودى) وفى نصف القرن الثانى من التاريخ المسيحى أغار على مصر والنوبة أمم متبربرة كانوا على شواطئ البحر الاحمر فقتلوا العباد وأحرقوا البلاد ودمروا الهياكل والمعابد

وفى زمن الامبراطور تراجان استولى الرومانيون على بلاد العرب النباتيين وأخذوا مدينة (بتره) وزخرفوها بمبانى على نسق المبانى اليونانية باقى آثارها الى الآن وحق على التاريخ ان يلوم عليه على ما وقع منه من التسلط فى حق النصارى وفى ذلك الوقت نقصت مياه الترعة التى كان فهاتل بسطه وتصب بالبحيرات المرة التى كان حفرها بطليموس فيلادلفيس فأنشأت ترعة أخرى فهابالقرب من مصر القديمة (بابيلون مصر) وتصب بالبحر الاحمر بالقرب من القرية المسماة قديما بالقلزم (السويس الآن) وتوفى تراجان فى سيسيليا فاختار عساكر الشام قريبه ادريان وصدق مجلس السنا تو على ذلك فأخذ بالسياحة فى جميع ممالكه وفى أيامه عصت عليه أمة اليهود فطردهم من فلسطين

وتفرقوا فى البلاد وفى زمنه وعصر انطونين ومرك أوريل كانت بلاد مصر فى هدوء وراحة والامبراطور الاخير هو الملقب باسم (الفيلسوف) لانه كان فيلسوفا عالما وعملا ولم يمنعه ذلك من القيام بواجب المملكة فانه انتصر مرارا على متوحشى الجرمانيين وكانت جيوشه من النصارى ومن ثم عاملهم بالعدل والانصاف وتوفى مرك أوريل سنة ١٨٠ م وفى ذلك العصر كان وجود الجغرافى بطليموس صاحب الكتاب المجسطى الشهير وكان بمدينة الفرما (من اعمال مصر)

وفى عصر الامبراطور غاليان كان قد لحق الاسكندرية الخراب التام وأشركه فى الملك شيخ عربى يدعى (أودينه) الذى هزم الفرس شر هزيمة وبعد موت العربى قام بالامر بعده امرأته الشهماء زينوبيا التى أتت الى مصر ولم يمكنها فتح مدينة الاسكندرية الا بعد موت فلوديوس الذى كان قد أشهر نفسه امبراطور مدينة الاسكندرية وكان مقر حكومتها مدينة البالمير (بالشام) ثم هزمها الامبراطور أوريليان وحملها الى مدينة (ايمسه) فأحد أتباعها المدعو فورموس الشامى أثار فتنة بالوجه القبلى كانت سببا فى عصيانه على أوريليان فبذل همته الامبراطور المذكور وأطفأ نار تلك الفتن وقتل الشامى المذكور وذلك سنة ٢٧١ م

وفى زمن الامبراطور دقلطيانوس الذى حكم (من ٢٨٤ الى ٣٠٥) م عصت عليه أهل مصر لجور نوابه على رعاياهم فأتى الامبراطور المذكور وجاليريوس شريكه فى الحكم الى مصر لاطفاء نيران ذلك العصيان فخربا الوجه القبلى وأحرقا بلاده حتى مدينة قفط ٢٩٣ م وقد ترك دقلطيانوس لامة النوبة الاراضى الواقعة بين الشلالين الاولين وبنى سوراباقى آثاره الى الآن لمنع تعدى الامم المتبربرة على مصر وبعد ذلك ظهر بالاسكندرية العامل (اشلاى) وأعلن لنفسه الامبراطورية فاتى دقلطيانوس بنفسه وحاصر مدينة الاسكندرية مدة ثمانية شهور وأخذ المدينة المذكورة وقمع أهل الفتنة ووضع تمثال الامبراطور على عمود

فى

فى وسط هيكل سيرابيوم (بالاسكندرية) وسموه عمود بومبيه وهو المعروف الآن بعمود السوارى وقتل اناساعديدين من المسيحيين وألقى رممهم غنيمة للحيوانات المفترسة قاصدا بذلك دخول أهل مصر فى ملته ومع ذلك لم ينجح فى جميع مقاصده وتؤرخ القبط من حادثته

وأما الامبراطور قسطنطين الذى حكم من (٣٠٦ - ٣٣٧) م ففى عصره انتشرت ديانة المسيح عليه السلام وتوجه أحد سكان الاسكندرية المدعو فريمنتوس الى بلاد الحبشة وتكلم فى شأن الديانة المسيحية التى لم تتبع الا بعد ذلك بقرنين وفى عصر قسطنطين انتقل تخت المملكة من روما الى القسطنطينية حيث كان الذى أسسها وجمع البطارقة ووضعوا له الشرائع النصرانية وسارت أمة هيلان (أى اليونان) الى القدس وأخرجت خشبة الصليب وأقامت لذلك عيدا ومن ذلك الوقت أطلق على أهل مصر اسم الاقباط نسبة الى مدينة قبط التى بالصعيد

وقبل موته قسم المملكة بين أولاده فمن هذا التقسيم حصل الاختلاف بينهم وقتل بعضهم بعضا ومازال هذا الاختلاف الى عصر الامبراطور تيودوز الذى حكم سنة ٣٧٩ م وفى مدته صدرت الاوامر القيصرية لجميع الولايات الرومانية باتباع الديانة المسيحية ونشرت قرارات بغلق معابد وهيا كل الديانة الوثنية وهدمها ومن ثم هدم هيكل سيرابيوم سنة ٨٧٩ م واحترقت الكتبخانة وأصلح الاحوال بحسن سياسته وتدبيره وكان له ولدان وهما ارقاديوس وهونوروس فقسم المملكة بينهما ولكن لم يحصل ذلك الا بعد موت شريكه فالمتنيان الثانى سنة ٣٨٩ وجعل الاول على المشرق وتخته مدينة القسطنطينية وجعل الثانى على المغرب وقاعدته مدينة روما وهذا التقسيم كان سببا فى خرابها الاخير وزوالها بظهور دولة آل عثمان

الباب الثامن

﴿في الكلام على امبراطورات القسطنطينية ودولة اليونان السفلى﴾

حكمت هذه الدولة بعد انقسام المملكة الرومانية سنة ٣٩٥ م وانقرضت بظهور السلطان محمد خان الثاني من آل عثمان سنة ١٤٥٣ م ولنذكر أشهر امبراطوراتها فنقول

﴿ذكر الامبراطور ارقاديوس﴾

وهو أول ملوك هذه الدولة وكانت مملكة الروم في عهده ضعيفة لانه كان قاصرا وكان الحل والعقد في يد وزيره رومين وفي مدته صدرت أوامر لجميع الولايات الرومانية باتباع الديانة العيسوية وأمر بغلق الهياكل والمعابد ولا سيما هياكل مصر ومات بعد ان حكم ١٣ سنة وذلك سنة ٤٠٨ م

﴿جوستسيانوس الثاني﴾

وكان أول أمره حميد السيرة موصوفا بالعدل ثم ظلم وجار على الرعية وانكب على الملاهي وترك الحكم لامرأته (صوفية) التي أحبت شابا يسمى طيباريوس متصفا بالذكاء والآراء السديدة فكانت تستشيره في جميع أمورها فمات زوجها بان يوصي له بالقيصرية قاصدة بذلك ان يتزوج بها وأرسل اليه ملك التتار الهبارة سفير العقد معاهدة فرفض (جوستسيانوس) هذا الطلب وأظهر التعاظم والكبرياء ثم اتفق بعد ذلك مع ملك التركمان وتحالف معه على حرب (كسرى أنوشروان) ملك الفرس بسبب منازعتهما على بلاد أرمينيا فقامت الحروب بين (جوستسيانوس) وأنوشروان واستمر القتال بين الدولتين الى موت الملكين فانقطعت الحروب بموتهما بعد ان حكم ١٣ سنة وقام بالامر بعده طيباريوس الثاني

﴿طيباريوس الثاني﴾

عند جلوسه على كرسي المملكة تحارب مع (هرمز بن أنوشروان) وكان أرسل لقتاله قائدا من قواده يدعى (موريس) مع ثمانين ألف فارس فحارب

فحارب العجم وانتصر عليهم أكثر من ثلاث مرات فكافأ الملك هذا القائد وزوجه ابنته وتعهد بان يكون هو الملك بعده وعند موت هذا الملك المذكور تولى (موريس) على الملك

﴿موريس﴾

وفى أيامه حدثت فتنة فى بلاد العجم جبرت (هرمز بن أنوشروان) ان يفر من بلاده الى (موريس) ليغيثه فقابله المذكور بالترحاب وأمده بجيوشه وأعاده ملكا على بلاد العجم تحت اسم خسرو برويز ثم حول جيوشه الى محاربة التتار الهمارة الذين كانوا قد أتوا من آسيا الى بلاد المجر وسكنوا فيها فانتصر عليهم عدة نصرات عظيمة وكان ملك التتار أسر فى هذه الواقعات عشرة آلاف فارس فطلب منه ملك التتار فداء كل واحد منهم دينارا فلم يقبل ثم طلب منه على كل رأس نصف دينار فأبى ان يعطيه شيأ فاغتاظ ملك التتار وذبح جميع اسراء الروم فلما اشتهر هذا الامر نفرت قلوب الرعية منه ورفعوا لواء العصيان عليه وولوا بدله رجلا من رعاع الجند يدعى (فوكاس) فبايعوه بالسلطنة سنة ٦٠٢ م وكان (موريس) وقتئذ بالقسطنطينية فلما بلغه الخبر فر هاربا مع عائلته فارسل (فوكاس) مجدا فى طلبه فقبضوا عليه وامر بضرب أعناق أولاده ثم قتله

﴿فوكاس﴾

ولما حكم فوكاس أمر عماله الموجودين بمصر برفت جنس المصريين من الوظائف الميرية فحدث من ذلك اضطراب وفتنة فى الاسكندرية وكان أكثر أهل هذه الفتنة طائفة اليهود فحكم عليهم هذا الملك بأن يتنصروا فاطاعوه

وأما خسرو الثانى ملك الفرس الذى هو ابرويز فعند سماعه بقتل موريس الذى أعاده الى ملك أبيه أظهر الحزن والاسف وانتهز الفرصة لفتح باب الحرب مع الروم متخذا ذلك حجة وسببا للانتقام من فوكاس

فاخذ جملة حصون وقلاع واتصلت اغاراته الى بلاد سوريا وكان فوكاس قد جرد له جيشا فانهزم هو وجيشه وتفرق شمله وكانت أمة الروم قد صممت على خلعه من أعماله القبيحة فكتبت الى هيراقليوس أو هرقل والى افريقا ان يحضر ليخلص القسطنطينية من يد فوكاس فسار هيراقليوس بجيش مهول الى القسطنطينية فقبض الشعب على فوكاس فامر بضرب عنقه وعنق اخوته وبايعوا هيراقليوس سنة ٦١٠ وعمره ٣٥ سنة

﴿هيرقل﴾

قد ذكرنا أن (ابرويز خسرو) ملك الفرس تغلب على أكثر ولايات الروم الشرقية في زمن فوكاس وقد استمر أيضا في افتتاح البلاد في زمن هيرقل حتى ان فتح انطاكية وبيت المقدس ثم اتصلت اغاراته الى الديار المصرية وبلاد المغرب وصالح المصريين واتفق معهم على أن يدفعوا له أموالا معلومة كما كانوا يدفعون الى قياصرة الروم ثم بعد ذلك قصد بلاد الاناضول فاستولى على بروسة الواقعة على بوغاز البوسفور واستعان هناك بقبائل التتار المجاورة وتعاهد معهم على أن يهجموا على بلاد الروملي فأغاروا على تلك الجهات ونهبوا المدن والقرى واستمروا على ذلك حتى دنوا من أسوار مدينة القسطنطينية فلما اشتد الحال على هيراقليوس وآيس من النصرة لقلة عدد جيوشه ولعدم وجود النقود الكافية لتعيين الجيوش صمم على أن يسافر الى تونس وينقل تخت المملكة هناك لانها كانت تابعة لدولته فصده عن ذلك بطريق القسطنطينية وفتح خزائن الكنيسة وأمده بما لزم من الاموال لتعيين الجنود فصالح التتار ورفع عنه أشغالهم بنظير مبالغ معلوم من المال ثم انه عين جيشا عرمرما وزحف بنفسه لقتال الفرس وعند وصوله الى مدينة ايسوس (حيث انتصر هناك الاسكندر على الفرس) وافته جنود الفرس فانتصر عليهم بعد قتال شديد ثم رجع الى القسطنطينية

ظافرا

ظافرا منصورا ولم تزل عساكر الفرس بعد هذه الهزيمة تشن الغارة وتلقى الفساد فى أطراف تلك البلاد فحاربهم هيراقليوس مرة ثانية لصدهم وردعهم وذلك لكونه عبر البحر الاسود وقطع جبال أرمينيا وكان قد اتحد مع التركمان على قتال الفرس فامدوه بجانب من الجيش ثم قصد بلاد العجم وعند وصوله الى نينوى حصل بينه وبينهم قتال مهول فانتصر أيضا عليهم واتفق بعد ذلك بأيام قليلة أن شيرويه قتل أباه المدعو ابرويز خسرو وجلس مكانه وعقد صلحا مع هيرقل بعد ان رد اليه جميع ولايات الروم الشرقية التى كان أخذها والده ورجع الى القسطنطينية فائزا بالنصر ثم ترك ادارة الحكم وانهمك فى مجادلات دينية من جهة لاهوت المسيح وقد أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فقام يسلم لولا امتناع البطارقة ولم يقع بينه وبين الرسول حروب لكن حاربه أبو بكر الصديق وأخذ منه دمشق واستولى على جانب عظيم من سوريا وكانت مدة حكمه ٣١ سنة وكان عامله على مصر المقوقس الذى حاربه عمرو ابن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب وهزمه شر هزيمة وأخذ مصر منه واستمرت القياصرة واحدا بعد واحد الى ان جاءت ولاية تيوفيل الذى حاربه المأمون كما سيأتى ثم ميخائيل الثالث وهو آخر ملك من ذرية هيرقل وحكم سنة ٨٤٢ م

واستمر حكمه الى ان قتله رجل يدعى باسيل واغتصب الحكم منه سنة ٨٦٧ م وفى مدة حكمه لم تنقطع الحروب بينه وبين المسلمين فى خلافة المتوكل على الله

﴿ذكر الامبراطور باسيل﴾

وقام بالولاية سنة ٨٦٧ وهو أول امبراطورات الدولة المقدونية أصله من عائلة فقيرة كان سائسا عند سلفه ميخائيل الثالث وكان ماهرا جدا فى تربية الخيول فاحبه ميخائيل لما ساعده على توليته كرسى المملكة بقتل الامبراطور برداس وأشركه معه فى الاحكام ولذا كان

هـذا الامبراطور موصوفا بالفراسـة والذكاء ومحبا لانتشار المعارف لم يتحـمل أطوار ميخائيـل الفظة وقساوته الشنيعة فعـمل على قتـله واستبد بالاحكام سـنة ٨٨٦ م وأعاد للسلطنة جانبا من عزها وشرفها الاولين وأصلح شرائع البلاد وتحصينها وتقويتها بحيث تستطيع أن تفتح حروباً وتقاوم هجوم العرب وقبائل أوروبا وله هـذا الامبراطور تأليف يعرف بفن الاحكام كتبه لابنه (ليون) وطبع فى باريس سـنة ١٥٨٤ وترجم الى اللغـة الفرنساوية سـنة ١٥٩٠ وله أيضـا مجموع للشرائع فى سـتين مجلدا تعرف بالباسـيلية ابتـدأ فيها باسـيل وأتمها ابنـه وهى مطبوعة أيضا

ومن أشهر سـلاطينها وأعظمـهم نيفوروس فوكاس (غـير الذى حاربه الرشـيد بعـا أن نيفوروس الذى حاربه الرشـيد كان من عائلة هـيرقل) ويوحنا زميسيس فكانت البـلاد فى أيامهـما نامية زاهية وكان يوحنا زميسيس قد حارب المسكوف عنـد اغارتهم على القسطنطينيـة فانتصر عليهـم وقهرهم ثم زحف الى بلاد الشام المعروفة باسم سوريا واستخلص جـملة مدن من أيدى المسلمين وعـبر نهر الفرات وفتح مدنا حصينة فى تلك الجهات ولما مات هذا الملك أخلفه ملوك غـير مشهورين فلهذا الداعى ضربنا صفحا وصرفنا النظر عن ذكرهم وكان آخرهم ميخائيل السادس الذى فى مـدته اضمحلت دولة الروم ووقعت فى أيامـه الدولة فى حالة السقوط والضعف

ولما رأى الروم ضعف ملوكهم وسقوط دولتهم بايعوا اسحق كومنينوس بالسلطنة سـنة ١٠٥٦ م وكان المذكور من عائلة معتبرة من أعيان الرومانيين فاستبد بالاحكام سنتين ثم تنازل عن الحكم لداعى مرض أصابه ومن خلفائه كومنيوس اليكسيوس الذى جلس على سرير الملك سـنة ١٠٨١ وفى أيامه وقعت دولة الروم فى حروب عظيمـة مع الترك وحاربه وبرت غسكار ملك النورمنديين فغلبـه وانهزمت الروم شر هزيمـة

واشتهر

واشتهر اليكسيوس هذا فى التاريخ بخيانته للصليبيين ومقاومته لهم سرا فكان يدعوهم فى مبدأ الامر من أوربا ويعدهم بالمساعدة على أعدائهم ليضعف بواسطتهم قوة الاتراك السلجوقيين الذين كانوا يهددونه بالحروب ثم عند انتصاراتهم يعمل على ضررهم وكان جل قصده بهذه التدابير السياسية تهييج ممالك أوربا وتشغيل أفكارهم بتجهيز الرجال وجمع الاموال لمحاربة سوريا وفلسطين لكى يقى سلطنته من محاربة طوائف الفرنج التى كانت طالما تشتاق لمحاربة تلك البلاد لتفتحها طمعا لاكتساب غناها وقد نال مرامه فى ذلك لانه بسبب حروب الاتراك مع الصليبيين انتهز الفرصة واستخلص عدة مدن وجزائر كانت فتحها المسلمون واستولوا عليها حالة كون هذه البلاد فى يده وبقيت البلاد بعده فى أمن وسلم مدة طويلة من الزمان ومات سنة ١١٩٥

وفى سنة ١٣٥٥ تولى الملك يوحنا بالبولوغوس وكانت مدة حكمه نحو ٣٦ سنة وكان ملكا ظالما قاسيا قبيح السيرة ومن ضمن قبائحه انه جعل أخاه الاكبر المسمى اندرونيكوس مفقود العينين وحفيده يوحنا وسجنهما فهاج الشعب من هذا العمل الشنيع واجتمع أعيانهم وأخرجوا الاعميين من السجن وأعادوهما عما عنه الى كرسى المملكة فالتزم باليولوغوس ان يهرب مع ابنه مانويل وبسبب ذلك وقعت تحزبات وانقسامات بين الاهالى ألجأتهم الى انهار السلاح بعضهم على البعض الآخر وأخيرا اتفقوا على تقسيم السلطنة الى قسمين أحدهما لباليولوغوس وهى مدينة القسطنطينية والثانى الى الاميرين الاعميين وهو ما بقى من المملكة وفى سنة ١٣٦٥ أغار على القسطنطينية السلطان بايزيد من آل عثمان وتهدد ملكها بالخراب فضرب عليها الخراج ثم هجم عليها ثانيا سنة ١٣٩٩ تحت حجة الاخذ بثار يوحنا الاعمى وحاصرها فهرب مانويل الى فرنسا يطلب المدد فلم ينجده أحد واتفق ظهور تيمورلنك واغارته على البلاد العثمانية فاضطر السلطان

بايزيد ان يرحل عن القسطنطينية خوفا من سطوة تيمورلنك فهزم بايزيد وقتل فى واقعة بالقرب من مدينة انقره واستمرت القسطنطينية فى أيدى أهلها الى عهد السلطان محمد الثانى وكان من الشجعان الموصوفين بالفراسة حيث جهز جيشا لفتح القسطنطينية وكان ملكها فى هذا الوقت قسطنطين الثالث عشر الذى هو آخر ملوكها فحاصرها محمد خان براو بحرا الى أن افتتحها سنة ١٤٥٣ وصارت كرسى مملكة الدولة العثمانية

الباب التاسع

﴿فى تاريخ العرب﴾

اعلم ان العرب يسمون بلادهم جزيرة العرب وهى فى الحقيقة بحيث جزيرة ويحدها من الشمال فلسطين وبعض سوريا والجزيرة ومن الشرق الجزيرة أيضا والعراق العربى والخليج الفارسى وجزء من بحر الهند ومن الجنوب بحر الهند أيضا ومن الغرب بوغاز باب المندب والبحر الاحمر المعروف بخليج العرب وبوغاز السويس

وتنقسم بلاد العرب الى خمسة أقسام وهى اليمن والحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين وهى معدودة عندأكثرهم من العراق وهى فى الحقيقة فى بلاد العرب الا انها متصلة بالعراق

﴿الفصل الاول﴾

﴿أمة العرب قبل الاسلام﴾

اعلم ان العرب ينسبون أنفسهم الى ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام فكان قحطان واسمعيل أصلين للنسلين العظيمين اللذين عمرا بحيث جزيرة العرب الاول فى جنوبها والثانى فى شمالها ويقال لهذين النسلين العرب المستعربة والعرب المتعربة لتمييزهما عن عرب العربا الذين يقال انهم من نسل قوم عاد وثمود

فاما

نأما عاد فعلى حسب الروايات القديمة كان يسكن ومعه قومه صحراء الاحقاف (شمال حضرموت) وقد أرسل الله اليهم هودا عليه السلام فلم يؤمن بالله منهم الاقليل فارسل الله عليهم ريحا صرصرا فاهلكهم عن آخرهم وأما ثمود وقومه فكانوا يسكنون الاقطار الحجازية فارسل الله اليهم صالحا عليه السلام فدعاهم الى التوحيد فما تبعه الا المستضعفون منهم فارسل الله عليهم صيحة من السماء فاصبحوا في ديارهم جاثمين على الركب وسار صالح عليه السلام الى الشام

والعمالقة وهم من ذرية سام على رأى البعض أو من ذرية حام على رأى البعض الآخر وأما العرب المتعربة وهم بنو قحطان فقد توطنوا باليمن وأسسوا فيها عائلتين ملوكيتين عائلة ملوك سبا والثانية عائلة ملوك حمير وبقى لسان العرب العرباء هو اللغة العربية الحقيقية المستعملة الى الآن في الحجاز ونجد ولكن سكان مدن اليمن قد استعملوا لغة بني حمير التي تعلمتها بنو قحطان من آبائهم الاول

وأما العرب المستعربة فظهروا بعد زوال بني قحطان بزمن طويل وقد قيل ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما أوحى اليه من قبل الله عز وجل بان يبني في مكة المشرفة هيكلا أي معبدا مباركا رحل من الشام امتثالا لامر الله ونزل في بلاد العرب وشيد فيها الكعبة سنة ٢٧٤٠ قم التي عظمتها العرب من منذ أزمان طويلة بانواع التعظيمات الدينية وقد أقعد بناءها خليل الرحمن عن الرحيل من الحجاز مدة عدة سنين وعاونه على بناءها ابنه اسمعيل عليه السلام المولود بارض مكة عينها وعين الماء التي عثرت عليها هاجر (والدة اسمعيل) تسمى بئر زمزم وان الحجر الاسود المشهور جاء به لاسمعيل جبريل عليهما السلام ولم يزل هذا الحجر موضوعا من قديم الزمان في بناء الكعبة ومن نسل اسمعيل عدنان الذي ينتهي اليه النسب الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم وأما حمير الخامس عشر من أولاد يعرب بن قحطان (الذي هو أول من تكلم باللغة العربية) اليه

تنسب عائلة بنى حمير التى حكمت باليمن مايناوف عن عشرين قرنا وهو الذى طرد ثمود وقومه الى الحجاز ومن ملوك الحميرية اسكندر ذو القرنين المذكور فى القرآن الشريف ومنهم أيضا افريقش وذو الاذعار والهدهاد وبنته بلقيس التى أتت طائعة الى سيدنا سليمان كما تقدم وتزوجها ومنهم تبع واليه تنسب التبابعة وحكم منهم ٢٤ واستمر حكمهم الى سنة ٩٦ ق هـ ومنهم ذونواس ودخل فى دين اليهود وجبر الناس على الدخول فى هذا الدين ومن لم يدخل فيه يحرق وظلم المسيحيين فاستعانوا بالنجاشى ملك الحبشة الذى كانت ديانته مسيحية ولما طلبوا معاونته لانقاذهم من هذا الظلم أرسل المذكور ابنه ارياط مترئسا على جيش مهول ليستولى على بلاد اليمن فدخل فيها وفتح بعض مدنها وهزم آخر ملوك التبابعة ثم قتل ارياط فترأس على الجيوش ابرهه الاشرم صاحب الفيل الذى عزم على فتح مكة المشرفة وكانت فى هذا الوقت تحت رياسة عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم فقام عبد المطلب وحارب خصمه وهزمه فى سنة ٥٧١ م ومات ابرهه عند وصوله الى اليمن وسميت هذه السنة بعام الفيل وآخر ملوك الحبشة باليمن كان مسروق ثم حكمت اليمن ثانيا ملوك حمير والذى حكمها هو سيف بن ذى يزن الحميرى وقد أمده كسرى أنوشروان ملك الفرس على الحبشة بجيش فطرد جيوش الحبش وتقرر سيف فى الملك واستمر حاكما الى ان قتل فارسل كسرى عمالا من طرفه على اليمن واحدا بعد واحد الى ان كان آخرهم باذان الذى دخل فى الديانة الاسلامية المحمدية سنة ١٠ هجرية وأما المهاجرون الذين خرجوا من بلاد اليمن بعد السيل العرم الذى حصل سنة ٧٠٠ ق هـ فانهم أسسوا فى شمال بلاد العرب مملكتين احداهما على شاطئ نهر الفرات وتعرف باسم مملكة الحيرة دخلت فى دين الاسلام سنة ١١ هـ وثانيهما مملكة غسان وهى فى ضواحى مدينة دمشق وأسلمت سكان هذه المملكة سنة دخول أهل بلاد الشام فى الديانة

الاسلامية

الاسلامية أعنى فى زمن خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

﴿الكلام على طباع العرب وأخلاقهم﴾

ذكر المؤلف هردر أن العرب كانت منتشرة من قديم الزمان خلف بحيث جزيرتهم أعنى فى زمن الجاهلية الذى يطلق على الاعصر الاول من تاريخهم وكانت العرب قد أسست ممالك صغيرة فى العراق والشام كما تقدم وكان بعض قبائلهم يسكن وادى مصر وكان الحبش من نسلهم وقد توطنت العبرانيون الذين بعث اليهم موسى بن عمران عليه السلام مع قبائل العرب فى أغلب الازمان وكانت تحافظ قدماء العرب على أخلاق أجدادهم ولكن تغيرت طباعهم بعد ذلك فصاروا سفاكين للدماء ومع كونهم ذوى حرية وكرم وعزة نفس فانهم سريعو الغضب أقوياء الجراءة فترى فى الواحد منهم صفات الفضائل والرذائل التى عليها أمته وفخارهم بالسيف واقراء الضيف وفصاحة اللسان بل كان السيف هو الكفيل الوحيد فى اثبات حقوقهم والوقوف على معرفتها جيدا وكان اقراء الضيف معتبرا أنه القانون الجامع لقوانين الانسانية وكانت الفصاحة لعدم معرفتهم بالكتابة والقراءة تستعمل فى فصل المخاصمات التى كانت لا تنتهيها المحاربات وكانوا لا يتزوجون أمهاتهم ولا بناتهم ويذمون من يتزوج امرأة الاب الضيزن ويعيبونه بذلك ولهم عوائد كثيرة لا يسع المقام شرحها

﴿الفصل الثانى﴾

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

﴿صاحب الشريعة الغراء﴾

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م (كما أثبت ذلك سعادة المرحوم محمود باشا حمدى الشهير بالفلكى فى كتابه المؤلف باللغة الفرنساوية وترجمه حضرة أحمد أفندى

زكى المسمى نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام) وهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (كذب النسابون بعد عدنان) توفى أبوه عبد الله بالمدينة وكان عمره ٢٥ سنة ودفن بمحل يعرف بدار النابغة الجعدى وكان رسول الله يومئذ حملا وتوفيت أمه آمنة بنت وهب بالمحل المعروف (بالابواء) بين مكة والمدينة حين بلغ عمره ست سنين فكفله جده عبد المطلب فلما بلغ النبى ثمان سنين مات عبد المطلب فقام بأمره عمه أبو طالب بوصية من عبد المطلب وأقام عنده حتى بلغ فكان أحسن الناس منطقا اذا تكلم وأصدقهم حديثا فدعى الامين فى قومه ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم ٢٥ سنة سافر الى برّ الشام فى تجارة لخديجة ابنة خويلد التى صارت زوجته فيما بعد وعمرها أربعون سنة وكل أولاده منها الا ابراهيم فانه من مارية القبطية (التى أهداها له المقوقس) وتوفيت خديجة وأبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين أى فى سنة ١٦ من النبوة

وفى سنة ٣٥ من عمره بنت قريش الكعبة وتنازعوا فى وضع الحجر الاسود لان كل قبيلة تريد أن تضعه ومكثت هذه المنازعة مدة أربعة أيام ثم اتفقوا على تحكيم أول داخل من باب (بنى شيبة) فكان أوّل داخل منه النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم بان يحضروا ثوبا فوضع الحجر الاسود فيه وكل قبيلة أخذت طرفا من أطرافه ولما وصلوا الى محله أخذه النبى صلى الله عليه وسلم ووضعه وبنى عليه

ولما بلغ سن الاربعين بعثه الله على فترة من الرسل الى كافة الناس بشيرا ونذيرا وكان ذلك بعد ولاية كسرى ابرويز ملك الفرس بعشرين سنة وأوّل ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصادقة الصريحة فكان لا يرى رؤيا الا وتقع مثل ما يرى ثم حبب اليه الخلاء فكان يتعبد فى (غار حراء) وكان

يمكث

يمكث فيه ليال مختلفة الى ان جاءه الوحى وقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ ثلاث مرات ثم قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق الآية فكانت هذه أول آية نزلت من القرآن وبعد ذلك فتر الوحى ثم تتابع فقام يدعو الناس سرا فأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ومن النساء خديجة الكبرى ومن الصبيان على بن أبى طالب ومن الموالى زيد بن حارثة ومكث يدعو الى دين الله سرا مدة ثلاث سنين ثم أمر باظهار دعوته ولما اشتد أذى المشركين لاصحابه أذن لهم بالهجرة الى بلاد الحبشة وهذه هى الهجرة الاولى فارسلت قريش فى طلبهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا للنجاشى ملك الحبش فخاب سعيهم جميعا فتعاهدت قريش على بنى هاشم والمطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم والى غير ذلك وأسرى بالنبى عليه السلام فى السنة الثالثة عشرة من النبوة من مكة الى بيت المقدس ومنه الى السماء وفرضت عليه الصلاة وفى هذه السنة كانت الهجرة الثانية

الهجرة

وفى سنة ٦٢٢ م تكاثر دخول أهل يثرب فى دين الاسلام فلما علمت كفار قريش بذلك أجمعوا على قتله صلى الله عليه وسلم وتفريق دمه فى القبائل بان يأخذ رجل من كل قبيلة سيفا ويضربوه مرة واحدة فيتفرق دمه ولا يمكن الاخذ بثاره حينئذ فاذن له بالهجرة عليه الصلاة والسلام من مكة دار ولادته الى المدينة دار وفاته فخرج ليلا مع أبى بكر الصديق بينما كان على بن أبى طالب يبذل نفسه فى صرف المهاجمين عنه عليه الصلاة والسلام وكان النبى والصديق قد سلكا مع طريقا مغايرا لطريق يثرب فمكثا جملة أيام فى غار بجبل ثور الكائن على بعد ثلاثة أميال من مكة من جهة الجنوب وأدرك بفطانتهما ان الاعداء تبعت أثرهما فسارا حتى وصلا الى ساحل البحر الاحمر وبعد ان نجاهما الله من

أعدائهما وصلا بعد ذلك بستة أيام الى أرض يثرب فنزلا قباء التي بنى فيها أول مسجد للاسلام ولم يزل ذلك المسجد باقيا الى الآن وقد صارت الهجرة من مكة الى يثرب مبدأ تاريخ السنين والحوادث عند الاسلام بناء عن أوامر سيدنا عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين وكانت في يوم الاثنين ٨ ربيع الاول ٢٠ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ م (نتايج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام) فاقام النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام في قباء حتى لحقه علي بن أبي طالب ثم دخل يثرب بمحفل عظيم ونزل فيها ضيافة أبي أيوب واشترى قطعة أرض وبنى فيها مسجدا وسميت يثرب بالمدينة المنورة واختلطت القبيلتان الاوس والخزرج اللتان تجمعتا تحت لواء الاسلام بعد التشاحن والتباغض وسميتا بالانصار (أي المساعدين للنبي صلى الله عليه وسلم على أعدائه) وسمي المسلمون من أهل مكة بالمهاجرين وفي السنة الثانية من الهجرة حولت القبلة الى الكعبة بعد بيت المقدس وفرض صوم رمضان وتزوج علي فاطمة الزهراء

﴿ابتداء الحروب بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش﴾

(ووصف واقعة بدر سنة ٦٢٤ م الموافقة ٣ هجرية)

قد مضت تلك المدة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقاساة تلك المحن السابقة ثم أذن له بالحرب لاحياء الاحكام الدينية التي يدعوهم اليها وبالجملة فكانت نصرته في غزواته هي البرهان الاكبر على امداده بنصر الله وحمايته اياه فلما عزم على فتح مكة تعاهد مع أصحابه على ان يكونوا معه في جهاد أعدائه للانتقام منهم لمخالفتهم ومبارزتهم له بالاساآت التي أساؤه بها مدة اقامته في مكة واخراجهم اياه منها فلما ذهب عبد الله بن جحش قافلة في شهر رجب لاحراب النبي صلى الله عليه وسلم جهز غزوة لمحاربته ثم لما بلغه ان قافلة قريشية راجعة من الشام وكان قائد هذه القافلة أبا سفيان بن حرب فلما أخبر بسير المسلمين لنهب القافلة

أرسل

أرسل الى أهل مكة ان يغيثوه بامداد فتوجه ألف مقاتل من قريش قائدهم أبو جهل الى وادى بدر وكان أهل الاسلام قد سبقوهم اليه فبعث أبو سفيان الى أبى جهل سفيرا يخبره بان القافلة نجت فلم يرجع الى مكة وظن انه قد تحققت النصرة لقريش على الاسلام فقامت الحروب بين الفريقين وقتل أبو جهل فى تلك الواقعة وعاد منها على النبى أعظم النصر والفخار صلى الله عليه وسلم

﴿وصف واقعة أحد وحرب الخندق﴾

(٦٢٦ - ٦٢٧) م الموافقة الى (٥ - ٦) هـ

ولما اجتمع تحت قيادة أبى سفيان ثلاثة آلاف من المشركين وساروا من مكة حتى وصلوا الى المدينة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم لقتالهم فى ألف فانخذل عنه المنافقون وبقى معه سبعمائة ونزل الشعب من أحد وجعل ظهره الى أحد ثم تقارب الجيشان فانهزم المشركون فطمعت الرماة فى الغنيمة فرجع المشركون اليهم وأشاعوا بان محمدا قتل وانكشف المسلمون فقتل منهم سبعون ومن المشركين اثنان وعشرون وأصيبت رباعية الرسول وشج وجهه وجرحت شفته ثم صعد أبو سفيان الجبل وقال الحرب سجال يوم بيوم بدر ثم قال موعدكم العام المقبل فأمر النبى أن يقال له هو بيننا وبينك وفى هذه الواقعة جرح على بن أبى طالب الذى أشهر نفسه فى ابتداء القتال بعجيب الفروسية وغريب البسالة وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله على الجميع وقتل عم النبى صلى الله عليه وسلم حمزة رضوان الله عليه ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم تحزب قبائل العرب عليه أمر أصحابه بحفر الخندق حول المدينة المنورة فلما أراد الاعداء ومعاهدوهم أن يهجموا على المدينة عجزت عزائمهم عن الوصول اليها وفى ذلك الوقت اتضح انفساخ المعاهدة اليهودية التى كان انضم اليها بنو قريظة وذلك ان المسلمين ألقوا الشقاق بين رؤساء تلك المعاهدة ورفع الحصار عن المدينة المنورة بعد مناوشات أظهر فيها على

ابن أبي طالب عزائمه وبأسه وانتصاره فبذل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد رفع الحصار الجهد فى محاربتهم حتى أذلهم واحدة بعد الواحدة فحارب أولا بنى قينقاع فقتل منهم على قول مؤرخى العرب سبعمائة رجلا ثم غزا قبيلة قريظة ثم قبيلة لحيان ثم قبيلة المصطلق بينما كانت بعونه ينتقمون من القبائل الاخر المعادية لهم

﴿سير الرسول الى الحديبية وحرب خيبر﴾

وفى سنة ٦٢٨ م أى سنة ٧ هـ خرج الرسول معتمرا فى ألف وأربعمائة من المهاجرين والانصار لا يريد حربا وساق حتى نزل الحديبية أسفل مكة فبعثت قريش اليه عمر بن مسعود الثقفى رئيس الطائف يقول ان قريشا لبست جلود النمور وعاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبدا فرأى من احترام الصحابة للرسول ما لم ير مثله لملك من الملوك فرجع الى قريش وقال لهم انى أتيت كسرى وقيصر فى ملكهما فوالله ما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه ثم بعث الرسول اليهم عثمان بن عفان يعلمهم انه لم يأت الحرب وانما جاء معتمرا فذهب وأخبرهم بذلك فمنعوه من الرجوع الى النبى وأشيع فى الصحابة ان عثمان قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الى بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعهم على أن لا يفروا ولا يتخلفوا عنه وبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى وقال هذه بيعة عثمان فبينما هم كذلك اذ بعثت قريش الى الرسول سهيلا بن عمرو فى الصلح فاجاب وكتبوا بذلك كتابا فيه وضع الحرب على الناس عشرة سنين وغير ذلك ثم نحر الرسول هدية وحلق رأسه وكذا المسلمون ورجع المدينة

وفى سنة ٧ هـ تزوج النبى أم حبيبة وميمونة وصفية ابنة يحيى بن أخطب وقدم مهاجرو الحبشة وسار الرسول والصحابة الى قتال يهود خيبر حيث كانوا ساكنين فى موضع على بعد قدره خمسة فراسخ من المدينة المنورة وكانوا يستجلبون لانفسهم معظم متاجر الحجاز ونجد وأبدى على بن

أبي طالب في هذه الواقعة من الشهامة ما أزال به جميع العوائق وتحصن أهل خيبر في القلاع الحصينة التي كانت خزائن أموالهم مدخرة فيها فاعدم بذلك الحرب الى الابد شوكة اليهود السياسية ثم سار النبي الى وادي القرى وحاصرها وفتحها عنوة وبعد ذلك جاء كثير من قبائل نجد الى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بسيد سادات جزيرة العرب وأذعنوا له بالحكم المطلق عليهم وسألوه ان يصحبوه في الحروب التي سيخرج اليها وفي هذه السنة تتابعت رسله صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام فأرسل الى كسرى ابرويز ملك الفرس فمزق كتابه ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ان المذكور فعل هذا الفعل قال وكذلك سيمزق الله ملكه وأما الملك هرقل فبعث بجواب تلطف فيه وكذلك المقوقس عامل مصر من طرف هرقل والنجاشي ملك الحبش فبعثوا اليه هدايا ودخل باذان عامل اليمن من قبل الفرس في دين الاسلام وأما الحارث ملك غسان وهوذه ملك القبيلة النصرانية من بني حنيفة سكان اليمامة فأبيا الاجابة لما دعيا اليه

﴿حرب مؤتة سنة ٨ هـ وفتح مكة سنة ٦٣٠ م وسنة ٩ هـ﴾

(وحرب حنين وحصار مدينة الطائف)

ولما قتل شرحبيل أحد ملوك غسان التابع الى الملك هيراقل (امبراطور القسطنطينية) سفيرا من سفراء النبي صلى الله عليه وسلم كان قد نزل عدينة بصرى آثار حربا سافكة للدماء ما بين العرب والروم فسار من المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد تحت قيادة زيد رضي الله تعالى عنه ودهموا الجيش الرومي والجيش العراقي بقرب مؤتة في جنوب دمشق بأرض البلقاء فاستشهد زيد بن حارثة قائد المسلمين وخلفه جعفر بن أبي طالب فقطع الاعداء يديه فحمل الراية بذراعيه واستشهد في هذه الواقعة وبه نحو خمسين جرحا كلها في الجهة الموجهة للاعداء فاخلفه عبد الله بن رواحة واستشهد كذلك ثم خلفه خالد بن الوليد وانتصر على الاعداء

وردهم القهقرى ورجع الى المدينة المنورة حائزا أشرف النصر فى تلك الواقعة

وكان قد بقى على النبى صلى الله عليه وسلم ان يفتح مكة حتى يتم له النصر اذ كانت مركزا لعبادة الاصنام وتخت مدن بلاد العرب لكى يؤسس فيها ماجاء به من الدين تأسيسا متينا بدلا عما كانت عليه العرب من العبادة الجاهلية فلاحت له الفرصة فى فتحها وهى ان كفار مكة نقضوا العهد فقام الرسول عليه الصلاة والسلام وجمع القبائل البدوية الحديثة الدخول فى الاسلام ثم سار مع عشرة آلاف مقاتل لقتال أهل مكة فلما رأوه بهذه الحالة وقع الرعب فى قلوبهم ولم يقاوموه أدنى مقاومة وسلم العباس وأبو سفيان له من غير قتال سنة ٦٣٠ م سنة ٩ هـ فسار النبى عقب ذلك الى الكعبة وكسر جميع الاصنام قائلا جاء الحق وزهق الباطل وفى هذه السنة بعث خالد بن الوليد الى بنى خزيمة وفيها غزوة حنين وبينه وبين مكة ثلاث ليال تجمعت هوازن وثقيف وبنو سعد بن بكر لحرب الرسول ولما بلغه خرج اليهم من مكة مع اثنى عشر ألف فانهزم المسلمون أولا اذ أعجبتهم كثرتهم كما أخبر الله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها فانهزم المشركون وألجأت ثقيف الى الطائف

وأما عرب ثقيف المتعاهدون مع هوازن فانهم وان كانوا مصرين بعنادهم على عبادة الههم اللات فقد قاوموا المسلمين المحاصرين مدينة الطائف عشرين يوما ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم أمر برفع الحصار عنهم مؤملا ان مقتضيات الزمن المستقبل تؤول الى الدخول فى دين الاسلام فرجع عن تلك المدينة الى مكة وزار الكعبة ثم رجع الى المدينة المنورة

فصار فتح مكة واسلام كفار قريش وهزم قبائل هوازن وهدم الهيا كل التى كانت معدة لعبادة الاصنام سببا فى زوال عبادة العرب الجاهلية

﴿الكلام على غزوة تبوك وسنة السفارات للملوك﴾

ولما أشيع ان الروم والعرب النصارى يجمعون جيوشهم فى حدود برّ الشام خطب النبى خطبة حث فيها المؤمنين على الجهاد وأمده الاغنياء بأموالهم فجهز عشرة آلاف فارس وعشرين ألف رجل واثنى عشر ألف جمل وسار بذلك الجيش حتى وصل الى تبوك الكائنة فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق الشام ثم أمر بالرجوع واكتفى بانقياد أربع مدن وهى جرباء وأذرح وأيلة ودومة الجندل

وأما باقى السنة أى سنة ٦٣٠ م الموافقة سنة ١٠ هـ وهى المعروفة فى تواريخ الاسلام بسنة السفارات للملوك فقد اشتهرت بدخول خلق كثير من الاجلة فى الدين المحمدى وكذلك سكان مدينة الطائف وقبائل ثقيف ومشايخ اليمن الحميرية ومشايخ اقليم مهرة وملوك حضرموت وعمان وجزائر البحرين واليمامة قد بعثوا الى النبى صلى الله عليه وسلم رسلا ليبايعوه على الاسلام وباقى القبائل أطاعهم خالد بن الوليد بعضهم بالحرب وبعضهم طوعا وبعث على بن أبى طالب الى اليمن ومعه معاذ بن جبل فاسلمت همذان فى يوم واحد

وفيها حجة الوداع فخرج النبى حاجا فى ذى القعدة وعلم الناس مناسك الحج والسنن وأنزل عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وفى سنة ١١ هـ فى سنة ٦٣٢ م توفى النبى صلى الله عليه وسلم وكفن فى ثلاثة أثواب أدرجا وصلوا عليه ودفن فى الموضع الذى قبضت روحه فيه

وعلى حسب ابحاثات سعادة محمود باشا حمدى وجد انه صلى الله عليه وسلم لاقى ربه اما يوم الاحد ١٢ ربيع الاوّل الموافق ٧ يونيو واما فى الاثنين ١٢ ربيع الاوّل الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٢ م وعمره ٦١ سنة شمسية و ٨٤ يوم أو ٦٣ سنة قمرية وثلاثة أيام

﴿الفصل الثالث﴾

﴿الخلفاء الراشدون﴾

﴿خلافة أبي بكر الصديق﴾

ويلقب بخليفة رسول الله (ولما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم قال عمر من قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات علوت رأسه بسيفي هذا وانما ارتفع الى السماء فقرأ أبو بكر وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم الآية) فرجع القوم الى قوله ومات صلى الله عليه وسلم ولم يعين خليفة له ومن ثم كثرت المطامع التي أراقت الدماء في القرن الاول من الهجرة ومع ذلك فلما علم أصحابه صلى الله عليه وسلم أن أمراء الانصار يتهيؤن لانتخاب سعد بن عبادة الخزرجي خليفة بادروا بانتخاب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان كلفه بأن يصلي بالناس بدلا عنه فبايعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقتدى به الصحابة في المبايعة ولم يمتنع من مبايعته الا اناس قليلون بايعوه بعد قليل وأنفذ جيش أسامة بن زيد الذي كان رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فصار يحثهم على الجهاد ويشجعهم وهو ماش وأسامة راكب ثم رجع واستمر أسامة في الجهاد وأطاع القبائل المترددة وشن الغارة على أهل أبني وقتل رجالهم وسبى نساءهم ورجع الى المدينة وكان عمر أسامة وقتئذ سبع عشرة سنة وفي مدة خلافته امتنعت قبيلة بني يربوع عن أداء الزكاة فارسل اليهم خالد بن الوليد لمحاربتهم فحاربهم حتى رجعوا وفي أيامه فتحت الحيرة بعد وقعة عظيمة بين أهلها والمجاهدين من الاسلام وادعت النبوة سجاح بنت الحرث بن سويد التميمية وأتبعها بنو تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة وقصدت مسيلمة الكذاب ولما وصلت اليه اجتمعت به مدة ثلاثة أيام وآل أمرها الى أن أسلمت في زمن معاوية وماتت بالبصرة وأما مسيلمة الكذاب المدعي النبوة فأرسل اليه خالد

ابن

ابن الوليد فقاتله باليمامة وقتله وأما (الاسود العنسى) المدعى النبوة فقتل فى حياة الرسول وفى أيام أبى بكر الصديق جمع القرآن فى مصحف واحد وحفظ فى دار السيدة حفصة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وكان قبل جمعه فى المصاحف فى صدور الناس وفى أيامه فتحت مدينة بصرى ودخل محافظها المدعو رومانوس فى دين الاسلام حيث انه هو السبب فى استيلاء العرب على هذه المدينة تحت قيادة خالد ولما فتح المسلمون مدينة بصرى قصدوا عقب ذلك دمشق فحاصروها فأرسل هرقل اليها جيشا تحت قيادة وردان أو باهان فلما علم المسلمون بذلك كفوا عن الحصار وسار والقتال الروم فقتل عدد عظيم من جيوش الروم فولوا الادبار وهذه هى المعروفة بوقعة أجنادين وذلك سنة ٦٣٣ م الموافقة لسنة ١٢ م ثم عادوا لحصار مدينة دمشق وحصلت جملة مناوشات بين العرب والروم الذين كانوا قد تجمعوا تحت رياسة توماص بهر الامبراطور هرقل فكانت النصرة فيها للاسلام وأخيرا فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح صلحا وفى سنة ١٣ م مات خليفة رسول الله رضى الله عنه وعمره ٦٣ سنة ودفن بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿خلافة عمر بن الخطاب﴾ ٦٣٤ - ٦٤٤ م

بويع بالخلافة بعد وفاة أبى بكر الصديق بوصية منه وهو أول من تلقب بامير المؤمنين وبينما كان خالد مقيما فى دمشق اذ بلغه الخبر بوفاة أبى بكر وجلوس عمر رضى الله عنه وهو العدو الاكبر له وبلغه أيضا عزله من منصب قيادة الجنود فامتثل للعزل ولم يظهر غضبا ولا ضجرا واستمر يحارب تحت أوامر أبى عبيدة عامر بن الجراح وفتحت حمص وحماه وتوجهوا بأمر أمير المؤمنين عمر لفتح انطاكية فصاروا محازين لشاطئ نهر العاصى وبينما هم مشتغلون بفتحها اذ بلغهم خبر التجريدات الحربية التى جهزها لهم (هرقل) وان هذه التجريدات انقسمت الى فرقتين احداهما سافرت الى انطاكية لتوقف سير العدو اليها والاخرى آتية

من اقليم فلسطين لتحمل على المسلمين من خلفهم وذلك سنة ٦٢٥ من الميلاد الموافقة لسنة ١٤ هجرية فرجعوا الى ناحية نهر الاردن ليمنعون الجيش المقبل من فلسطين من أن يمر الى جهة انطاكية وكان (قسطنطين بن هرقل) يقوده بنفسه فذهب الى مدينة قيصرية واكتفى بتفريق كتائبه على المدن البحرية من غزة الى طرابلس الشام وكان أبو عبيدة وخالد بعساكر الاسلام على شواطئ نهر اليرموك (بهير منبعه من جبل هرمون ويصب فى بحيرة طبرية) وكان الجيش الرومى يقدمه عرب غسان تحت قيادة رئيسهم جبلة بن الايهم فانتصر المسلمون على هؤلاء الاقوام وسميت هذه الواقعة بواقعة اليرموك وفى هذه السنة أمر الخليفة ببناء البصرة وبعد ذلك سلم أبو عبيدة قيادة الجيوش الى خالد فاستمرت الحروب بين الجمعين أياما وغلبت الروم فيها المسلمين ثلاث مرات ثم آل الامر بنصر المسلمين على جيش المشركين وكان ثمر هذه النصرة انقياد أهل غسان ودخولهم فى دين الاسلام أما رئيسهم جبلة بن الايهم ففر هاربا الى القسطنطينية ولم تزل ذريته فيها الى ان هربوا منها فى القرن الخامس عشر بعد الميلاد العيسوى الى جبال بلاد الجركس فرارا من حكم الملوك العثمانيين

وفى سنة ١٥ من الهجرة حاصر عمرو بن العاص مدينة القدس (المسماة قديما ايليا) التى كان البطرق سوفرونيوس يحامى عنها بغاية عزمه وجهده وكان فتح هذه المدينة من أعظم الاهميات عند الاسلام فقدم أبو عبيدة وأحدق بها بجيوشه وشدد عليها فى الحصار حتى أشرفت أهلها على الهلاك فارتضى (سوفرونيوس) أن يسلمها للمسلمين بشرط أن يعقد المشارطة مع الخليفة نفسه فأجابه عمر بن الخطاب لما طلبه واستخلف عليا على المدينة ولم يمنعه عن السفر تخويف سيدنا عثمان ومنعه اياه فسار الى مدينة القدس وبايعهم على أن يبقوا على دينهم وأن لا يتعدى مسلم على كنيسة من كنائسهم ولم يلزمهم الا بدفع الجزية وقد بحث عن

موضع

موضع الهيكل الذى بناه نبى الله سليمان عليه السلام وهو المسجد الاقصى وبنى محله مسجدا عظيما سمى بمسجد عمر ولما فرغ من بنائه عاد الى المدينة المنورة ومعه عمرو بن العاص وكان أعده افتح وادى مصر وذلك سنة ٦٣٧ م أعنى سنة ١٦ هـ

ولما بلغ سيدنا عمر فتح مدينة الرملة فرح بنصر الله ورضى عن خالد وأعاد اليه الامارة على المجاهدين فسار الى حلب وانطاكية وفتحهما وطرابلس ويافا وجملة بلاد من الشام فلما أيس هرقل من الشام رحل الى مدينة القسطنطينية وفى هذه السنة وضع عمر الدواوين وفرض العطاء للمسلمين وقد حصلت وقعة بين المسلمين والفرس الذين كانوا تحت قيادة رستم وقائد المسلمين سعد بن أبى وقاص انتهت بهزيمة العجم وقتل رستم المذكور وذلك سنة ١٥ هـ

وفى سنة ١٦ هـ عبر سعد ومن معه نهر الدجلة وهرب الفرس من المدائن وكان كسرى يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان (من أعمال فارس) وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه فدخل المسلمون المدائن وقتلوا كل من وجدوه ونزل سعد بالقصر الابيض واتخذ ايوان كسرى مصلى واحتاط على أموال تخرج عن الاحصاء وأدركوا بغلا وقع فى الماء عليه تاج كسرى ودرعه وغير ذلك مما لا يأبه الجواهر واستوهب سعد ما يخص أصحابه من بساط كسرى حيث كان على هيئة روضة فيها الزهور بالجواهر على قضبان الذهب وبعث به الى عمر فقسمه بين المسلمين وأقام سعد بالمدائن (بالقرب من كتيسيفون القديمة) وحصلت بينه وبين الاعجام وقعة فقتل عدد عظيم من الفرس وفر يزدجرد من حلوان فقصدها المسلمون ثم فتحوا تكريت وقرقيسيا وفيها قدم جبلة بن الايهم على عمر وحج معه ثم هرب الى القسطنطينية وتنصر بعد اسلامه وفى سنة ١٧ هـ اختطت الكوفة وتحول سعد اليها وفى سنة ١٨ هـ كان طاعون عمواس الذى مات أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وأما خالد فانه

نجا من هذا الطاعون لكونه غضب عليه أمير المؤمنين عمر وعزله ثانيا لما أوشى فى حقه واستخلف أبو عبيدة معاذ بن جبل فمات بالطاعون فاستخلف عمرو بن العاص ثم بعد ذلك أمر الخليفة عمرو بن العاص بفتح مصر فتوجه اليها هو والزبير بن العوام وفتحوها (كما سيأتى) وكان استخلف يزيد بن أبى سفيان ثم معاوية فمكث بها واليا وخليفة مدة أربعين سنة وفى سنة ٢١ هـ وقعت نهاوند مع الاعجام تمت بهزيمتهم وفتح المسلمون مدينة اصفهان وهمدان وطبرستان وازربيجان وتوفى خالد بن الوليد فى هذه السنة ودفن قيل بحمص وقيل بالمدينة وفى آخر سنة ٢٣ هـ توفى عمر بن الخطاب بطعنة ابن أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة وعمره ٦٣ سنة ودفن بجوار النبى صلى الله عليه وسلم

﴿خلافة عثمان بن عفان﴾ ٤٤٦ - ٦٥٥ م

وفى سنة ٢٤ هـ الموافقة لسنة ٦٤٤ م عقب موت عمر اجتمع أهل الشورى وهم على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وشرط عمر أن يكون ابنه عبد الله شريكا فى الرأى ولا يكون له حظ فى الخلافة وجعل المدة ثلاثة أيام وقال لا يمضى اليوم الرابع الا ولكم أمير وان اختلفتم فكونوا مع فريق عبد الرحمن ابن عوف فوقع الانتخاب على سيدنا عثمان رضى الله عنه فبويع بالخلافة ولما تولى الخلافة عزل المغيرة عن الكوفة وولى سعد بن أبى وقاص ثم عزله وولى الوليد بن عقبة وفى سنة ٢٦ هـ عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبد الله بن أبى سرح وفى مدته امتدت فتوحات العرب الى بلاد المغرب وصحراء ليبيا وسواحل بلاد الروم وجزيرة قبرص وفى سنة ٣٠ من الهجرة بلغ الخليفة اختلاف أهل الشام والعراق فى القرآن فأمر الخليفة الصحابة بنسخ جملة مصاحف من المصحف الذى كتب زمن أبى بكر وأودع عن حفصة رضى الله عنها وتولى نسخها زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث وقال عثمان

اذا اختلفتم فى كلمة فاكتبوها بلسان قريش لان القرآن نزل بلسانهم
وفى هذه السنة سقط خاتم الرسول من يد عثمان فى بئر (اريس) وفى
سنة ٣١ هلك كسرى يزدجرد آخر ملوك العجم قيل قتله أهل مرو
(من أعمال فارس) وقيل قتله الترك وقتلوا أصحابه وفيها عصت خراسان
ففتحها ثانيا ومات أبو سفيان بن حرب وفى سنة ٣٣ تكلم جماعة أن
عثمان ولى من أهل بيته اناسا لا يصلحون للولاية فكتب سعيد بن
العاص والى الكوفة اليه بذلك فامره عثمان ان يسير الذين تكلموا
بذلك الى معاوية بالشام فارسلهم فقدموا على معاوية وجرى بينهم كلام
كثير وحذرهم الفتنة فوثبوا وأخذوا بلحيته ورأسه وكتب بذلك
الى عثمان فكتب اليه يردهم الى سعيد بن العاص فردهم وأطبقوا
ألسنتهم فى عثمان واجتمع اليهم أهل الكوفة وفى سنة ٣٤ قدم سعيد
الى عثمان وأخبره بما فعله أهل الكوفة وانهم يختارون أبا موسى
الاشعرى فولى عثمان أبا موسى الكوفة فخطبهم أبو موسى وأمرهم
بطاعة عثمان فأجابوه لذلك وفى سنة ٣٥ قدمت جموع الامصار
من مصر والكوفة والبصرة وكان رغبة المصريين مع على ورغبة
الكوفيين مع الزبير وميل البصريين الى طلحة فدخلوا المدينة وأثاروا
على عثمان يوم الجمعة وهو على المنبر ودافع جماعة من المدينة عنه منهم
سعد بن أبى وقاص والحسن بن على وزيد بن ثابت وأبو هريرة فارسل
عثمان يعزم عليهم بالانصراف وطلبوا منه عزل عبد الله بن أبى سرح
عن مصر ومروان بن الحكم عن كتابته فاجابهم لذلك ومكثت الجموع
فى المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه من الصلاة ولزم أهل المدينة بيوتهم
وعثمان محصور فى داره أربعين يوما وقيل خمسين ثم اتفق على مع عثمان
على ما طلبه الناس منه من عزل مروان عن كتابته وعبد الله بن أبى
سرح عن مصر فاجاب عن الثانية دون الاولى وولى محمد بن أبى بكر مصر
وتوجه المذكور مع مهاجرين وأنصار فبينما هم فى الطريق واذا بعبد

على هجين يجهد فقالوا له الى أين قال الى العامل بمصر قالوا هذا هو العامل يعنون بذلك محمد بن أبي بكر قال بل العامل الآخر يعني ابن أبي سرح ففتشوه فوجدوا معه كتابا مختوما بختم عثمان يقول اذا جاءك محمد بن أبي بكر ومن معه بانك معزول فلا تقبل واحتل لقتلهم وابطل كتابهم فرجع محمد ومن معه وجمعوا الصحابة بالمدينة وقرأه عليهم وسألوا عثمان عنه فاعترف بالختم وخط كاتبه وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك فطلبوا منه مروان ليسلموه اليهم بسبب ذلك فامتنع فجدوا في قتاله فاقام على ابنه الحسن ينيب عنه وأقام الزبير ابنه عبد الله وطلحة ابنه محمد بحيث جرح الحسن وانصبغ بالدم ثم تسوروا على عثمان من دار بجانب داره ونزل عليه جماعة منهم محمد بن أبي بكر فقتلوه صائما يتلو في المصحف وذلك في شهر الحجة سنة ٣٥ هجرية

﴿خلافة علي بن أبي طالب﴾ ٦٥٥ - ٦٦٦ م

بويع بالخلافة بعد قتل سيدنا عثمان فامتنع في مبدأ أمره عن الخلافة حيث قال لا حاجة لي في أمركم من اخترتم رضيت به وأكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا فأبوا الا مبايعته فأتى المسجد فبايعوه وقيل بويع في بيته ولم يمتنع من المبايعة الا اناس قليلون وبعدان بايعه طلحة والزبير سافرا الى مكة ولحقا بعائشة هناك وفي سنة ٣٦ أرسل علي عماله الى البلاد فمنهم من رجع اليه من الطريق ومنهم من وصل وعزلته فرقته فخرج طلحة والزبير وعائشة أرملة النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن عامر وجماعة من بني أمية يطلبون دم عثمان لانه أتهم بقتله وصاروا في جم عظيم لفتح البصرة واكتفوا بعاويه في أمر الشام وأرادت عائشة الرجوع فلم يسمحوا لها وأخيرا استولوا على البصرة ولما بلغ ذلك الامام علي خرج اليهم في أربعة آلاف مقاتل وانضم اليهم جم غفير من الكوفة والتقوا بمكان يسمى الخريبة فرجع الزبير الى المدينة فقتل في الطريق وتزاحف الفريقان واقتتلا وعائشة على الجمل فتمت الهزيمة على من معها

وقتل

وقتل طلحة فى هذه الواقعة المسماة واقعة الجمل وأمر الامام علىّ عائشة بالرجوع الى المدينة وجهز لها ما احتاجت اليه ورجعت الى المدينة وبصحبتها الحسن والحسين وبعد وصولها الى المدينة رجعا الى أبيهما واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة وتم له الامر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ثم أرسل الى معاوية ليعطى بيعته فماطله وكان النعمان بن بشير سار اليه بثوب عثمان ملطخا بالدم الى الشام فكان معاوية يعلقه على المنبر تحريضا على قتال على كرم الله وجهه ثم اتفق مع عمرو بن العاص على حربه فلما بلغ على ذلك خرج من الكوفة وخرج لذلك معاوية وعمرو من الشام والتقا الفريقان فى محل يدعى صفين ولذلك سميت تلك الواقعة بهذا الاسم وذلك سنة ٣٧ هجرية وقتل من الطرفين خلق كثير وحصلت بينهم أكثر من تسعين واقعة ثم قال علىّ كرم الله وجهه يا معاوية ابرز الىّ فاينا قتل صاحبه تم له الامر فعلى م نقتل المسلمين فلم يرض معاوية بذلك واستمر القتال مدة من الزمن وبعد ذلك رفع أهل الشام المصاحف فى وجوه فريق سيدنا على وكانت حيلة وخديعة من عمرو بن العاص وانتهى الامر أخيرا الى الحكم بينهما فوكل سيدنا علىّ أبا موسى الاشعرى ووكل معاوية عمرو بن العاص واتفق الحكمان على خلع معاوية وعلىّ ويجعل الامر شورى بين المسلمين واجتمع الشعب (بدومة الجندل) فتكلم أبو موسى الاشعرى وقال انى خلعت خليفتى كما أخلع سيفى هذا من غمده ثم مكر عمرو وقال انى أثبت خليفتى كما أثبت سيفى هذا فى غمده فسلمت على معاوية أهل الشام بالخلافة ورجع الامام علىّ الى الكوفة ودعى الناس الى اتحاد الكلمة وهم يخادعونه مدة مديدة من الزمن حتى دخلت سنة ٤٠ هجرية فاجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكير التميمى والبرك بن عبد الله التميمى وقيل اسمه الحجاج وقالوا لو قتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم العباد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال

البرك أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتواعدوا على ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ واتفق مع ابن ملجم وردان من تيم الرباب وشبيب وتبوا على علي وقد خرج الى الصلاة فضربه شبيب فوقع سيفه فهرب شبيب ونجا وضربه ابن ملجم في جبهته وهرب وردان وقبض على ابن ملجم وأحضر مكتوفا بين يدي علي رضي الله عنه وأحضر الحسن والحسين وقال أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شيء زوى عنكما منها ثم قبض وأما البرك فجرح صاحبه جرحا بليغا وأما عمرو فقتل نائب صاحبه في الصلاة تلك الليلة ودفن علي بالكوفة وكان عمره ٦٣ سنة

﴿فتح مصر بالاسلام﴾ ٦٣٨ - ٦٤١ م

وبظهور الاسلام تضعضعت دولة الروم الشرقية وأخذت في الانحطاط شيأ فشيأ ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء الى مصر عمرو ابن العاص وكان العامل عليها من طرف هرقل هو المقوقس وكان عمرو شاعرا شجاعا قد اشتهر في وقائع الاسلام الاولية وبذل عزمه وحزمه أيضا في فتح الشام مع الامراء الاخر وكان غاية منيته أن يكافئه أمير المؤمنين عمر بفتح مصر فبمجرد ما وعده أمير المؤمنين بان يرسله لفتح مصر سافر من غزة ومعه أربعة آلاف مقاتل وسار حتى وصل الى مدينة بيلوزه ولما ظهر عمرو بجنوده في أرض مصر وقعت الحرب بين العرب والروم في مدخل برزخ السويس فانهزم الرومانيون والتجأوا الى المدن الحصينة ولما يجد عمرو من يقاومه من رجاله من صحراء برزخ السويس وجعل معسكره أمام مدينة بيلوزه وكانت هذه المدينة مفتاح الوجه البحري وحاصرها فلم تصبر على الحصار الا شهرا واحدا فاستولى عليها في أسرع وقت وذلك سنة ٦٣٩ أعني سنة ١٨ هـ وساروا بعد ذلك حتى وصلوا الى مدينة منف التي كانت قاعدة الحكم وبادروا بحصارها فانجبرت أهلها العقد المبايعة مع عمرو بن العاص

وامر

وأمر كل من بارض مصر من الاقباط ان يعترفوا بحكم المسلمين وان يدفعوا عن كل نفس دينارين فى السنة فتحصل من تلك الجزية فى السنة الاولى اثنى عشر مليونا وانه لا مانع من أن يبقوا على دينهم ولما فرغ عمرو والمقوقس من المبايعة وامتثال الاقباط لها دخل مدينة منف واتخذها تخت حكومته وذلك سنة ٦٤١ م أعنى سنة ٤٠ هـ

﴿فتح مدينة الاسكندرية سنة ٦٤٠ م﴾

وبعد ذلك بادر عمرو بن العاص بالعود الى المحاربة مع الروم فسار برجاله من منف الى الوجه البحرى وهزم الروم فى واقعة كوم الشريك حيث كانوا قد تجمعوا بعد الشتات واقتفى أثرهم حتى دخلوا مدينة الاسكندرية فحاصرها مدة أربعة أشهر وكان عمرو قد أخذ أسيرا ولم يطاق سبيله الا بحيلة من عبده وردان فكانت النصرة للاسلام على الروم بما عندهم من الحمية الدينية فهجموا على تلك المدينة هجمة الآساد على الاغنام فامتلكوها فى ٢١ ديسمبر سنة ٦٤١ م أعنى سنة ٢١ هـ

ووكل الاقباط بتحصيل الاموال حيث رآهم أعرف من المسلمين بادارة الفروع المتنوعة من أمور التدبير لانهم يعرفون درجات الناس وانتهم فتحصلت من ذلك أموال جسيمة صرف معظمها أمير المؤمنين عمر فى أشغال نافعة لبلاد مصر منها تجديد خليج السويس الذى كان يوصل النيل بالبحر الاحمر وكان عمرو يريد أن يحفر برزخ السويس ليصل البحر الاحمر بالابيض الا أن عمر أبى من ذلك خوفا من فتح طريق للروم الى مكة والمدينة وقد بنى عمرو جامعه المشهور باسمه لغاية الآن واختط مدينة مصر القديمة وكانت تعرف قديما باسم الفسطاط (أى الخيمة) والسبب فى ذلك انه لما أمر المسلمين بالرحيل الى مدينة الاسكندرية أخبر بأن زوج يمام عشش فوق خيمته وانه قرب على الفقس فأجابهم قائلا معاذ الله ان يأبى مسلم أن يكون ملجأ لاى مخلوق دعوا خيمتى بحالها

حتى أعود فبقيت الخيمة فى محلها وأسست حولها المدينة وسميت باسم الفسطاط بدلا عن مدينة منف التى انهدمت

﴿عمرو بن العاص﴾

اعلم ان عمرو كان فى الجاهلية من الثلاثة الهاجين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عمرو المذكور وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن الزبعرى وقد تقدم أنه فتح الديار المصرية فى سنة ٢٠ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب ومكث واليا مدة خلافة أمير المؤمنين ثم عزل فى خلافة سيدنا عثمان وأعيد واليا عليها من طرف معاوية أوّل خلفاء الدولة الاموية وكان مستقلا بأحكامها حسب شروط معه لانه هو الذى أعان معاوية على سيدنا علىّ فى حروبه وهو الذى صنع الحيلة على أبى موسى الاشعرى وعزل عليا وثبت معاوية ولما ظهر معاوية على علىّ وتم له الامر بالخلافة جهز جيشا تحت قيادة عمرو بن العاص لمحاربة عامل سيدنا علىّ بمصر وهو محمد بن أبى بكر الصدّيق فكتب محمد الى علىّ يستنجده فأرسل له جيشا تحت قيادة ابن الاشتر فصنع عمرو حيلة وأحضر عجوزا من أهالى مصر وأعطاها عسلا مسموما وقال لها اعطى هذه الهدية لرئيس الجيش العربى الذى حضر بالقلزم فأهدت الهدية لابن الاشتر فمات ولما بلغ ذلك معاوية قال (ان لله جنودا من عسل) ودخل عمرو مصر وقاتل أصحاب محمد بن أبى بكر ومن بقى منهم وأخذ أسيرا فاحضروه الى معاوية ابن خديج فقتله وألقاه فى جيفة حمار وأحرقه وكانت مصر مدة ولاية عمرو طعمة له بعد واتب الجنود حسب شروط بينه وبين معاوية ومكث عمرو واليا على مصر الى ان مات ودفن بالمقطم وذلك سنة ٤٣ من الهجرة أعنى سنة ٦٦٣ م

﴿الفصل الرابع﴾

الدولة الاموية

أصل هذه الدولة من بني هاشم وكان مقر ملوكها بدمشق الشام وعدتهم أربعة عشر خليفة ومدة حكمهم ٩٠ سنة وكان ابتداء ملكهم سنة ٣٩ من الهجرة أعني سنة ٦٦١ م وانتهائها سنة ١٣٢ هـ الموافقة لسنة ٧٥٠ م وانذكر خلفائهم على الترتيب فنقول

﴿خلافة معاوية بن أبي سفيان﴾ ٦٦١ - ٦٨١ م

بويع بالخلافة يوم الحكمين ويوم قتل سيدنا علي قيل ببيت المقدس ويوم تنازل الحسن وقيل ان عليا جهز جيشا لحرب معاوية فاتفق قتله في هذه السنة فلما بويع الحسن بلغه مسير أهل الشام اليه مع معاوية فتجهز الحسن في ذلك الجيش وسار من الكوفة فحصلت فتنة في الجيش أثناء الطريق فنفر قلبه منهم وأرسل الى معاوية واشترط شروطا أن أجابه اليها سمع وأطاع فاجابه معاوية اليها فتنازل الحسن وأقام بالمدينة الى أن مات وقيل ان زوجته جعدة بنت الاشعث سمته قيل بامر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية أطمعها بالتزوج بها ولم يف ولما بلغ معاوية الخبر بوفاة الحسن سجد لله سبحانه وتعالى ولما مات عمرو بن العاص استخلف معاوية ابنه عبد الله على مصر ثم عزله وكان علي استعمل زيادا على فارس ولما سلم الحسن الامر الى معاوية منع زيادا بفارس الطاعة فاهم معاوية أمره خوفا أن يدعو الى أحد من بني هاشم فيعيد الحرب وقدم المغيرة عامل معاوية بالكوفة على معاوية وشكى اليه امتناع زياد بفارس فتوجه المغيرة بالامان الى زياد فاحضره وبايع معاوية وفي سنة ٤٨ هـ أرسل جيشا تحت قيادة سفيان بن عوف فحاصر القسطنطينية ولم يتمكن منها فقتل جانب عظيم من جيشه وفقدت منه عدة مراكب بالحريق وفي هذه السنة بنى عقبة بن نافع عامل معاوية على أفريقا مدينة القيروان وفي سنة ٥٤ هـ ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع جيحون الى سمرقند وفتح جملة بلاد وكان معه قثم بن العباس ثم بايع معاوية الناس ليزيد بولاية عهده وبايعه أهل

الشام والعراق وأراد مروان بن الحكم عامله بالمدينة البيعة له فامتنع الحسين رضي الله عنه منها وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وامتنع الناس لامتناعهم ثم قدم معاوية الحجاز بألف فارس وبايع ليزيد أهل الحجاز الا المذكورين وفي سنة ٥٨ هـ توفيت عائشة رضي الله عنها وأخوها عبد الرحمن وفي سنة ٥٩ هـ توفي أبو هريرة رضي الله عنه واسمه عبد الرحمن بن صخر وفي سنة ٦٠ هـ توفي معاوية وعمره ٧٥ سنة ومدة خلافته ١٩ سنة فكان واليا وخليفة مدة أربعين سنة وهو أول من بايع ولده وعمل المقصورة في المسجد وخطب جالسا

﴿خلافة يزيد بن معاوية﴾ ٦٨١ - ٦٨٣ م

ولما مات أبوه أرسل الى عامله بالمدينة بالزام الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقال عبد الله بن عمر ان أجمع الناس على مبايعته بايعته وأما الحسين وعبد الله بن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا وأرسل عامل المدينة جيشا مع عمرو بن الزبير لقتال الحسين وأخيه وكان شديد البغض لاخيه فانتصر عبد الله بن الزبير عليه وأخذه أسيرا وحبسه حتى مات ثم ورد الى الحسين مكاتبا أهل الكوفة بالمسير اليهم ليبايعوه فارسل ابن عمه مسلم ابن عقيل ليأخذ البيعة وكان العامل على الكوفة وقتئذ النعمان ابن بشير فقيل بايعه ثلاثون ألفا وقيل ثمانية وعشرون ألفا وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير كلام لا يرضيه فولى الكوفة عبيد الله بن زياد والى البصرة ورأى ما الناس عليه فخطب وحث الناس على طاعة يزيد وقبض على مسلم بن عقيل وأمر بضرب عنقه ولما بلغ ذلك الحسين سار من مكة قاصدا العراق ووقعت بينه وبين عبيد الله بن زياد حروب انتهت بقتله بأرض كربلا وذلك يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ وبعثوا برأسه مع أولاده ونسائه الى ابن زياد ومنها الى يزيد وعلقت على باب دمشق ثم طيف بها في البلاد وقيل دفنت بعد ذلك بالمدينة وقيل بعسقلان ثم نقلها أبو طالئع بن رزيك من وزراء دولة الفواطم وبنى عليها المشهد الحسيني

المشهور

المشهور بالقاهرة وكان عمره رضي الله عنه خمسة وخمسون سنة وفي سنة ٦٣ هـ اتفق أهل المدينة على خلع يزيد فارسل اليهم جيشا وردهم ذلك ثم حاصروا مكة مدة ٤٠ يوما وارتحلوا عنها حين بلغهم موت يزيد سنة ٦٤ هـ وكان عامله على مصر سعيد بن يزيد ابنه

﴿خلافة معاوية بن يزيد﴾

وكان شابا دينا تولى الخلافة ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جمع الناس وقال قد ضعفت عن أمركم ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لاستخلفه ولا مثل أهل الشورة فانتم أولى بأمركم فاختاروا من أحببتم ثم دخل منزله وأقام به حتى مات وأوصى أن يصلي الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة ولما مات بويع ابن الزبير بمكة فقصد مروان بن الحكم المسير اليه من المدينة لمبايعته ثم توجه الى الشام مع بني أمية وقيل كتب ابن الزبير الى عامله بالمدينة أن لا يترك بها أحدا من بني أمية وهرب عبيد الله بن زياد من البصرى الى الشام وبايع أهل البصرى ابن الزبير وأيضا أهل العراق والحجاز واليمن وأهل مصر وبايع له في الشام الضحاك بن قيس والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحرث الكلابي بقنسرين وكاد يتم له الامر وأقام مروان بن الحكم بالشام في أيام ابن الزبير واجتمعت به بنو أمية وصار الناس بالشام فرقتين اليمانية مع مروان والقيسية مع الضحاك مبايعين لابن الزبير واقتتلوا بمرج راهط وتمت الهزيمة على الضحاك ومن معه ودخل مروان دمشق واستوثق الشام له وسار فلك مصر ومات مروان بخنق أم خالد زوجته ودفن بدمشق وكان عامله على مصر عبد العزيز بن مروان ابنه

﴿خلافة عبد الملك بن مروان﴾ ٦٨٥ - ٧٠٥م

بويع بالخلافة يوم موت أبيه سنة ٦٨٥ م الموافقة سنة ٦٦ هـ وكان هذا الملك سفاكا للدماء وهو أول من ضرب السكة في الاسلام ونهى عن التكلم في حضرات الملوك وفي أيامه خرج المختار بن عبيد الله الثقفي

بالكوفة طالبا دم الحسين فى جمع كثير واستولى عليها وبايعوه بها على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدم أهل البيت وتجرد المختار لقتل قتلة الحسين وظفر بشمر بن ذى الجوشن المتهم بقتل الحسين واستولى على الموصل وقدم على الجيش ابراهيم بن الاشتر النخعى وقاتلوا جيش عبيد الله ابن زياد وقتل عبيد الله المذكور وانهزم أصحابه وبعث برأسه وعدة من رؤس أصحابه الى المختار وذلك سنة ٦٧ هـ وفى هذه السنة ولى ابن الزبير أخاه مصعبا البصرى ثم سار مصعب من البصرى بعدان جاءه المهلب ابن أبى صفرة من خراسان بمال وعسكر كثير فسار اجميعا الى قتال المختار (حيث لم تكن نيته صافية فى طلب دم الحسين) بالكوفة فالتقاهما المختار بجموعه فانهزم المختار وأصحابه بعد قتال شديد وحصر فى قصر الامارة بالكوفة فقاتل المختار حتى قتل وفى سنة ٦٩ هـ تجهز عبد الملك الى العراق وتجهز مصعب للتقاه وأقبل الجمعان فتخلى العراقيون عن مصعب وكانوا قد كاتبوا عبد الملك فقاتل مصعب حتى قتل ودخل عبد الملك الكوفة واستوثق له ملك العراقيين ثم رجع الى دمشق وحول العمرة من بيت الله الحرام الى بيت المقدس لحصول الالفة باهل الشام ولتخلى عن الزبير أصحابه وبعد ذلك جهز عبد الملك الحجاج بن يوسف فى جيش الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير فسار حتى نزل بالطائف وجرت بينه وبين أصحاب ابن الزبير حروب وكانت الهزيمة فيها على أصحاب ابن الزبير وآخر ذلك أنه حصر ابن الزبير بمكة ونصب المجانيق على جبل أبى قبيس بالقرب من مكة وصاروا يرمى الكعبة بالاحجار واستمر ذلك سبعة أشهر وقاتل الزبير حتى قتل وبعد ذلك بويع لعبد الملك بالحجاز واليمن وبعث رأسه الى عبد الملك ثم صلب جسده نحو سنة ثم أنزل بشفاعة أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وجعل عبد الملك واليا على مكة والمدينة وكان الحجاج عنيف السياسة وفى سنة ٧٤ هـ هدم الحجاج الكعبة وأخرج ما عن البيت وبنى الكعبة على ما كانت عليه فى زمن الرسول صلى الله عليه

وسلم

وسلم وهى على ذلك الى الآن وفى سنة ٧٥ ولى عبد الملك الحجاج العراق فسار من المدينة الى الكوفة وخرج فى أيامه شبيب الخارجى بالعراق وله مع الحجاج حروب كثيرة وانتهى أمره أن تفرقت جموعه وغرق شبيب بالفرات وكذلك خرج عبد الرحمن بن الاشعث واستولى على خراسان ثم قصد الحجاج وتغلب على الكوفة وقويت شوكته فأمده عبد الملك بالجيوش من الشام وآخر الامر أن جموع عبد الرحمن تفرقت وانهزم الى ملك الترك ثم تمد الحجاج ملك الترك بالغزو وطلبه منه فقبض عليه ملك الترك وعلى أربعين من أصحابه وبعث بهم الى الحجاج فالقى عبد الرحمن نفسه فى الطريق فمات وفى أيامه توفى عبد العزيز بن مروان بمصر ومات عبد الملك وخلافته منذ قتل ابن الزبير ١٣ سنة وكان حازما عاقلا عالما دينا ولبخله سمى برشح الحجر وعهد بالخلافة بعده لابنه الوليد وذلك سنة ٨٦ هـ وكان عامله على مصر عبد الله ابنه

﴿خلافة الوليد بن عبد الملك﴾ ٧٠٥ - ٧١٥ م

بويع بعد موت أبيه وفى أيامه كثرت الفتوحات فى بلاد الاندلس وولى الحجاج خراسان مع العراق فتغلغل فى بلاد الترك ودخل مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وفتح محمد بن القاسم الثقفى بلاد الهند وولى الوليد ابن عمه عمر ابن عبد العزيز المدينة فصدرت اليه أوامر الخليفة بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواجه رضى الله عنهن وان يدخل البيوت فى المسجد ويضع أثمان البيوت فى بيت المال فاجاب أهل المدينة الى ذلك وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وبنى الجامع الاموى بدمشق باموال جسيمة وفى سنة ٩٢ غزا طارق بن زياد وموسى بن نصير عامل الوليد على أفريقا بلاد الاندلس (اسبانيا) وتجاوز البوغاز المعروف باسم جبل طارق فلما علم بذلك ملك اسبانيا رودريك جمع جيشا عظيما ولكن انهزم بالقرب من مدينة كسريس (بامالة السين والراء) ثم قاومتهم أمة (الجوت) مدة مديدة وأخيرا فترت قواها بكثرة عدد عدوهم ولما دخلت أقارب الكونت جوليان فى حماية

العرب كان ذلك سببا فى انهزام جموع المسيحيين وفر الامبراطور رودريك هاربا فغرق فى النهر المسمى بالوادى الكبير وبعد هذه النصرة العظيمة لم تحصل وقائع مهمة فاسرع طارق وموسى بن نصير وابنه عبد العزيز فى اتمام فتح باقى الاقاليم ولما تمهد ملك اسبانيا لهم أدخلوا فيها ديانتهم وأخلاقهم وعوائدهم والى غير ذلك وفتحوا جزيرة سردينيا وتوفى الحجاج سنة ٩٥ وتوفى الوليد سنة ٩٦ وكان عامله على مصر قره بن شريك

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك﴾ ٧١٥ - ٧١٧م

بويع بالخلافة بعد سبعة أيام من موت أخيه وأحسن السيرة ورد المظالم واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا له وبينما كان موسى بن نصير متهيأ لفتح بلاد الغول (فرنسا) اذ بلغه موت الخليفة وتولية أخيه سليمان وبلغه أيضا عزله هو وطارق المذكور وحضر الى دمشق وحكم عليهما بالنفى الى مكة ثم أمر الخليفة بقتل عبد الله وعبد العزيز اللذين كانا بقيا بالنيابة عن أبيهما ببلاد الاندلس والمغرب الاقصى فمات ابن نصير حينما بلغه خبر موت ولديه ومع ذلك فان نفى موسى وطارق لم يوقف فتوحات العرب فانهم بعد ان جاوز واجبل البيرينية استولوا على مدينة (تاربون) وبعض مدن من فرنسا الجنوبية وامتدت فتوحاتهم الى قسم برجونيا ثم قام عبد الرحمن بجيش جرار قاصدا بذلك فتح باقى بلاد الغول فوضع الحصار على مدينة بوردو واستولى عليها وتقدم الى نهر لوار فقابله شارل بن بيبين دوهيرستال لما علم بقدوم عبد الرحمن المذكور فانهزم العرب أمام الجيش المكون من الغول والجرمانيين تحت قيادة شارل المذكور بالقرب من بندر بواتيه ورجعوا الى اسبانيا واكتفوا بامرها وذلك سنة ١١٨ من الهجرة الموافقة لسنة ٧٣٢ م وفى سنة ٩٧ خرج سليمان بالجيوش ونزل بمرج دابق وبعث أخاه مسلمة الى القسطنطينية وقال أقم عليها حتى تفتحها وأقام مسلمة قاهرا لها حتى جاءه الخبر بموت أخيه سليمان وذلك سنة ٩٩ وفى أيامه بنى اسامة

ابن يزيد الملقب بالتنوخي مقياس النيل بالروضة سنة ٩٧ هـ حيثما وقع مقياس النيل الموجود بحلوان وأوصى بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز وكان عامله على مصر عبد الملك بن رفاعة

﴿خلافة عمر بن عبد العزيز﴾ ٧١٧ - ٧٢٠ م

وهو الأشج الذي ورد في حقه الحديث الشريف بويع بالخلافة بعد موت سليمان فمن يوم توليته رفع المظالم التي صدرت عمن سبقه من الملوك وغير سب الامام علي كرم الله وجهه على المنابر ووضع محلها آية من القرآن (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) ولهذا الخليفة مناقب كثيرة لا تحصى منها أنه باع جميع ما يملكه وكذا نساؤه برضاهم وأدخله في بيت المال ومنها المحافظة على ما في بيت مال المسلمين قيل ان خدامه أتاه يوما بماء يقضي به حاجته فقال بأي شيء أسخنت هذا الماء فقال له من خشب بيت المال فأمر بشراء غيره ورده الى محله وكان العامل من طرفه على مصر هو أبو أيوب بن الصباح و بشير بن صفوان وقدمات رضي الله عنه مسموما سمه خدامه بواسطة أقاربه فتفحص عن الاسباب فقيل انه أخذ منه جعل فأخذه منه وأدخله بيت المال ولم يتعرض له بسوء وفوض أمره الى الله ومات بعد ان حكم سنتين ودفن بدير سمعان بالشام و بويع بعده ليزيد بن عبد الملك فلم يحدث في أيامه أمور مهمة الا خروج يزيد المهلب ابن أبي صفرة فارسل اليه أخاه مسلمة فقتل آل المهلب المشهورين بالكرم والشجاعة وتوفي سنة ١٠٥ هـ بعد تصرفه أربع سنين

﴿خلافة هشام بن عبد الملك﴾ ٧٢٠ - ٧٤٧ م

تولى الخلافة عقب موت يزيد بن عبد الملك وفي أيامه غزا مسلمة بن عبد الملك الروم وغزا نصر بن سيار ماوراء النهر وقتل ملك الترك وفي سنة ١٢٢ خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة ودعى الى نفسه وبايعه خلق كثير وكان والي الكوفة من جهة هشام يوسف بن عمر الثقفي فجمع

الجموع وقاتل زيدا فأصابه سهم فى جبهته فمات وعمره ٤٢ سنة وصلب يوسف بن عمر جثته وبعث برأسه الى هشام فنصبت بدمشق ودامت جثته حتى مات هشام وتولى الوليد فاحرقت وأذريت فى الهواء ومات هشام سنة ١٢٥ هـ وبموته ختم الوليد على ماله فكفن بالدين وقال شعر

انظر لمن مالك الدنيا باجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وكان العامل من طرفه على مصر محمد بن عبد الملك وفى مدته حصل بمصر وباء عظيم مكث شهرين وجملة ولايته على مصر ثمانية أشهر

﴿خلافة الوليد بن يزيد﴾ ٧٤٨ - ٧٤٩ م

كان هو وأصحابه فى البرية خوفا من هشام فى ضيق وسوء حال فكتب اليه بموت هشام فحضر وتولى الخلافة وعكف على الشرب والغناء وزاد الناس فى اعطائهم عشرات ثم زاد أهل الشام زيادة بعد العشرات عشرة أخرى وفى سنة ١٢٦ هـ قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص بعد ان ثقل على الناس لهو الوليد وشربه واجتماعه بالفساد دعى يزيد الى نفسه ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك وتهدده فاخفى الامر عنه وكان يزيد مقيما بالبادية لوخم دمشق فلما تم له أمره قصد دمشق متخفيا ودخل دمشق ليلا وبايعه أكثر أهلها وكان عامل الوليد على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فظهر يزيد بدمشق واجتمع عليه الجند وغيرهم واحضر عامل الوليد بالامان ثم جهز يزيد جيشا الى الوليد ابن يزيد بن عبد الملك تحت قيادة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان الوليد وقتئذ بالاعذق فى عمان فسار الوليد اليه وجرى بينهما حروب انتهت بتفريق الناس عن الوليد فركب بمن معه وقاتل قتالا شديدا ثم انهزم هو واصحابه فدخل القصر وأغلقه وحاصروه ثم قتلوه وبعثوا برأسه الى يزيد فسجد شكرا لله سبحانه وتعالى وطيف بالرأس على رمح فى دمشق

﴿خلافة يزيد بن الوليد﴾

وبعد قتل الوليد استقر الحكم له فنقص العشرات التى زادها الوليد

فلقبوه

فلقبوه بالناقص وفى أيامه خرجت عليه أهل حمص ونهبوا دار أخيه العباس فسار اليهم وهزمهم وأخذ البيعة عليهم وكذا خرج أهل فلسطين على عامله وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم ودعى الناس الى قتال يزيد الناقص فارسل اليه يزيد الناقص جيشا مع سليمان ابن هشام بن عبد الملك فلما قرب منهم الجيش المذكور تفرقوا وقدم سليمان فى طلب يزيد بن سليمان ونهبه وسار سليمان حتى نزل طبرية وبايع بها ليزيد ثم بالرملة وبايع بها كذلك وعزل منصور بن جمهور عن العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وتوفى الناقص بعد ان حكم خمسة أشهر تقريبا

﴿خلافة ابراهيم بن الوليد﴾

وكانت مدة خلافته أربعة أشهر وفيها سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فى جيش عظيم قاصدا عزله من الخلافة ولما علم بذلك ابراهيم بن الوليد جهز اليه جيشا مع سليمان بن هشام واقتتلوا فانهزمت أصحاب ابراهيم الخليفة وسليمان المذكور وقتلوا ابنى الوليد بن يزيد وكانا فى السجن ثم اختفى ابراهيم ونهب سليمان بيت المال وقسمه على أصحابه وخرج من دمشق

﴿خلافة مروان بن محمد﴾

بويع بالخلافة عقب فرار ابراهيم بن الوليد ولما استقر له الامر أرسل له ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام يستأمنان منه فأمنهما وقدما عليه ومع سليمان اخوته وأهل بيته فبايعوا مروان وفى أيامه عصت عليه أهل حمص ففتحها وقتل وصلب بعض أهلها ثم خالف عليه أهل فلسطين فكتب مروان الى أبى الورد فسار وهزمهم بالقرب من طبرية ثم خرج عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك واجتمع اليه من الشام سبعون ألفا وعسكر بقنسرين وسار اليه مروان والتقوا بارض قنسرين فانهزم سليمان وفر هاربا الى حمص واجتمع اليه أهلها فهزمه مروان وعصى عليه

أهل حمص ثانيا فحاصرهم طويلا وأخيرا سلموا اليه وكان عامله على مصر عبد الملك ابنه وفي سنة ١٢٩ هـ ابتدأت الدعوة لبني العباس في خراسان وغيرها من طرف محمد الملقب بالامام ابن علي بن عبد الله بن عباس على يد أبي مسلم الخراساني الذي ولاه محمد الامام الامر في استدعاء الناس سرا ولما مات محمد الامام العباسي وقام بعده ولده ابراهيم الامام أقر أبا مسلم على الدعوة وأمره أن يظهرها بخراسان وكان الوالي عليها من طرف مروان نصر بن سيار ولما بلغ مروان ذلك أرسل الى عامله بالبلقاء ان يرسل اليه ابراهيم الامام المقيم بقرية الحميمة (بضم الحاء) بلدة بالشام فبعثه اليه فحبسه مروان بحران حتى مات وبويع أبو العباس بالخلافة بعد موت ابراهيم الامام أخيه فجهز جيشا تحت قيادة عمه عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان بالقرب من الموصل فكانت النصرة لعبد الله وانهزم مروان والتجأ الى حران ومكث بها عشرين يوما حتى دنا منه عسكر أبي العباس وانهزم الى حمص وقدم عبد الله بن علي حران ثم سار مروان الى دمشق ثم سار الى فلسطين وكان السفاح قد كتب الى عمه عبد الله بن علي اتباع أثر مروان فسار حتى وصل الى فلسطين وفي أثناء الطريق وجدوا جماعة من بني أمية فامر بعدهم وصاروا يجلسون عليهم ويأكلون ويشربون عليهم الى ان ماتوا ثم ورد اليه كتاب أبي العباس بارسال أخيه صالح بن علي في طلب مروان ولم يزل متتبعا أثر مروان الى ان أدركه في قرية أبوصير بالجيزة (من أعمال مصر) فضربه بالرمح واحتز رأسه وسار به الى أبي العباس بالكوفة ولم يزل أبو العباس يتتبع أثر بني أمية حتى أهلكهم ولذا سمي بالسفاح (أي سافك الدماء) ولم يبق منهم الا المستضعفين من الرجال والنساء ثم هرب منهم جماعة الى المغرب منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي دخل الاندلس وبويع فيها بالخلافة وأسس دولة قرطبة فكان مروان الجعدي هذا آخر ملوك بني أمية وهرب عبيد الله وعبد الله ابنا مروان الى الحبشة فقتل عبيد الله

ونجا

ونجا عبد الله في عدة ممن معه وبقي الى خلافة المهدي فأخذه نصر بن محمد ابن الاشعث عامل فلسطين وبعث به الى الخليفة وكانت مدة خلافة مروان ٥ سنين تقريبا

﴿الفصل الخامس﴾

الدولة العباسية

أصل هذه الدولة من سلالة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان مقر ملكهم بالعراق وعدتهم ٣٧ خليفة بالعراق و١٥ بمصر ومدة تصرفهم ٥٠٠ سنة وكان ابتداء ملكهم سنة ١٣٢ هـ الموافقة سنة ٧٥٠ م وانتهاؤه سنة ٦٥٧ هـ الموافقة لسنة ١٢٥٨ م ولا نتكلم هنا الا على من دخلت مصر تحت حكمه فنقول

﴿خلافة أبي العباس السفاح﴾ ٧٥٠ – ٧٥٤ م

وبعد ان تم له الامر على الوجه المذكور دخل سديف الشاعر وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان أمنه وأكرمه فانشد يقول

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان بين الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع الصوت حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

ففي الحال أمر بقتل سليمان المذكور وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور الامويين واحراق ما فيها من العظام وتتبع قتل بني أمية ولم يسلم من القتل سوى الرضيع أو من فر الى الاندلس وقتل سليمان بن علي بالبصرى جماعة من بني أمية وألقاهم في الطريق تأكلهم الكلاب فتشتت من بقي منهم واختفوا في البلاد وجعل السفاح أخاه المنصور واليا على الجزيرة وازربيجان وأرمينيا وولى عمه المدينة ومكة واليمن وولى ابن أخيه عيسى بن موسى الكوفة وكان على الشام عمه عبد الله وعلى مصر أبو عون وعلى خراسان أبو مسلم وفي سنة ١٣٣ استولى قسطنطين ملك الروم على مالطة وفيها ولى السفاح عمه سليمان البصرى وأرض البحرين

وعمان وفيها عزل السفاح أخاه يحيى عن الموصل لكثرة قتله فيهم وولى عمه اسمعيل بن على وفى سنة ١٣٤ تحول السفاح من مقامه بالحيرة الى الانبار ومات السفاح سنة ١٣٦ وخلافته من قبل مروان أربع سنين وعهد بالخلافة لاخيه المنصور

﴿خلافة أبى جعفر المنصور﴾ ٧٥٤ - ٧٧٥ م

ولما مات السفاح كان المنصور فى الحج فاخذ له عيسى بن موسى البيعة على الناس وأرسل أعلمه بذلك فبايعه أبو مسلم والناس ولما قدم من الحج الى الكوفة وصلى باهلها الجمعة وسار فاقام بالانبار وفى أيامه بايع عمه المنصور عبد الله بن على لنفسه بالخلافة فارسل اليه أبو مسلم فانهزم عبد الله وأصحابه واستولى أبو مسلم على عسكره ثم قتل أبا مسلم الخراسانى لوحشة جرت بينهما لانه كتب لابى مسلم بعد ان هزم عبد الله عمه بالولاية على مصر والشام وصرفه على خراسان فلم يجب أبو مسلم الى ذلك وتوجه يريد خراسان وسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب يطلب أبا مسلم فاعتذر عن الحضور وطالت بينهما المراسلات وأخيرا قدم اليه أبو مسلم فى ثلاثة آلاف وخلف باقى عسكره بحلوان (من أعمال فارس) ودخل على المنصور فأمر بقتله وفى سنة ١٣٣ وسع المنصور المسجد الحرام وفى أيامه دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بلاد الاندلس واستولى عليها وفى سنة ١٤٥ أمر الخليفة ببناء بغداد وسماها مدينة السلام وانتقل من مدينة أبى هبيرة الى بغداد ونقل اليها أبواب مدينة واسط لتكميل عمارتها وأمر بنقل أنقاض القصر الابيض (ايوان كسرى) الى بغداد ثم كف عن ذلك الشغل لصعوبته ومات الامام أبو حنيفة فى مدته وفى سنة ١٥١ بنى المنصور الرصافة لابنه المهدى وهى فى الجانب الشرقى من بغداد وسار المنصور بعد ذلك الى الشام وجهز جيشا الى المغرب لقتال الخوارج ومات المنصور سنة ١٥٨ وكان العامل من طرفه على مصر أبو عون الجرجانى وفى مدته صدرت اليه أوامر الخليفة بسد قنال السويس الذى

كان

كان شرع فيه عمرو بن العاص وقد بلغ عدد نوابه بمصر ثمانية أولهم أبو عون المذكور وآخرهم موسى بن العباسي

﴿خلافة الهدى﴾ ٧٧٥ - ٧٨٥ م

بويع بالخلافة بعد موت أبيه وفي أيامه أمر باتخاذ المصانع في طريق مكة وتجديد الاميال والبرك وتجهز المهدى لغزو الروم واستخلف ابنه الهادى ببغداد ولما وصل الى حلب بلغه أن بتلك الناحية زنادقة فجمعهم وقتلهم وجهز ابنه هرون لغزو بلاد الروم فرحل الرشيد الى خليج القسطنطينية ولم يمكنه فتحها فعاد وأقام المهدى بريدا بين مكة والمدينة واليمن بغالا وابلا وزاد المهدى في المسجد الحرام والمسجد النبوى ومات المهدى سنة ١٦٨ وتولى من طرفه على مصر ستة أولهم عيسى بن نعمان ومنهم أبو داود الذى منع غلق الدروب ليلا ومنع حرث الحمامات وقال من ضاع له شئ فعلى أداؤه ومنهم ابراهيم بن صالح الذى خرج في مدته دحية بن مروان بالصعيد ودعى لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله ومنهم عصامة بن عمر الذى بعث الى دحية جيشا مع أخيه (بكار) فحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دحية فتطاعن فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمان

﴿خلافة الهادى﴾ ٧٨٥ - ٧٨٦ م

ولما مات المهدى كان الهادى مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان فاخذت البيعة له فلما بلغه بجرجان موت أبيه سار حتى دخل بغداد وفي مدته ظهر الحسين بن على بن الحسن بن الحسين رضى الله عنه بالمدينة في جمع من أهل بيته وجرى بينه وبين عامل الهادى على المدينة وهو عمر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين ثم خرج الحسين ومن معه الى مكة وكان قد جهز جماعة من بنى العباس منهم سليمان بن أبى جعفر المنصور وانضم اليه شيعتهم

وموالیهم واقتتلوا فقتل الحسین وانهزم أصحابه وأخذت رأسه ورأس جملة من أهل المدینة وبعثوا بها الى الهادی وکان العامل من طرفه علی مصر علی بن سنان

خلافة هرون الرشید ٧٨٦ - ٨٠٩ م

وهو الخامس من بنی العباس تولی الخلافة بعد موت أخیه الهادی سنة ١٧٠ هجریة أعنی سنة ٧٨٦ م کان هذا الخلیفة أشهر وأفضل بنی العباس عاقلا مهابا موصوفا بالحکمة والتدبیر مولعا بمطالعة التواریخ والکتب الادبیة وفی عصره اتسعت دائرة التجارة ونطاق المعارف لانه أصدر أمرا بترجمة الکتب الیونانیة من فلسفیات ورياضیات وغیرها الى اللغة العربیة وتنافست الکتاب فی ترجمتها وله غزوات کثیرة من أشهرها غزوة بلاد هرقلة فی عصر ملکها نیسیفوروس المعروف فی التواریخ الاسلامیة باسم نقفور حین امتنع عن أداء الخراج فهزمه شر هزیمة وعاد علیه الخراج کما کان وقیل ان الرشید حضر بنفسه ثمان غزوات وقاتل فیها قتالا حسنا ومن مناقب هذا الخلیفة انه کان غیر محتجب عن أرباب الدعاوی محافظا علی راحة الرعیة کان یطوف أغلب اللیالی مختفیا فی شوارع بغداد لیطلع علی أحوال الرعیة فاذا رأی مظلوما أعانه وانتقم من ظالمه قیل ان امرأة دخلت علیه وشکت الیه أذی العساکر حین مرورهم فی أرض تخصها فأجابها الرشید قائلا جاء فی الحدیث ان من عادة العساکر ان یضروا بالارض عند مرورهم بها للغزو والجهاد فیجب علی أصحاب الاملاک ان یتحملوا أضرارهم ویقوموا بخدمتهم فاجابته علی الفور قائلة جاء فی الحدیث ان الملوک الذین یسمحون بظلم رعیتهم تجلب خرابا علی مملکتهم فاستحسن الرشید جوابها ودفع لها ضعف خسائرها من بیت المال وله مناقب کثیرة من هذا القبیل وکان عامله علی مصر موسی بن عیسی العباسی الذی أمر القبط فی اعادة الکنائس ثانیا التی کان هدمها علی بن یوسف وقاموا

علیه

عليه أهل مصر وقالوا انه يصلح للخلافة ولما سمع الرشيد بذلك سخط عليه وعزله وولى مكانه موسى المذكور وجملة نوابه بمصر أكثر من عشرة ولما اشتهر الرشيد فى الاقطار الغربية بالحكمة والتدبير أرسل له شرلمان أوشارل الاكبر ملك الفرنج ومدبر السلطنة الغربية رسلا فارسل اليه الخليفة هدية ساعة ميكانيكية وأشياء أخرى فاخرة وكانت الساعات لم تكن معروفة من قبل فكانت هى أول ساعة ظهرت فى أوروبا وفاق الرشيد من سلفوا من الخلفاء والملوك وزخرف بغداد والمدن الشهيرة بانواع البساتين والزينة وصرفت امرأته زبيدة مليون ومائة ألف دينار لحفر عين ماء لشرب أهل مكة والمدينة وكان الرشيد قد استوزر يحيى البرمكى ثم استوزر بعده ابنه جعفر وكان الرشيد لا يفعل شيأ الا باستشارته ومن فرط حبه له زوجه أخته ميمونة بشرط عدم الاجتماع بها ثم نكب به وقتله ونصب رأسه على الجسر وجعل جثته نصفين كل نصف على جسر وحبس أهله وأخيرا قتلهم وذلك لاسباب سياسية وقيل ان البرامكة أحضروا له الزندقة وقيل ان جعفرا اجتمع باخته المذكورة فحملت بغلام وهذا القول بعيد وقيل ان الرشيد كلما مر على قرية أو ضيعة سأل هى لمن قيل لجعفر وهذا هو الصحيح ومات الامام مالك وسيبويه امام النحو فى مدته ومات الرشيد بمدينة طوس من أعمال خراسان حين توجه لقمع رافع بن الليث وقت اظهاره العصيان عليه وذلك سنة ١٩٣ وعهد بالخلافة لابنه الامين ثم المأمون

﴿خلافة محمد الامين﴾ ٨٠٩ - ٨١٣ م

بويع بالخلافة يوم مات أبيه وفى زمنه هاجت الجنود بمصر فحصل من ذلك فتنة شديدة قتل فيها الناس كثيرون فسار الحسن بن الجهاض من مصر بمال الخراج الى الخليفة الامين فخرج عليه أهل الرملة ونهبوه وأخذوا مال الخراج منه فولى الحاتم بن هرثمة فاتى الى مصر بالغ فارس ونزل بهم فى مدينة بلبيس وأخذ الخراج من البلاد وذهب الى

مدينة الفسطاط ثم عزل وتنصب على مصر مكانه جابر بن الاشعث الطائى فاستمر الى ان حدثت الفتنة بين الامين والمأمون وسبب ذلك ان أخاه الامين خلعه من الخلافة وأبطل اسمه من الخطبة وخطب لموسى ابنه ولقبه الناطق بالحق فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة ابن أعين فحاصراه ببغداد فهرب بمركب فى البحر فرماه رجال أصحاب طاهر بالحجارة فشق الامين ثيابه وسبح فى الماء الى بستان فلما خرج أدركوه وركبوا عليه وذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه الى طاهر بن الحسين فارسلها الى المأمون وبصحبتها خاتم الخلافة وبردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضعت الرأس بين يدى المأمون خر ساجدا شكرا لله تعالى على ما رزقه من الصغر وأعطى الرسول ألف درهم وكان قتل الامين سنة ١٩٨ فى محرم وأتى السرى بن الحكم الى مصر وبايع الناس للمأمون وعزل جابر الذى كان عاملها من طرف الامين

﴿خلافة المأمون﴾ ٨١٣ - ٨٣٣ م

بويع بالخلافة عقب قتل أخيه وكان هذا الملك متحليا بجميل الاخلاق يحب العلم وأهله مشتغلا بالعلوم لاسيما علم الفلك فتحارب مع الامبراطور تيوفيل حينما امتنع عن ارسال أحد علماء الفلك المدعوليون اليه وجمع مكتبة من الكتب اليونانية وأمر بترجمتها الى اللغة العربية فمن أنفر كتبها كتاب اقليدس المهندس المشهور

واعلم ان المأمون هو أول من قاس الدرجة الارضية وعرف مقدارها وقد كان مع هذه الاوصاف صاحب غزوات وفتوحات فانه غزا بلاد سيليسيا وجزيرة كندياو جملة نوابه بمصر ثمانية منهم صالح بن شيرزاد الذى ظلم الناس وجار عليهم فقتلوه ومنهم عيسى الجلودى الذى حارب أهل الخوف بالمطرية وهزموه فأتى اليه المعتصم بأربعة آلاف من الاتراك فقاتلهم وقتل أكابرهم ومنهم عيسى بن منصور الذى خالف عليه عرب مصر وأقباطها وكانت بينهم حروب عظيمة وذلك سنة ٢١٦ وفى مدته

حضر

حضر المأمون الى مصر وبحضوره طفئت نار الفتنة ثم أراد البحث عن حقيقة اهرام الجيزة وهدم جزء منها فكف عن ذلك الشغل لصعوبته وقال ان الملوك الذين بنوا الاهرام كانوا بمنزلة لا ندركهم نحن ولا أمثالنا وقد تقدم الكلام على الاهرام وقد حمل الناس على القول بخلق القرآن الشريف وتفضيل الامام علي على جميع الصحابة فأجابته طائفة وامتنع الامام أحمد بن حنبل فأمر بشديده وحبسه وفي سنة ٢٠٠ أمر المأمون باحصاء ولد العباس فبلغوا ٣٣٠٠ مابين ذكر وأنثى كما ذكر ذلك ابن الوردي وفي سنة ٢٠٢ بويع لابراهيم بن المهدي ببغداد ولقب المبارك وذلك بعد ان خلعوا المأمون واستولى ابراهيم على الكوفة وعسكر بالمدائن واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس ابن موسى الهادي وعلى الجانب الشرقي اسحق بن الهادي واستخلف المأمون على خراسان غسان بن عباد وقصد العراق ولما وصل سرخس وثب أربعة فقتلوا الفضل بن سهل وبلغ ابراهيم بن المهدي والمطلب الذي أخذ البيعة لابراهيم قدوم المأمون فتمارض المطلب وتوجه الى بغداد وسعى باطنا في البيعة للمأمون وخلع ابراهيم وبلغ ذلك ابراهيم وهو بالمدائن فقصد بغداد وطلب المطلب فامتنع فنهبه ونهب أهله ولم يظفر بالمطلب وفي سنة ٢٠٣ هـ خلع أهل بغداد ابراهيم المذكور ودعوا للمأمون فقدم المأمون وكانت ولايته سنتين تقريبا فانقطعت الفتن بقدوم المأمون سنة ٢٠٤ هـ وفي هذه السنة توفي بالفسطاط الامام الشافعي رضي الله عنه واسمه محمد بن ادريس وكان العامل على مصر وقتئذ السري بن الحكم وفي سنة ٢١٠ هـ ظفر المأمون بابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم ابن الامام المعروف بابن عائشة وبجماعة معه سعوا في البيعة لابراهيم بن المهدي فحبسهم ثم صالح ابن عائشة وفي هذه السنة قبض على ابراهيم بن المهدي وأحضر الى المأمون فحبسه فأنشد يقول

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان أخذت فعدل

فعفا عنه وقال

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

وفى سنة ٢١٦ هـ سار الى مصر المأمون كما تقدم وأمر عماله ببناء ما تهدم من مقياس النيل ونقش ذلك عليه بالحروف الكوفية

﴿خلافة المعتصم﴾

وهو أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد تولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ الموافقة ٨٣٣ م كان هذا الملك عاريا عن العلوم والمعارف وحمل الناس على القول بخلق القرآن وعقد فى ذلك مجالسا كثيرة وأمر بشد يدى أحمد بن حنبل حتى تخلفت أكتافه ومازال متوجعا الى ان مات رضى الله عنه وكان عامله على مصر كيدر ثم ابنه المظفر وقد استخدم فى ماعيته نحو خمسين ألف من الاتراك والتتار فقويت شوكتهم وصار الامر بين يديهم ولم يكن للخليفة فى زمنهم الا مجرد الخطبة والاسم وقبض المعتصم على وزيره الفضل بن مروان ولم يكن للمعتصم معه أمر وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات

﴿خلافة الواثق هرون﴾

بويع بالخلافة يوم وفاة أبيه وفى مدته فتح المسلمون أماكن من جزيرة صقلية وكان أميرها محمد بن عبد الله بن الاغلب وخرجت المجوس من أقاصى بلاد الاندلس فى البحر الى بلاد المسلمين وجرى بالاندلس وقائع انهزم فيها المسلمون ثم وافاهم عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس والمسلمون فانهزم المجوس وغنم المسلمون منهم أربعة مراكب بما فيها وعاد المجوس الى بلادهم وكان عامله على مصر كيدر بن عبد الله الصغدى ومنصور ابن عيسى

﴿خلافة المتوكل على الله﴾

بويع

بويع بالخلافة يوم مات أخيه الواثق فولى ابنه المنتصر الحرمين واليمن والطائف وفى أيامه ظهر بمدينة سامرا (من أعمال فارس) محمود بن فرخ وادعى النبوة وانه ذو القرنين وتبعه سبعة وعشرون رجلا فالزم المتوكل أصحابه أن يصفعوه كل منهم عشر صفعات ثم حبسه وضربه حتى مات وأمر المتوكل بهدم قبر الحسين رضى الله عنه وهدم ما حوله من المنازل لشدة بغضه لعلى كرم الله وجهه وأهل بيته وكان نديمه عبادة المخنث ومنع القول بخلق القرآن ومات فى أيامه الامام أحمد بن حنبل وذو النون المصرى وقتل المتوكل برأى ابنه المنتصر وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧

﴿خلافة المنتصر﴾

امتنع الناس أولا من مبايعته حيث انه قتل والده فاخرج أحمد بن الخطيب كتابا من المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتلته به فبايعوه وفى مدته توفى أبو العباس أمير صقلية فولى الناس ابنه عبد الله ثم ورد من افريقة خفاجة بن سفيان أميرا فغزى وفتح ثم اغتاله بعض أصحابه فولى الناس ابنه محمدا ثم أقره محمد بن أحمد بن الاغلب صاحب القيروان وبقى محمد بن خفاجة أميرا الى سنة ٢٥٧ من الهجرة فقتلته طوشية وهربوا فقتلوا والمنتصر هو الذى أمن العلويين وأمرهم بزيارة قبر الحسين ومات بسامرا سنة ٢٤٨ هـ

﴿خلافة المستعين بالله﴾

وهو أحمد بن محمد بن المعتصم بويع بالخلافة عقب موت المنتصر وفى أيامه ورد اليه خبر موت طاهر بن عبد الله أمير خراسان فولى ابنه محمد بن طاهر عليها وحمل أهل حمص على كيدر عامله فأخرجوه وفى سنة ٢٤٩ التقى المسلمون والروم بمرج الاسقف وقتل عمر بن عبد الله الاقطع مقدم عساكر الخليفة فانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فاغار الروم على ثغور الجزيرة وفى هذه السنة شغب الجند والعامة على الاتراك بسبب

استيلائهم على الامور يقتلون من شاؤا من الخلفاء ويستخلفون من شاؤا ثم اتفقت العامة بسامرا وأطلقوا من فى السجون فقتلت الاتراك من العامة جماعة حتى سكنت الفتنة وقتل العبيد أيامش رئيس الترك ونهبوا داره وفى أيامه ظهر أبو الحسن من نسل الحسين بالكوفة وكثرت جموعه فارسل اليه جيشا مع محمد بن طاهر فقتله وبعث رأسه الى الخليفة وخرجت عليه أهل حمص وطردوا العامل الفضل بن قارن فارسل المستعين اليهم جيشا تحت قيادة موسى بن بغاء الكبير ففتحها وقتل خلقا كثيرا وأحرقها وفى سنة ٢٥١ شغب الجند وحصروا المستعين فى القصر بسامرا فهرب هو وبغاء الصغير ووصيف باغر التركى الى بغداد واستقر بها المستعين فخافت الاتراك منه فاخرجوا المعتز بن المتوكل من الحبس وبايعوه

﴿خلافة المعتز بالله﴾

بويع بالخلافة عقب خلع المستعين فارسل جيشا يبلغ خمسين ألفا من الاتراك الى حربه فتحصن المستعين ببغداد وألزمه بخلع نفسه ومبايعته له بعد قتال شديد ثم نقل المستعين من الرصافة الى قصر الحسن بن سهل باهله وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ومنعه من مكة فأقام بالبصرة ووكل به جماعة وانحدر الى (واسط) وكتب الى أحمد بن طولون بقتل المستعين فامتنع ابن طولون من ذلك فسلمه الى الحاجب سعيد بن صالح فضربه سعيد حتى مات وبعث برأسه الى الخليفة المعتز بالله وخلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر وفى أيامه عقد (لعيسى بن الشيخ) على الرملة فجهز نائبه أبا المعتز اليها لما كانت فتنة الاتراك بالعراق وتغلب (ابن الشيخ) على دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام الى الخليفة وملك يعقوب الصفار هراة وبوشنج وهابه أمير خراسان

وفى سنة ٢٥٤ هـ أعنى سنة ٨٦٨ م ولى أحمد بن طولون مصر

وفى سنة ٢٥٥ هـ استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان

ثم

ثم استولى على فارس ودخل شيراز ونادى بالامان وكتب الى الخليفة بطاعته وصار سلطانا بها سنة ٢٥٩ هـ الموافقة سنة ٨٧٢ م وأسس دولة بنى الصفار وخلع المعتز سنة ٢٥٥ هـ أى سنة ٨٦٨ م وذلك ان الاتراك طلبوا حقوقهم فلم يكن عنده مال فاتفق الاتراك فساروا الى منزله وضربوه ثم اتفقوا على خلعه ثم حبس ومنع من الطعام والشراب مدة ثلاثة أيام فمات ودفن بسامرا

﴿خلافة المهتدى﴾

وهو محمد بن الواثق بويع بالخلافة سنة ٢٥٥ هـ سنة ٨٦٨ م وفى أيامه كان أول خروج صاحب الزنج على بن محمد فجمع الزنج الذين كانوا يحملون السباخ جهة البصرى وادعى انه من نسل الحسين وعبر نهر الدجلة ونزل الانبار وكان المذكور بمدينة سامرا وخرج منها سنة ٢٤٩ هـ سنة ٨٦٢ م الى البحرين فدعى نسبته بالعلويين وأقام فى الاحساء ثم فى البصرة سنة ٢٥٤ هـ سنة ٨٦٨ م ثم خرج فى هذه السنة واستفحل أمره وبث أصحابه للاغارة والنهب وفى سنة ٢٥٦ هـ سنة ٨٧٠ م خلع المهتدى لانه قصد قتل موسى بن بغا وكتب الى بابكال من مقدمى الترك ان يقتل موسى ويصير موضعه فاطلع بابكال موسى على ذلك واتفق على قتل المهتدى فسار بابكال الى سامرا ودخل على المهتدى فحبسه وقتله وركب لقتال موسى فتخلوا عنه الاتراك فضعف المهتدى وهرب فقبض عليه وصفعوه حتى مات ولما قتل بابكال صارت الامور بيد يارجوج التركى وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة فاستعمله على ديار مصر جميعها حيث كان بابكال قد استعمله على مصر سوى الثغور فلما تولى مصر قوى أمره وعلا شأنه ففى خلافة المعتمد تغلب أحمد بن طولون وصار ملكا

﴿الفصل السادس﴾

الدولة الطولونية

﴿أحمد بن طولون﴾

تولى سنة ٢٥٨ هـ أى سنة ٨٧٢ م وهو أول من تسلطن بمصر من ولاة الدولة العباسية وكان عاقلا حازما كثير المعروف والصدقة يحب العلماء وأهل الدين وهو الذى بنى قلعة يافا وبنى الجامع المشهور باسمه بالقطم فى محل يعرف مكانه باسم تنور فرعون سنة ٢٦٣ هـ أى سنة ٢٧٧ م وبنى (القطائع) المعروف اطلالها الآن باسم (كيمان طولون ونقل اليها كرسى المملكة حيث كان بالفسطاط وبنى أيضا قلعة الكبش وفى أيامه عصت عليه أهل برقة فجهز جيشا مع لؤلؤ غلامه وأمره بالرفق واستعمال اللين فان انقادوا كان بها والا بالسيف فسار اليها وحاصرها فما أمكنه فتحها مع استعمال ما أمره به فارسل ابن طولون بالجد فى حربهم فنصب عليهم المنجانيق وجدوا فى قتالهم فطلبوا الامان وقبض على جماعة من رؤسائهم وضربهم بالسياط وقطع أيدى بعضهم وأخذ معه جماعة وعاد الى مصر ولما وصل لؤلؤ الى مصر خلع عليه ابن طولون وطيف بالاسرى فى البلد وفى سنة ٢٦٥ هـ أى سنة ٨٧٩ أراد الموفق أخو المعتمد كسر شوكة ابن طولون فارسل جيشا مع موسى ابن بغا الكبير الذكر فخرج ابن طولون عليه واستخلف ابنه العباس بمصر ولم يستطع ابن بغا لمكافحته فدخل الشام وسلم اليه العامل على بر أماجور فخلع عليه ابن طولون وملك دمشق وحمص وحماه وكذلك حلب فملك ذلك كله ثم سار الى انطاكية ودعى العامل التركى (سيما الطويل) أمير انطاكية الى طاعته فأبى فقاتله وملك انطاكية عنوة وقتل سيما المذكور ثم ملك عدنة وطرسوس من سيليسيا وأراد الاقامة بطرسوس فلم يوافقه لاسعارها فعاد منها الى الشام فأتاه خبر ولده العباس الذى قد استخلفه على مصر انه عصى عليه وأخذ الاموال وسار الى برقة مشاقا لابيه

فلم

فلم ينزعج من ذلك وثبت حتى قضى أشغاله وضبط بلاده ثم عاد الى مصر وأرسل الى ابنه ولاطفه فلم يرجع فحاربه حرباً شديداً فاخذ العباس أسيراً وحمل الى أبيه فحبسه فى داره الى ان قدم باقى الاسرى من أصحابه فامره أبوه أن يقطع أيدى أعيانهم وأرجلهم ففعل فلما فرغ منه وبخه وضربه ثم رده الى الحبس فخنق به وفى عصره حصلت حادثة فلكية وهى تساقط النجوم من السماء فخافها الناس وانزعجوا منها وحصلت فى أيامنا هذه مثلها سنة ١٣٠٣ هـ أى سنة ١٨٨٥ م وفسرها علماء الفلك الحاليين بانها ليست نجوم وانما هى حجيرات صغيرة صعدت الى الجو وصارت بجانب بعضها فخرقتها الكهربائية الجوية وتصاعد من ذلك شرار ومات ابن طولون سنة ٢٧٠ هـ أى سنة ٨٨٤ م ومدة خلافته ٢٦ سنة نائباً وخليفة

﴿خمارويه بن أحمد﴾

بويع بعد موت أبيه وكان ملكاً صاحب أفعال جيدة وآراء سديدة وأبقى فى حكومته جميع من كان مستخدماً مدة حياة أبيه وشرع فى تزيين القطائع بمبانى فاخرة وأخذ الميدان العمومى وجعله بستاناً واحداً وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر والى غير ذلك من أشياء النزهة وفى سنة ٢٧١ هـ أى سنة ٨٨٥ م جرت واقعة بين الموفق وخمارويه بن أحمد بالقرب من دمشق وتسمى بواقعة الطوحين آخرها هزيمة المعتضد وأصحابه بين دمشق والرملة وانهزم خمارويه الى حدود مصر وثبت عسكره ولم يعلموا بهزيمته وانهزم المعتضد ولم يعلم بهزيمة خمارويه أى انها كانت واقعة غير قطعية كان سببها عداوة قديمة بين الموفق والطولونيين وبعد ذلك بقليل تولى أحمد بن الموفق الخلافة ولقب بالمعتضد بالله فلما علم بذلك خمارويه أرسل يهنئه بذلك وتعهد له ان يدفع جزية سنوية قدرها ٣٠٠ ألف دينار وحصل الاتفاق بينهما وتزوج الخليفة (قطر الندا) بنت خمارويه فارسل اليه الخليفة الحسين

ابن عبد الله بن الجصاص بهدايا عظيمة وقد أرسل جيشا مع طغج بن جف لمحاربة الروم فبلغ مدينة طرسوس وانتصر هناك على الروم جملة نصرات ثم توجه الى دمشق لاطفاء الفتنة التي بها فقتل وذلك سنة ٢٨٢ هـ أي سنة ٨٩٦ م

ولما مات خمارويه بويع لابنه جيش الملقب بابي العساكر ثم خلع طغج ابن جف أمير دمشق جيش ابن خمارويه منها واختلف جيش أبو العساكر المذكور عليه لحداثة سنه وتقريبه الارازل وتهديده لقواد أبيه فثاروا عليه وقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وأقعدوا أخاه هرون في الولاية وكانت مدة جيش المذكور تسعة أشهر وفي مدة هرون اختل حال ملك بني طولون واختلف القواد عليه وانحل نظام مملكته فانتهز الفرصة ابن جف واستقل بالشام وفي ذلك الوقت مات المعتضد وأخلفه ابنه المكتفي فبعث جيشا مع محمد بن سليمان فاستولى على دمشق ثم على مصر وصاحبها هرون بن خمارويه ففارقه غالب قواده ولحقوا بعسكر الخليفة وخرج هرون بمن بقي معه وجرى بينه وبين محمد بن سليمان وقعات ثم وقع في عسكر هرون خصومة فاقتتلوا فركب هرون لتسكينهم فزرقه مغربي بزراق فقتله فقام عمه شيبان بالامر وطلب الامان فامنه محمد بن سليمان ثم هرب شيبان ليلا واستولى ابن سليمان على مصر وأمسك بني طولون وكانوا بضعة عشر رجلا فحملهم الى بغداد وذلك سنة ٢٩٢ هـ أي سنة ٩٠٤ م وعادت مصر الى الدولة العباسية ثانيا

﴿الفصل السابع﴾

الدولة العباسية المرة الثانية

﴿خلافة المكتفي بالله﴾

بويع بالخلافة عقب موت أبيه المعتضد وهو السابع عشر من خلفاء بني العباس

العباس وكان (بالرقة) وبلغه الخبر فأخذ البيعة على من عنده أيضا ودخل بغداد وفي سنة ٢٩٠ هـ أي سنة ٩٠٢ م ابتدأت شوكة القرامطة حتى هزموا جيش طغج بن جف أمير دمشق وحصروها ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ فقام في القرامطة أخوه الحسين وسمى نفسه أحمد وأظهر شامة بوجهه وزعم انها آيته وكثر جمعه فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه له وانصرف عنها الى حمص وخطبوا له على منابرها وسمى بالمهدي أمير المؤمنين وعهد الى ابن عمه عبد الله ولقبه المدثر ثم سار الى حماه والمعرة وغيرهما وقتل أهلها وأخذ سلمية بالامان وقتل أهلها ولما اشتد أمر القرمطي صاحب الشامة خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل اليه الجيوش وفي السنة الثانية وقعت عساكر الخليفة مع صاحب الشامة بقرب حماه فانهزم القرمطي المذكور وقبضوا عليه هو وابن عمه المدثر وأحضروا الى الخليفة فسار بهم الى بغداد وطيف برأس صاحب الشامة وقد علمنا ان هذا الخليفة هو الذي أرسل محمد بن سليمان الى مصر وملكها ولما خرج محمد بن سليمان من مصر ظهر الخلنجي الخارجي بمصر واستفحل أمره فسار اليه أحمد بن كيغلغ عامل دمشق فطمعت القرامطة فيها عند غيابه فنهبوها وقتلوا كثيرا من أهلها ونهبوا أيضا طبرية ثم قصدوا جهة الكوفة فسير اليهم المكتفي عساكره فانهزمت عساكر الخليفة وفي سنة ٢٤٩ هـ أخذت القرامطة الحجاج من طريق العراق وقتلوهم وكانوا نحو عشرين ألفا وأخذوا منهم أموالا جسيمة وكان رئيس القرامطة اذ ذاك (زكرويه) فبعث المكتفي اليه جيشا فانهزم زكرويه وقتل فبعث برأسه الى الخليفة ومات الخليفة سنة ٢٩٥ هـ أي سنة ٩٠٦ م وكان عامله على مصر عيسى النوشري وبويع بالخلافة بعده للمقتدر وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد وحكم سنة واحدة وخلع وبويع لعبد الله بن المعتز وجرت في أيامه بين المريدين له والمريدين للمقتدر حروب

تمت فيها الهزيمة عليه وعلى أصحابه فهرب وقبض عليه وحبس قيل خنق بالحبس وقيل مات حتف أنفه وعاد المقتدر ثانيا الى الخلافة وكان عامله على مصر عيسى النوشرى أيضا الذى فى مدته قدم مصر زيادة الله الاغلبى صاحب القيروان وسبب ذلك ان زيادة الله المذكور انهمك على اللذات وشرب الخمور وقتل من الاغالبة جماعة غفيرا فقوى أمر أبى عبد الله الشيعى القائم بدعوة الدولة الفاطمية بالمغرب فارسل اليه زيادة الله جيشا تحت قيادة ابراهيم ابن عمه فهزمهم الشيعى فضعف زيادة الله وجمع أمواله ووفد على مصر عند عيسى المذكور فكتب عامل مصر الى الخليفة المقتدر يعلم الخليفة بذلك ثم سار زيادة الله الى الرقة فامره المقتدر بالعود الى المغرب لقتال الشيعى المذكور وكتب الى النوشرى عامله بامداد زيادة الله فقدم الى مصر فطله النوشرى هذا وزيادة الله ملازم للهو وسماع الغناء وشرب الخمر وطال مقامه فتفرق أصحابه ومرض وآيس من النوشرى فسار ليقيم بالقدس فمات ودفن بالرملة ولم يبق من بنى الاغلب أحد وكانت مدة ملكهم ١١٢ سنة فكان زيادة الله هو آخر ملوك بنى الاغلب وابتداء ملك العلويين وفى أيامه بعث المهدى جيشا مع ابنه أبى القاسم محمد الى ديار مصر فاستولى على الاسكندرية والفيوم فبعث اليه المقتدر جيشا فاجلاهم فعادوا الى المغرب وفى سنة ٣٠٢ هـ سنة ٩١٣ م أرسل المهدى ثانيا جيشا مقدمه جياشه بطريق البحر فاستولى على الاسكندرية فارسل المقتدر جيشا مقدمه مؤنس الخادم فانهزمت المغاربة وقتل خلق كثير منهم وعادوا الى بلادهم وفى سنة ٣٠٦ هـ سنة ٩١٥ م كان العامل تكين الذى فى أيامه جهز المهدى جيشا مع ابنه القائم الى مصر فوصل الاسكندرية واستولى عليها ثم وصل الجيزة وملك جزأ من الصعيد وبعث المقتدر مؤنسا الخادم وجرت بينه وبين القائم وقعات ووصل الى الاسكندرية من جهة المغرب مراكب حربية للقائم فارسل المقتدر مراكب من طرسوس لقتال مراكب القائم فاقتتلت

العساكر

العساكر في البر فانهزمت عساكر المغرب وعادوا الى أفريقا وفي سنة ٣١٢ هـ سنة ٩٢٣ م قبض المقتدر على وزيره ابن الفرات وقتله هو وابنه المحسن وفي سنة ٣١٩ هـ سنة ٩٣١ م أرسل المقتدر عسكر القتال مرداويج فالتقوا بنواحي همدان فانهزم عسكر الخليفة فارسل مرداويج الى أصفهان فملكها وفي سنة ٣٢٠ هـ سنة ٩٣٢ م قتل المقتدر لوحشة جرت بينه وبين مؤنس الخادم فتوجه مؤنس الى الموصل فكتب أهلها الى بني حمدان بصد مؤنس عن الموصل وجرى بينهم قتال شديد واستولى مؤنس على الموصل وأتى بجيش وحارب المقتدر فانهزم الخليفة وقتل

﴿خلافة القاهر﴾

وهو محمد بن المعتضد فحصلت وحشة أيضا بينه وبين مؤنس فعمل الحيلة على قبض مؤنس وقتله وفي أيامه استولى عماد الدولة بن بويه على شيراز وذلك سنة ٣٢٣ هـ سنة ٩٣٤ م وأصل بويه المذكور رجل متوسط الحال بالديلم وكان له ثلاثة أولاد عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة وكانوا في خدمة (ما كان الديلمي) فلما قهره مرداويج المسالف الذكر دخلوا في خدمته وتركوا (ما كان) فاحسن اليهم مرداويج وقلد عماد الدولة بن بويه كرج فقوى وكثر جموعه فارسل مرداويج جماعة للقبض عليه فقابلهم بالترحاب واستمال عقولهم حتى وجبت عليهم طاعته فلما بلغ ذلك مرداويج اغتاظ ثم قصد ابن بويه اصفهان فارسل مرداويج الى ابن بويه يلاطفه وابن بويه يعتذر ثم استولى أيضا على ارجان وأرسل ابن بويه المذكور أخاه ركن الدولة الى (كازرون) وغيرها من أعمال فارس فاستخرج أموالها وامتد ملك بني بويه من بحيرة الخزر الى العراق العجمي رجعنا الى ما نحن بصدده وفي سنة ٣٢٢ هـ الموافقة سنة ٩٣٤ م خلع القاهر وبويع الراضي بالله فولى مصر لمحمد بن طغج بن جف السالف الذكر ولما تولى على مصر كان

العامل عليها أحمد بن كيغلغ فأجبره على الرحيل الى بلاد المغرب اذ قد ظهرت دولة العلويين فالتجأ ابن كيغلغ المذكور الى القائم بامر الله وأقام هناك وذلك سنة ٣٢٣ هـ الموافقة سنة ٩٣٤ م ولما توطدت صولته في مصر خرج عن طاعة الراضي بالله ولقب نفسه بالاخشيد (آق شيد أي شمس بيضاء) ودخلت مصر تحت حكم الدولة الاخشيدية

﴿الفصل الثامن﴾

الدولة الاخشيدية

﴿محمد الاخشيد﴾

تولى محمد الاخشيد نائبا على مصر من جهة الراضي بالله وقبل ذلك تولى مدينة الرملة من قبل المقتدر وأقام بها الى سنة ٣١٨ ثم جاءته أوامر الخليفة بولايته على دمشق واستمر واليا عليها الى خلافة الراضي بالله فأمره بالولاية على مصر والشام واستقر بها فطمع في ثروتها سنة ٣٢٣ هـ الموافقة سنة ٩٣٥ م ثم جرد له الراضي جيشا تحت قيادة أبي الفتح بن جعفر لخلع الاخشيد فوقع بينه وبين أبي الفتح عدة وقائع انتهت بهزيمة أبي الفتح فصار الاخشيد من وقتئذ سلطانا وفي سنة ٣٢٨ هـ الموافقة سنة ٩٤٠ م استولى ابن راتق على الشام وطرد بدر نائب الاخشيد وبلغ العريش يريد مصر فارسل اليه الاخشيد جيشا مع كافور أحد مواليه فانهزم كافور فخرج اليه الاخشيد بنفسه وجرى قتال شديد آخره انهزم ابن راتق الى دمشق ثم جهز الاخشيد الى ابن راتق الجيوش مع أخيه واقتتلوا فانهزم عسكر الاخشيد وقتل أخوه فارسل الى ابن راتق يعزي الاخشيد في أخيه ويقول انه لم يقتل بامري وأرسل ولده مزاحم وقال ان أجيب فاقتل ولدي به فخلع الاخشيد على مزاحم المذكور وأعاده الى أبيه واستقرت مصر للاخشيد والشام لابن راتق وفي سنة ٣٣٠ هـ الموافقة سنة ٩٤٢ م استولى ابن

البريدى على بغداد وهرب ابن راتق والخليفة المتقى الى جهة الموصل
ونهب ابن البريدى بغداد ولما وصل المتقى وابن راتق تكريت كاتبا
ناصر الدولة بن حمدان ليستنجد به وقدما الموصل فخرج عنها ناصر الدولة
الى الجانب الآخر فارسل المتقى اليه ابنه المنصور وابن راتق فاكرمهما
ناصر الدولة ولما قاما لينصرفا أمر ناصر الدولة أصحابه فقتلوا ابن راتق ثم
سار ابن أحمدان الى المتقى فخلع عليه الخليفة المذكور وجعله أمير الامراء
وخلع على أخيه أبى الحسن على ولقبه سيف الدولة ثم سار المتقى وناصر
الدولة الى بغداد فهرب عنها ابن البريدى ودخل الخليفة واستقر بها ولما
بلغ الاخشيد قتل ابن راتق سار الى الشام واستولى عليها وضمها الى الديار
المصرية ومات الاخشيد بالقدس سنة ٣٣٤ هـ الموافقة سنة ٩٤٦ م
وتولى بعده ابنه أبو القاسم الملقب بابى الحور واستولى على الامر كافور
الاخشيدى لصغر سنه ثم سار الى مصر بعد موت مولاه فسار سيف
الدولة الى دمشق وملكها فتوجه كافور الى دمشق وأخرج سيف الدولة
ورجع كافور الى مصر بعد ان ولى عليها بدر الاخشيد فاقام سنة ثم ولاها
لابى المظفر بن طغج وسيف الدولة حلب وفى مدة أبى القاسم ولد الاخشيد
هجم ملك النوبة على مصر وزحف لغاية اصوان فقام كافور وهزمه
واقتفى أثره لغاية قلعة ابريم التى هى على بعد ٥٠ فرسخ من اصوان
ولما مات أبو القاسم أخلفه أبو الحسن أخيه وفى مدته حصل قحط بمصر
استمر تسع سنين وعند وفاته انتقلت الشوكة الى كافور وفى عصره
استولى عسكر الفاطميين على الفيوم وهجموا عليه ونزعوا منه أغلب
بلاد الصعيد ومات سنة ٩٦٨ م الموافقة سنة ٣٥٧ هـ وكان كافور
أحد أرقاء محمد الاخشيد فلما اشتهر بالسياسة والعدالة قلده مولاه قيادة
الجيوش المصرية ومدحه المتنبى الشاعر المشهور ثم هجاه وهرب الى
بلاد العجم ومات هناك وتوفى كافور بعد ان تصرف سنتين وتولى بعده
أبو الفوارس سنة واحدة وبه انتهت دولتهم كما سيأتى ومدة حكمهم

﴿الفصل التاسع﴾

﴿ابتداء ملك العلويين أو الفاطميين﴾

قد علمنا فيما سبق ان زيادة الله آخر ملوك بني الاغلب وفد على مصر زمن الخليفة المقتدر بسبب ظهور شيعة العلويين لان الدعاة بالمغرب كانوا يدعون الى محمد والد المهدى وكان بمدينة سلمية (بالشرق) فلما توفى أوصى بالخلافة بعده لابنه عبيد الله المهدى وأطلعه على حال الدعاة وكان ذلك فى أيام الخليفة المتقى فطلب الخليفة عبيد الله فهرب هو وابنه أبو القاسم الملقب بالقائم وتوجها نحو المغرب ثم ورد الى عيسى النوشرى عامل مصر كتاب الخليفة بطلب المهدى وابنه فجدّ المهدى وقدم طرابلس الغرب وكان قبل ذلك بقليل قدم مصر زيادة الله الاغلبى كما تقدم ذلك فأرسل الى اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة بالقبض على عبيد الله فهاداه المهدى على انه تاجر فارسل اليه زيادة الله يقول له ان هذا هو الذى يدعو أبو عبد الله الشيعى اليه فخبره ابن مدرار بسجلماسة (من أعمال طرابلس الغرب) فقدم الشيعى وحاربه فهرب ابن مدرار ودخل الشيعى المذكور سجلماسة وأطلق المهدى وابنه من الحبس ثم جدّ فى طلب اليسع بن مدرار وأحضروه بين يدى المهدى فامر بقتله وسار حتى وصل الى (رقاده) فدوّن الدواوين وبعث العمال الى سائر بلاد المغرب وزال بالمهدى ملك بنى الاغلب وبنى مدرار وبنى رستم من (تاهرت) وباشر المهدى الامور بنفسه ولم يبق للشيعى ولا لاخيه أبى العباس حكم فحقدا عليه فطلبهما وقتلهما سنة ٢٩٦ هـ الموافقة سنة ٩٠٨ م وبنى المهدى مدينة مهدية (بتونس) وجعلها دار مملكته وقاعدة سلطنته وذلك سنة ٣٠٣ هـ الموافقة سنة ٩١٤ م والفاطميون ينسبون أنفسهم الى فاطمة الزهراء كريمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء هذه الدولة سنة ٢٩٧ هـ الموافقة سنة ٩٠٩ م وانقراضها

سنة

سنة ٥٩٧ هـ الموافقة سنة ١١٧١ م وعدد خلفائهما أربعة عشر ثلاثة منهم حكموا بلاد المغرب وهم عبيد الله المهدى وابنه القاسم الملقب بالقائم بامر الله ثم ابنه المنصور بالله واحدى عشرة حكموا بمصر أولهم المعزلدين الله

﴿خلافة المعزلدين الله﴾

وكان شهما شجاعا اتسعت مملكته وكثرت عساكره وكان صاحب خيرات ولما مات كافور الاخشيد اضطربت أحوال مصر فسير اليها جوهر الصقلى غلام والده المنصور (وسمى بالصقلى نسبة الى صقلية لانه رومى الاصل) فى جيش عظيم الى الديار المصرية فاستولى عليها بلا حرب ولا قتال وعسكر فى المحل المعروف الآن بالجامع الازهر وخان الخليلى وبيت القاضى وأقيمت الدعوة للمعز بالجامع العتيق وكان ذلك فى سنة ١٥٨ ثم قدم جوهر الى جامع ابن طولون وأمر فاذن فيه بحى على خير العمل ولما استقر جوهر بمصر شرع فى بناء القاهرة وسميت القاهرة لرمى أحجارها عند توسط المريخ المعروف عند أرباب الفلك من الاسلام باسم القاهر وسميت الفسطاط بمصر القديمة وحول الى القاهرة كرسى النيابة بعد ان كان بالقطائع ثم أمر ببناء الجامع الازهر سنة ٣٥٩ هـ أى سنة ٩٦٩ م وأتم سنة ٣٦١ هـ أى سنة ٩٧١ م وجعل جوهر حارة زويلة وغيرها وما جاورها للعساكر القادمة مع المعز من المغرب وشيد سراى القصر العينى للخليفة وسير جمعا كثيرا مع جعفر بن فلاح الى الشام فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبد الله ابن طغج وغيره فاستولى عليها ثم سار الى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله فسار عنها الى دمشق فقاتلوه فظفر بهم وملك دمشق ونهب بعضها وأقام الخطبة للمعز وذلك سنة ٣٥٩ هـ وقطعت الخطبة العباسية وجرت فى أثناء هذه السنة بعد الخطبة العلوية فتنة بين أهل دمشق وجعفر بن فلاح ووقع بينهم حروب وقطعت الخطبة

العلوية ثم استظهر ابن فلاح واستقرت دمشق للمعز وفى سنة ٣٦٠ هـ أى سنة ٩٧٠ م وصلت القرامطة الى دمشق وكبسوا جعفر بن فلاح نائب المعز خارج دمشق وقتلوه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها ثم ملكوا الرملة واجتمع اليهم خلق من الاخشيدية فقصدوا مصر ونزلوا بعين شمس وجرت بينهم وبين المغاربة حرب فانتصرت القرامطة ثم انتصرت المغاربة فعادت القرامطة الى الشام وكان رئيس القرامطة وقتئذ الحسن بن أحمد بن بهرام وفى آخر سنة ٣٦١ هـ سار المعز من المهدية واستعمل عليها يوسف بن بلكين بن زيرى وعلى صقلية الحسن ابن على وعلى طرابلس الغرب عبد الله بن يخلف الكانى ولما وصل الى برقة كان معه محمد بن هانئ فقتل ولم يظهر الذى قتله وكان شاعرا عند المغاربة بمقام المتنبى وقد اتسع فى مدح المعز حتى كفر فما قاله

ماشئت لا ماشاءت الاقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

وسار حتى وصل الاسكندرية فأتاه أهلها وأعيانها فاكرمهم ودخل القاهرة فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ أى سنة ٩٧١ م وحصل بينه وبين القرامطة بالقرب من عين شمس (المطرية) حروب وكان رئيسهم الحسن بن أحمد بن الاحسائى فلما رأى المعز كثرت جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحير فى أمره ولم يقدم على اخراج عساكره لقتاله فاستشار أهل الرأى من نصحائه فقالوا الاحيلة غير السعى فى تفريق كلمتهم والقاء الخلف بينهم ففعل المعز ذلك بواسطة ابن الجراح أحد قوادهم حيث بزله مقدارا من الدراهم فانهزمت القرامطة وتبعتهم عساكر المعز وأخذ جماعة منهم وأمر بضرب عنقهم ثم اقتفوا أثرهم الى بلدهم الاحساء والقطيف وهى بالقرب من الخليج الفارسى شرقى بلاد العرب

وفى سنة ٣٦٤ هـ سنة ٩٧٤ م لما انهزم أفتكين مولى معز الدولة أمير الترك من بختيار صاحب (واسط) سار الى حمص ثم الى دمشق وكان العامل عليها من طرف المعز (زبان الخادم) فاتفق أفتكين مع أهل

دمشق

دمشق على اخراج (زبان) وقطعوا خطبة المعز ولوا أفتكين فعزم المعز على قتاله فاتفق موت المعز وذلك سنة ٣٦٥ هـ سنة ٩٧٥ م

﴿خلافة العزيز بالله﴾

ولما مات أبوه جهز القائد جوهر لقتال أفتكين بدمشق فاستنجد بالقرامطة فلما قربوا رحل جوهر الى جهة مصر فتبعه أفتكين والقرامطة وتبعهم خلق فلحقوا جوهر قرب الرملة فدخل عسقلان ضعفا عنهم فحصروه فعاين الهلاك هو وأصحابه من الجوع فبذل لأفتكين أموالا ليطلقه فرحل أفتكين عنه وسار جوهر الى مصر وأعلم العزيز بالحالة فسار العزيز بنفسه الى الشام ووصل الرملة فقاتله أفتكين والقرامطة فانتصر العزيز وقتل وأسر كثيرا وجعل لمن يحضر أفتكين مائة ألف دينار ودخل أفتكين في هزيمته بيت صاحبه مفرج ابن دغفل الطائي فأسره مفرج في بيته وأعلم العزيز به فأعطاه الجعل وأحضر أفتكين فاطلقه العزيز وأطاق أصحابه وأنعم عليه وصحبه الى مصر وبقي بمصر معظما حتى مات بها وفي سنة ٣٧٢ هـ بعث العزيز بالله من مصر جيشا مع بكتكين الى الشام فوصل فلسطين وقد استولى عليها مفرج بن الجراح فاقتتلوا وانهزم ابن الجراح ثم سار بكتكين الى دمشق فقاتله قسام المتولي عليها فغلبه بكتكين وملك دمشق وأمسك قساما وأرسله الى العزيز فاستقر بدمشق وزالت منها الفتن وكان العزيز مولعا بالصيد ومات ببلبيس سنة ٣٨٦ هـ أي سنة ٩٩٦ م وتولى بعده ابنه الحاكم وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا لم يل مصر بعد فرعون أشر منه ورام ان يدعي الالوهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان يقوموا اجلالا لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك في سائر ممالكه حتى الحرمين الشريفين وأراد ان يفعل الفاحشة بأخته فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر في النجوم مثل عادته فأتاه عبدان فقتلاه بالقرب من حلوان وحملاه الى دار أخته ليلا

فدفنته فى دارها سنة ٤١١ هـ سنة ١٠٢١ م وهو الذى بنى الجامع المعروف الآن بجامع الحاكم بالقاهرة وتولى بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وكانت أفعاله جميعها تقرب من أفعال أبيه ومات سنة ٤٢٧ هـ أى سنة ١٠٣٦ م

﴿خلافة المستنصر بالله معد بن الظاهر﴾

تولى بعد موت أبيه سنة ١٠٣٦ م وأقام حاكما مدة ستين سنة ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك فى الاسلام قبله وفى مدته قطع المعز بن باديس بالمهدية خطبة العلويين وخطب للقائم بامر الله العباسى فجرد عليه الجيوش فلاقاهم ومعه ثلاثين ألف فارس فانهزم ودخل القيروان مهزوما ثم استولت جيوش المستنصر على القيروان ففر هاربا الى المهدية ونهبوها وفى سنة ٤٤٩ هـ سنة ١٠٥٧ م قبض المستنصر بمصر على وزيره اليازورى لما وجد عنده مكاتبات من بغداد وكان قبل توليته الوزارة قاضيا بالرملة

وفى أيامه سار أرسلان البساسيرى لاقامة الدعوة للمستنصر بالعراق وكان طغرلبك قد ترك بغداد واقتفى أثر أخيه ابراهيم نيال الى همدان حيث كان خرج عن طاعته مرارا فلما خرج عليه هذه السنة أسره طغرلبك وخنقه فانتهز الفرصة عند غياب طغرلبك عن بغداد ودخلها البساسيرى ومعه قريش بن بدران العقيلى ومعه مائتى فارس وأربعمائة غلام وخطب للمستنصر بجامع المنصور وأذن بحى على خير العمل وقطع من الخطبة اسم الخليفة القائم بامر الله العباسى ثم خطب للمستنصر أيضا بجامع الرصافة وجرى بينه وبين مخالفيه حروب ثم نزل القائم بامر الله وأمير الامراء الى قريش وسار امعه باتفاق منه فارسل البساسيرى يذكر قريشا بما عاهده عليه من المشاركة فى الامر ثم اتفقا على أن يتسلم البساسيرى أمر الامراء لانه عدوه وبقى الخليفة عند قريش وذهبت دار الخلافة ثم سلم قريش الخليفة لابن عمه مهاوش فسار مهاوش والخليفة

فى

فى ٥ ودج الى حديثة عانة فنزلا بها وسار أصحاب الخليفة الى طغرلبك فعاد طغرلبك مع جيشه لقتال البساسيرى فهزمه وأصحابه وقتله وبعث برأسه الى الخليفة وكان البساسيرى مملوك بهاء الدولة بن بويه

وفى سنة ٤٥٤ ﻫ أى سنة ١٠٦٢ م حصلت فتنة بين الاتراك والعبيد كانت سببا فى خراب الاقاليم المصرية وسببها ان أحد الاتراك قتل عبدا وهو سكران فاجتمعت العبيد وقتلوه وبلغ ذلك الاتراك فاجتمعوا على مقاتلة العبيد وتقابل الفريقان فى كوم الشريك (بمديرية البحيرة) وحصلت وقعة انهزم فيها فرقة العبيد فشق ذلك على والده المستنصر حيث انها قد كانت السبب فى كثرت جموعهم بمصر بشرائهم حتى بلغ تعدادهم نحو خمسين ألف وقد أمدتهم فى تلك الوقعة سرا وكانت قد تحكمت فى الدولة ونفذت كلمتها وحثت على قتال الاتراك فوقعت الفتن ثانيا بين الطرفين آل أمرها الى وقعة بالقرب من الجيزة وانهزم فيها العبيد أيضا وفروا الى الصعيد وذلك سنة ٤٥٩ ﻫ سنة ١٠٦٦ م فازدادت قوة الاتراك بمصر واستخف رئيسهم ناصر الدولة حفيد ناصر الدولة بن حمدان بالخليفة وصاروا يطلبون منه أموالا حتى نفد جميع ما فى الخزينة والتزم ببيع ما عنده وبعد ذلك سار ناصر الدولة الى الصعيد لقتال العبيد فقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى القاهرة واستبد بسلطنة مصر حتى دخلت سنة ٤٦١ ﻫ فثقل مكانه على الاتراك فاجتمعوا جميعا على عزله فأمره الخليفة بالخروج من القاهرة فخرج الى الجيزة ثم عاد ليلا ودخل دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه فقام لنصرته وحصلت وقعة عظيمة بينه وبين عسكر الخليفة فانكسر فيها ناصر الدولة وفر الى البحيرة وكثر النهب واشتد الغلاء حتى أكل الناس الجيف وقطعت الطرق وكثر القتل فيها الى ان دخلت سنة ٤٦٣ ﻫ أى سنة ١٠٦٩ م فجهز الخليفة جيشا لقتال ناصر الدولة فانهزمت عسكر الخليفة واستولى ناصر الدولة على الوجه البحرى وخطب باسم

الخليفة القائم بامر الله العباسي ونهب أكثر الوجه البحري فعظم البلاء واشتد القحط وكثرت الموتى فاضطر الخليفة الى مصالحة ناصر الدولة بمال يحمل اليه وبعد قليل وقع الاختلاف بينهما فأتى ناصر الدولة وحاصر القاهرة ونهبها ورجع الى البحيرة ومكث هذا الغلاء سبع سنين وخربت الفسطاط والقطائع ولما رأى الخليفة ضعفه واستيلاء ناصر الدولة على مصر والعبيد على الصعيد كتب الى أمير الجيوش محمود بدر الجمالي الارمني واستدعاه من عكا لقمع أرباب الفتن وفي ذلك الوقت فطن لامور ناصر الدولة حموه المدعو ايلدكوز فاتفق هو وجماعة على قتله وقصدوا داره فخرج اليهم مطمئنا بقوته فضربوه بسيوفهم حتى قتلوه وأخذوا رأسه وقتلوا أخاه فخر العرب وقتلوا جميع بني حمدان بمصر وأتى بدر الجمالي لما استنجده الخليفة من الشام الى دمياط وانحدر جهة الجنوب وسار حتى وصل قليوب فامر أمير الجيوش بدر الجمالي أمراء الترك بالقبض على ايلدكوز فاجابوه لطلبه وبعد ذلك عزمهم في وليمة وقتلهم جميعا ومن ثم صار بدر الجمالي مهابا محترما وصارت له الكلمة النافذة على مصر فقلده الخليفة بأمير الجيوش وأخذ في قمع أرباب الفتن بعد ان قتل ايلدكوز وشرع في احياء التمدن ونشر العلوم التي اندثرت مدة تلك الحروب الداخلية ومنع الضرائب السنوية مدة ثلاث سنين عن سكان المدن والارياف لينصلح بذلك حال الاهالي ولم تحصل بمصر أمور مهمة في مدته سوى اغارة أمة التركمان تحت قيادة (اتزيز) الذي استولى على القدس ودخل مصر ووصل الى القاهرة فقام أمير الجيوش وطردهم ومزقهم كل ممزق واقتفى أثرهم الى ان أدخلهم أرض الشام وهناك مات رئيسهم (اتزيز) ومات أمير الجيوش في سن الثمانين وحكم مصر مدة ٢٠ سنة ونشر العلوم وأوسع نطاق التجارة والزراعة والفنون وله آثار عظيمة باقية الى الآن منها باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر ومات المستنصر سنة ١٠٩٤ م أي سنة ٤٨٧ هـ وكان ضعيف

الرأي

الرأى متكاسل ومن ثم قاسى أهوالا جسيمة مع ان آخر حكمه عادت مصر لبهجتها القديمة أى لما كانت عليه زمن الفراعنة ثم أخذت بعده دولة الفواطم فى الاضمحلال شيأ فشيأ

وتولى بعده ابنه أحمد ولقب نفسه بالمستعلى وكان الحكم فى أيامه لوزيره جاهين شاه بن بدر الجمالى ولقب نفسه بالافضل وفتح القدس فى زمن أميرها (أورنك) وابنه (اكساك) وبعد ذلك بقليل حصلت حرب الصليب الاول تحت قيادة (جدوفروادو بويون) فارسل الافضل جيشا مع سعد الدولة فهزم أصحاب الصليب فى عسقلان وهو الذى بنى الجيوشى فوق المقطم ومات المستعلى بعد ذلك بسنتين وصار الافضل وصيا على ابنه المنصور حيث كان صغير السن ولقب بالآمر باحكام الله وفى مدته استولى المسيحيون على أغلب المدن البحرية من الشام كعكا وطرابلس الشام وأرادوا التوجه والهجوم على مصر وذلك سنة ١١٠١ م سنة ٤٩٥ هـ تحت رياسة بودوين الاول ملك القدس الشريف وساروا حتى وصل مدينة الفرما ونهب ما مر به من البلاد ثم اعتراه مرض فمات بالعريش فى محل يعرف باسم (رمال بودوين) وقتل الخليفة بعد قليل وخلفه ابن عمه الحافظ لدين الله فأخذ فى اللهو وشرب الخمر وانهمك على اللذات مدة عشرين سنة ثم نقل الخلافة الى ابنه اسمعيل ولقب الظافر باعداء الله فكانت أفعاله كأفعال أبيه ثم أهان وزيره عباس فقتله وولى الخلافة الى الفائز بنصر الله فحكم ست سنين ومات عباس الوزير ومات الخليفة بعده بقليل فتولى الوزارة بعد عباس طلائع بن رزيك وتولى الخلافة العاضد سنة ١١٦٠ م سنة ٥٥٥ هـ وهو آخر خلفاء الفاطميين وطلائع بن رزيك هو الذى نقل رأسا من عسقلان قيل انها رأس الحسين وبنى عليها المشهد الحسينى المشهور بالقاهرة وزوج ابنته للخليفة فعظمت شوكته وتكبر وتمرد فقتلوه أعداؤه فاستوزر الخليفة بعده شاور فتغلب عليه درغام فاستشار الى نور الدين محمود بن زنكى

صاحب الموصل فامده نور الدين وأعاده الى وظيفته بالثانى حيث أرسل معه جيشا مع أسد الدين شركوه الكردى وكان معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف فهزم درغام وقتل وعيدت الوزارة الى شاور ولخوفه من غدر نور الدين بن زنكى تعاهد مع (أمورى الاول) ملك القدس فأتى وحاصر مدينة بلبيس فهزمه شركوه وفر أمورى المذكور الى الشام فخلع الخليفة عليه وقلده الوزارة بدل شاور حيث هو الذى أطمع الفرنج فى الاسلام بعد ان قتله واستمر شركوه وزيرا الى ان مات فخلفه صلاح الدين يوسف الكردى وفى أيامه أراد أمورى الاستيلاء على دمياط فخاب أمله بالكلية الجزئية حيث تبعه صلاح الدين الى ان أدخله أرض فلسطين وانتصر عليه بالقرب من مدينة (غزة) وعند رجوعه من هذه الغزوة صدرت اليه أوامر نور الدين بقطع اسم العاضد الفاطمى من الخطبة ورجوع الدعوة الى الخليفة العباسى المستضىء بالله وهو الخليفة الثالث والثلاثون من خلفاء بنى العباس ومات العاضد بعد ذلك بقليل وبه انتهت الدولة الفاطمية وذلك سنة ١١٧١ م سنة ٥٦٧ هـ

الباب العاشر

الدولة الايوبية الكردية

﴿صلاح الدين يوسف بن أيوب﴾

قبل موت الاتابكى نور الدين لم يكن معتبرا الا كقائد أو عامل الاتابكى المذكور وعند موت نور الدين الشهيد سنة ٥٧٠ هـ أى سنة ١١٧٥ م أشهر لواء الاستقلال وصار سلطانا وفى حياة نور الدين اجتمع السودانيون فى جمع كثير قاصدين ملك بلاد مصر وحاصروا مدينة اصوان وقصدوا نهب قراها وكان بها الامير كنز الدولة فبعث يعلم صلاح الدين ويطلب منه المدد فارسل له جزأ من جيشه مع الشجاع البعلبكى فلما وصل الى اصوان وجد السودانيين قد رحلوا عنها بعد ان أخربوا أرضها

فاتبعهم

فاتبعهم الشجاع المذكور وكنز الدولة وحصلت وقعات عظيمة قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع المذكور ثم أنفذ الملك الناصر صلاح الدين أخاه شمس الدولة فى عسكر كثيف الى السودان فوجد السودانيين دخلوا بلاد النوبة فسار قاصدا بلادهم وشحن مراكب كثيرة فى النيل بالعساكر والذخائر وأمرهم بالمسير الى بلاد النوبة وساروا حتى وصلوا ابريم وافتتحوها بعد حصار ثلاثة أيام وغنم منها أموالا عظيمة ثم رجع شمس الدولة الى اصوان وذلك سنة ٥٦٨ هـ أى سنة ١١٧٣ م بعد ان سلم قلعة ابريم الى جماعة من الاكراد تحت قيادة ابراهيم الكردى ثم خرج ابراهيم قاصدا جزيرة زبدان ففرق ابراهيم وجماعة من أصحابه ورجع الباقى الى قلعتهم ابريم ثم أخلوها بعد ذلك بسنتين ولما مات نور الدين صاحب الموصل سار صلاح الدين الى الشام فحاصر كثيرا من مدنها واستباح أهلها وفتح أرض الجزيرة وهزم عز الدين صاحب الموصل واستولى عليها وعاد الى مصر وأمر ببناء القلعة الموجودة الآن بالقاهرة وكان محلها يعرف وقتئذ بقصر الهواء وقد ذكر العالم المدقق والجهبذ المحقق سعادة على مبارك باشا فى خططه مانصه بنى قلعة الجبل لتكون له معقلا وحصنا يعتصم به من أعدائه فانه كان يحذر من شيعة الفاطميين فاختار لها المحل الذى بنيت فيه وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وبنى سور القاهرة فى سنة ٥٧٢ هـ وهدم ماهنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت بالجيزة وكانت كثيرة العدد ونقل أحجارها وبنى بها السور وبنى قناطر الجيزة لاجل سهولة نقل الاحجار وقصد صلاح الدين ان يكون السور محيطا بالقاهرة والقلعة فمات قبل أن يتم فاهمل العمل الى ان كانت سلطنة الملك الكامل انتهى

وعاد صلاح الدين الى الشام بجيش آخر وفتح بيت المقدس بعد وقعة عظيمة بالقرب من مدينة طبرية سنة ١١٨٧ م سنة ٥٨٣ هـ

أسر فيها ملك بيت المقدس (جي لوزينيان) وسجنه ومعه جماعة من رؤساء المعابد والمضايف وفتح كثيرا من البلاد الشامية التي كانت بيد الافرنج وله حروب كثيرة مع الصليبيين سيأتي ذكرها وكان شجاعا كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا ومات بقلعة دمشق سنة ٥٨٩ هـ أي سنة ١١٩٣ م ودفن بشمال الجامع الاموي

﴿الملك العزيز بن صلاح الدين﴾

ولما مات صلاح الدين قام بالامر بعده ابنه العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان وكان ينوب عن أبيه بمصر في حياته ولما قبض على زمام مملكة أبيه حصلت حروب بينه وبين أخيه الملك الافضل استولى فيها على دمشق لوحشة جرت بينهما وكان العزيز حسن السيرة حميد الاخلاق وانما كان ضعيف الرأي حتى ان جماعة من أمراء مملكته وأعيانها أشاروا عليه بهدم الاهرام الكبيرة لزعمهم ان بها دفائن وكنوزا فاصدر أمرا بهدمها فجمعوا لذلك العمال وصناع اللغم وجعل عليهم بعض الامراء وأقاموا على ذلك ثمانية أشهر وكان لا يمكنهم الاخلاع حجر أو حجرين في اليوم فكف عن هذا الامر بعد ان صرف عليه أموالا جسيمة وكان ذلك سنة ٥٩٣ هـ سنة ١١٩٦ م وفي سنة ٥٩٤ هـ سنة ١١٩٨ م منع ما كان يحصل في موسم خليج القاهرة وكان الناس قد اعتادوا على ذلك من القديم فعظم الامر عليهم وحصل الاضطراب حتى هموا بخلعه والخروج عن طاعته لولا ان بلغهم خبر موته وذلك سنة ٥٩٥ هـ سنة ١١٩٩ م ودفن بتربة الامام الشافعي

﴿الملك المنصور بن الملك العزيز﴾

وبموته اشتدت الفتن لانه عهد لابنه الملك المنصور وعمره تسع سنين فقام بامور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدي (عبد خصي) الاتابكي فاختلف عليه الامراء وكاتبوا عمه الملك الافضل على فقدم من (صرخد) واستولى على الامور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وولد سيدي أحمد البدوي

رضى الله عنه فى ذلك الوقت أى سنة ٥٩٦ هـ سنة ١٢٠٠ م وأراد الافضل أخذ دمشق من عمه الملك العادل فجهز الجيوش اليها وحصل بينهما وقائع تمت بهزيمة الافضل فدخل العادل مصر وأعاد الافضل الى صرخد وقام بكفالة المنصور ثم خلعه وحبسه بالقاهرة حتى مات واستبد بسلطنة مصر وبلاد الشام وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها وأخذ فى تدبير مملكته واعلاء شأنها بمحاربة أعدائها والدفاع عنها وكان جسورا صبورا على الاهوال حليما كريما جزيل العطاء ومات سنة ٦١٥ هـ سنة ١٢١٨ م

﴿الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد﴾

تولى بعد موت أبيه العادل وهو الذى أتم بناء قلعة الجبل وأنشأ بها الدور السلطانية فى أثناء نيابته عن أبيه سنة ٦٠٤ هـ ولما مات أبوه انتقل من دار الوزارة الكبرى بالدرب الاصفر اليها وهو أول من سكن القلعة وجعلها منزلا للرسل ونقل سوق الخيل الى الرميلة فأخذت الناس من وقتئذ فى تعمير ما حولها من الدرب الاحمر والحجر وجهة القطائع والصليبة بعد ان كان بعضها بساتين وبعضها مقابر وعمر القبة على ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه ومات سنة ٦٣٥ هـ ودفن بدمشق

﴿سيف الدين أبو بكر﴾

ولما مات الكامل قام بالامر بعده ابنه سيف الدين ولقب بالملك العادل الاصغر فوقع بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين منازعات انتهت بخنقه بيد الامراء لكونهم استوحشوا منه بسبب انهماكه على اللهو واشتغاله بالشهوات وكان موته سنة ٦٣٧ هـ ودفن عند الامام الشافعى

﴿الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل﴾

تولى بعد موت أخيه سيف الدين وفى مدته سنة ٦٤٧ هـ أخذ الافرنج دمياط تحت قيادة لويز التاسع ملك فرنسا وهو المعروف عند مؤرخى الاسلام باسم (افرنيس) فمات بالمنصورة فأخفت زوجته شجرة الدر

موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل الى القاهرة ودفن هنالك وأرسلت الى ابنه (توران شاه) فحضر وكان بديار بكر فحارب الفرنج وأسر ملكهم لويز التاسع السالف الذكر في واقعة فرسكور وسجنه بالمنصورة بمحل يعرف بدار لقمان ووكل بحفظه طواشي يقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر وقتل (توران شاه) المذكور بعدان حكم شهرين فقامت بالامر بعده شجرة الدر وكانت تحسن التدبير عن زوجها وجعلت عز الدين ايبك التركماني نائبا عنها وأطلقت لويز من السجن بعد اتفاق بينها وبين الفرنج وسلموا دمياط الى المصريين ودفعوا أموالا جسيمة وتركوها بعدان أقامت بيدهم احدى عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها المذكور وبعد ذلك اتفق الامراء على تولية الملك الاشرف موسى ابن الملك الصالح وأشركوا اسمه مع شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ هـ سنة ١٢٥١ م وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على مصر وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لخدمته وأسكنهم بالقلعة التي بالروضة وكان لهم على شطوط النيل مراكب مشحونة بالسلاح ومهمات الحرب ولهذا كانوا يسمون المماليك البحرية

وقبل التكلم على هذه الدولة أي دولة المماليك البحرية نذكر طرفا من أخبار السلجوقيين الذين بظهورهم ضعفت خلفاء بني العباس وزالت بالكلية والجزئية باغارة المغول

الباب الحادي عشر

﴿السلجوقيين وحروب الصليب﴾

كان دقاق أبو سلجوق من مقدمي الترك ونشأ سلجوق وعليه أمارات النجابة فقدمه بيغو ملك الترك ثم خاف من بيغو فدخل وكل من أطاعه في دين الاسلام لسعادته وأقام بنواحي جند (بفتح فسكون) قرية وراء بخارى وصار يقاتل كفار الترك وتوفي سلجوق المذكور بجند وعمره ١٠٧ سنة

سنة واستمر أولاده أرسلان وميكائيل وموسى فى غزو الترك حتى قتل ميكائيل فى الغزوات وخلف أربعة بيغو وطغرلبك وجعفر وبك داود وابراهيم نيال قربوا من بخارى فأساءهم أميرها فالتجؤا الى بغراخان ملك التركستان واتفق طغرلبك وأخوه داود ان لا يجتمعا ببغراخان حذرا من غدره فتقدم اليه طغرلبك فقبض عليه ملك التركستان وسجنه ولم يمكنه القبض على داود فارسل بغراجيش القتال داود فانهزم عسكر بغراوسار داود وأخرج أخاه من السجن وأقاما بجند حتى انقرضت الدولة السامانية وملك ايلك خان بخارى فعظم عنده أرسلان بن سلجوق ثم سار ايلك خان وجعل عامله على بخارى على تكين ومعه أرسلان حتى جاء السلطان محمود بن سبكتكين وقصد سنجار فهرب على المذكور من بخارى وكاتب أرسلان السلطان محمود فلما دخل بخارى قبض على أرسلان وجماعة السلجوقيين وفرقهم فى نواحى خراسان على خراج يدفعونه اليه فجارت العمال عليهم فانفصل جماعة منهم وساروا الى اذربيجان ومكنوا بها واسمهم هناك الترك الغزية وسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو الى بخارى فقاتلهم عسكر على تكين وأخيرا استمرت الحروب بين طغرلبك واخوته وبين مسعود ابن السلطان محمود انتهت بهزيمة مسعود واستولى السلجوقيون على خراسان وخطب لهم على المنابر فى آخر سنة ٤٣١ هـ واستمر طغرلبك فى فتوحاته الى ان قدم الى العراق ونزل بحلوان فعظم الارجاف ببغداد وبذل قواده له الطاعة والخطبة باذن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ثم استأذن طغرلبك فى دخول بغداد فدخلها وقبض أيضا على الملك الرحيم آخر ملوك العراق من بنى بويه واستيلاء طغرلبك على الامور كان سببا فى انحطاط الدولة الاسلامية وانتقال شوكة العربية الى الاتراك الذين كانوا قد دخلوا فى خدمة الدولة منذ قرنين فلما ارتفع شأن طغرلبك ازدادت قوة الاتراك وأشهروا السلاح واستمروا فى الفتوحات الاسلامية التى وقفت بظهور دولة بنى

العباس وهم الذين قاوموا المسيحيين مدة حروب الصليب الا ان نمو التمدن وقف بالبلاد المشرقية وحصل التعصبات والفشل والمصائب الكبيرة التي أهمها اغارة المغول

ولما مات طغرلبك أخلفه ابن أخيه الب أرسلان فاخذ في الغزوات واستولى على سيليسيا التي كان قد أخذها من العرب امبراطور القسطنطينية المدعو (حنازيميسكس) فقهر الامبراطور المعاصر له وهو (ديوجين) وامتد حكم الب أرسلان الى أقصى بلاد العرب ثم توجه لغزو بلاد التركستان فقتل هناك فأخلفه ابنه جلال الدين ملكشاه الذي به ازدادت قوة السلجوقيين فاجتهد في توطيد سطوته وتوسيع مملكته وكان وزيره نظام الملك قد اشتهر بالفضل والكرم كجعفر البرمكي وفي مدته كثرت المدارس والجوامع ببغداد وتجددت الشوارع والى غير ذلك من الاشغال الداخلية وقد بعث جيشا مع وزيره نظام الملك لفتح البلاد ففتح مدينة انطاكية وجملة مدن أخرى من بلاد الجزيرة وطرد الروم وتبعهم الى بوغاز البوسفور وجميع البلاد الممتدة من جبال قوقاز لغاية بلاد أرمينيا ولم يبق للروم سوى المدن البحرية فقط وصارت جميع البلاد من نهر الهندوس لغاية البحر الاحمر وبحر الارخبيل مذعنة الطاعة لملكشاه ولما مات قسمت مملكته بين أولاده الاربعة محمود وبارقيارك وسنجار ومحمد الى أربعة أقسام بعد حروب شديدة حصلت بينهم وهي العجم والقرمان والشام والروم (قبادوسيا) وكان تخت الاخيرة قونيه وتمزقت ممالك ملكشاه واستقل عماله على أقاليمهم فان زنكي الملقب بالاتابكي استقل بالموصل وارتك التركماني تغلب على المقدس وفي مدته قاست النصارى الظلم والجور فلما أتى أحد الحجاج الفرنساويين المدعو بطرس ارميت لزيارة الارض المقدسة وعاين ما هو فيه أثناء جنسه عاد الى فرنسا وقص ما شاهده وكان ذلك سببا للحرب الصليبية الاولى وسميت بهذا الاسم لانه كان يلابس المجاهدين فيها صلبان حمر

من معادن مختلفة

﴿الحرب الاولى﴾

وكانت ركبة غير منتظمة ولم تكن رؤساؤها من أهل الخبرة قاموا من أوروبا سنة ١٠٩٦ م الموافقة سنة ٤٢٦ هـ وساروا على شواطئ نهر الدانوب وأخربوا جزأ عظيما من بلاد المجر والصرب ودمروا كل ما مروا به وعند وصول هؤلاء الاقوام الى القسطنطينية أدخلهم امبراطورها اليكسيوس كومنينوس آسيا الصغرى فلما وصلوا الى مدينة انجورا قام عليهم ملك الروم السلجوقي وهزمهم ومزقهم كل ممزق ولم يعد عليهم شئ من هذه الاغارة الا فقد أرواحهم وفي السنة الثانية أتى جيش أقل عددا من الجيش المتقدم الا انه كثير الجراءة وكان قواده اناسا ذوي شهامة ومهارة وكان الرئيس الاكبر لهذه الركبة هو (جدوفروادو بويون) فاجتاز بوغاز البوسفور وحاصر مدينة نيسيا وأدخلها تحت طاعة الامبراطور السابق الذكر ثم انتصر على الاتراك في وقعة بالقرب من مدينة دوريليا وكانت هذه المدينة مفتاح آسيا الصغرى لكنه هلك منهم جزء عظيم بالامراض والحروب المستمرة بينهم وبين الاتراك فلما وصلوا الى مدينة انطاكية كان في طاقة المسلمين الظفر باعدائهم لولا الشقاق الداخلي بين الرؤساء السلجوقيين وبعد ثمانية شهور من الحصار وقعت هذه المدينة في قبضة الصليبيين فقام أمير الموصل كتبغا لمساعدة تلك المدينة فهزم شر هزيمة سنة ١٠٩٩ م الموافقة سنة ٤٢٩ هـ ومع ان بيت المقدس كان ذا حصون متينة أخذته الصليبيون وصار (جدفروادو بويون) ملكا عليه وذلك بعد موت أخيه بودوين السالف الذكر بسنتين وعاد الصليبيون الى أوروبا بعد ان نظموا بيت المقدس على نسق الممالك الغربية واستمر أهل القدس النصارى في حروب دائمة مع المسلمين حتى اتسعت مملكتهم وفتحوا مدينتي انطاكية وأورفا وجعلوها مدينتين حصينتين لتكونا

لهم ملجأ عند الشدائد

﴿الحرب الثانية﴾

ولما استولى عماد الدين زنكى على مدينة أورفا وطرد منها نواب الصليبيين كان ذلك سببا فى حرب صليبية ثانية تحت قيادة لويز السابع ملك فرنسا وجونراد الثانى امبراطور المانيا فحاصروا دمشق ولكنهم التزموا بالرحيل عنها الان جيوشهم قد هلكت من الحروب والامراض المتكاثرة وقد كانت مملكة بيت المقدس فى حالة سيئة ولما تولى صلاح الدين يوسف ملك مصر واستولى على دمشق وحلب والموصل وهزم ملك بيت المقدس جى لوزنيان ودخل القدس وهدم مملكة بيت المقدس النصرانية كما تقدم شرع فريديريك بربيروس امبراطور ألمانيا وفيليبش ملك فرنسا وريشارد قلب الاسد ملك انجلترا فى حروب صليبية ثالثة فتوفى فريديريك فى الطريق ووصل الصليبيون الى فلسطين واستولوا على عكة وبعد هذا النجاح العظيم عاد أغلب الصليبيين الى أوروبا فاستمر ريشار بنفسه فى قتال المسلمين ولكنه بعد ذلك نزل أرض فلسطين بعد ان تعاهد مع صلاح الدين يوسف سنة ١١٩٢ م الموافقة سنة ٥٨٨ هـ وشرع فى حروب صليبية أخرى فحصلت بعد ذلك بسير وكانت تارة بالشام وتارة بمصر وتارة بتونس ولكن كانت سجالا ودولا بين الطرفين وأخيرا بقيت الشام للمسلمين وانضمت الى مصر فى زمن الايوبيين والمماليك البحرية والجراكسة

﴿اغارة الموغول﴾

وفى سنة ١٢٥٧ م أى فى زمن الخليفة المستعصم الذى هو آخر خلفاء بنى العباس أغار على العراق أمة الموغول فنهبوا الاموال والخزائن الموجودة ببغداد وقتلوا كثيرا من عساكر الخليفة وسبب ذلك ان وزيره ابن العلقمى كان رفضيا عدوا أهل السنة يريد زوال الخلافة من بنى العباس فصار يكاتب امبراطور الموغول (بنى الاصفر) ويخبره بضعف

الخليفة

الخليفة ويعلمه صورة أخذ بغداد ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العساكر فوفر فى مرة عشرين ألف مقاتل وأظهر للخليفة انه وفر من مصاريفهم أموالا جسيمة فى بيت المال فأعجبه رأيه ولكونه يحب المال وجمعه فارسل امبراطور المغول أخاه هلاكو الى العراق ومعه جيش جرار فلما علم الخليفة بذلك استيقظ من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير فى نهر الدجلة وقتل أكثرهم وأسروا الخليفة وأولاده ووقع وزيره لعنة الله عليه فى الذل والهوان الى ان مات وعملت جملة قصائد ببغداد منها

ياعصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ماتم للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

وكان ذلك سنة ١٢٥٨ م الموافقة سنة ٦٥٦ هـ وانتقل بيت الخلافة من بغداد الى مصر فى زمن السلطان بيبرس البندقدارى وكان أولهم المستنصر وصل الى مصر واجتمع بالظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده بعده على هذا المنوال

الباب الثانى عشر فى المماليك البحرية

كان ابتداء هذه الدولة فى سنة ٦٤٨ هـ الموافقة سنة ١٢٥١ م وعدد ملوكها ٢٤ ومدة حكمهم ١٣٦ وأول ملوكها عز الدين ايبك زوج شجرة الدر وسبب استيلائه ان الاشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد فاجتمعت الآراء على اقامة عز الدين بمفرده ولما تسلطن شرع فى تحصيل الاموال واستخدام الرجال واستوزر أبا سعيد هبة الله وكان أول قبطى تولى الوزارة وأوجد مكوسا سماها محقوقا ثم ان عز الدين لما صفى له الوقت وتمكن وكثرت عساكره هربت جماعة البحرية الى الشام مع رؤسائهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الالفى وغيرهما

واستولى على أموالهم وأبطل ما كان قدره وزيره المذكور من المكوس وغيرها وخطب بنت صاحب الموصل فلما سمعت بذلك زوجته شجرة الدر تغيرت عليه فعزم على قتلها ولما بلغها ذلك خافت على نفسها واتفقت مع محسن أغا الجوهرى على قتله فقتلاه فى الحمام فلما بلغ عماليكه قتله دخلوا على شجرة الدر ليقتلوها فسبقتهم زوجته أم ولده وجواريها فضربوها الى ان ماتت وكان المعز ايبك ملكا شجاعا حسن التدبير والسياسة غير انه كان سفاكا للدماء وكانت مدة سلطنته سبع سنوات تقريبا وفى مدته ظهرت النار بالمدينة فاحرقت المسجد النبوى

﴿سيف الدين قطز﴾

ولما قتل عز الدين قام بالامر بعده ابنه نور الدين على وكان سنه عشرة سنين وجعل الامير قطز نائبه وفى أيامه أخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما تقدم وزحفوا على الشام فاستشار الامير قطز الامراء وقبض على الملك ووالدته واخوته واعتقلهم بدمياط ببرج السلسلة بعد ان حكم سنتين فلم يلبث ان جاء الخبر بان هلاكو حفيد جنجيس خان والتتار وصلوا بلاد الشام واستنجد أهلها بملك مصر فسار بجيوشه والتقى مع التتار بعين جالوت فهزمهم وغنم منهم كثيرا وكان بيبرس البندقدارى من أعيان مملكته فساق وراء التتار وطردهم عن بلاده وكان السلطان وعده بحلب ولم يف له فوقعت الوحشة بينهما انتهت بقتل السلطان وتولى بيبرس السلطنة

﴿السلطان بيبرس البندقدارى﴾

وهو من مشاهير ملوك هذه الدولة وهو صاحب الفتوحات العظيمة تولى سنة ٦٥٨ هـ الموافقة سنة ١٢٦٠ أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل ماوصل وكان شجاعا يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم مع الفرنج وفتح بلاد النوبة ودنقله ولم تفتح قبله مع كثرة الغزوات

وجدد

وجدد عمارة الجامع الازهر بعد ان خرب وانقطعت الخطبة منه مدة طويلة فاعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة وبنى الجامع الكبير بالحسينية وأكمل عمارة المسجد النبوى من الحريق وغسل الكعبة بماء الورد بيده وبنى المدرسة تجاه البيمارستان (الناصرى) بالقاهرة وقناطر أبى المنجا جهة قليوب وقنطرة السباع أمام السيدة زينب ولما خرج لقتال التتار استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية للاعانة بها فافتوه الا النووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب عليه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلدة نوى ثم أمر برجوعه فامتنع وقال لا أدخلها والظاهر فيها والظاهر هو أول من رسم موكبى المحمل وكسوة الكعبة بمصر وذلك سنة ٦٧٥ هـ الموافقة لسنة ١٢٧٦ م ومات الظاهر بعد ان حكم ١٧ سنة وكسور وخلف الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة سنة ٦٧٦ هـ الموافقة لسنة ١٦٧٦ م فلم يمكث الا قليلا وخلع سنة ٦٨٧ هـ وخلفه اخوه الملك العادل بدر الدين سلامش فخلع بعد أشهر وبعث به الى الكرد فسجن مع أخيه

﴿الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى﴾

وهو رأس الدولة القلاونية باعتبار مؤرخى الاسلام ولذلك يسمى بابى الملوك ويسمى بالالفى لانه اشترى بالف دينار وأصله من مماليك الصالح نجم الدين أيوب وكان شهما بطلا منصورا فى حروبه وله محاربات ووقائع كثيرة مع التتار وغزى بلاد النوبة سنة ٦٨٧ هـ الموافقة سنة ١٢٨٨ م وكان له فيها فتوحات عظيمة وعاد منها بغنائم جسيمة وله عمارات كثيرة منها المدرسة المنصورية ونقل الى هذه العمارات أعمدة قلعة الروضة ورخامها وقد أكثر من شراء المماليك الجراكسة وأسكنهم بالقلعة حتى بلغ عددهم ستة آلاف وهو الذى بنى بقلعة الجبل دار النيابة فى سنة ٦٨٧ هـ وكانت تجلس بها النواب الى ان هدمها ابنه الناصر محمد وأبطل النيابة والوزارة فبناها بعده الصالح اسمعيل بن الناصر محمد

ابن قلاوون وفى سنة ٦٧٩ مات المنصور قلاوون وأحدث فى أيامه وظيفة كتابة السر واللعب بالرمح فى موكبى المحمل والكسوة وأبطل عدة مكوس

﴿الملك الاشرف صلاح الدين خليل﴾

تولى بعد موت أبيه سنة ٦٩٠ هـ الموافقة سنة ١٢٩١ م وفى أيامه كانت الحروب قائمة بينه وبين الفرنج فى السواحل الشامية فأجلاهم عنها وفتح عكا وهدمها وجملة حصون وبعد عودته توجه الى قوص ومن هناك سافر الى اليمن والى الكرك ثم عاد الى مصر وفى أيامه بلغ عدد المماليك عشرة آلاف وسمح لهم بالخروج الى داخل البلد نهارا ويبيتون بالقلعة ليلا وفى سنة ٦٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٢٩٣ م بنى بالقلعة قصر الاشرفية وعمر أيضا الرفرف وجعله عاليا وصور فيه أمراء الدولة وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان الى ان هدمه الناصر محمد بن قلاوون والغالب ان محله القصر الابلق (الطوبخانة الآن) وفى سنة ٦٩٣ هـ قتل وسبب ذلك انه كان خرج الى الصيد وساق الى الطرانه فتبعه الامير بيدره ومعه جماعة فقتلوه هناك وحكم بعده وسمى نفسه الملك القاهر فحكم يوما واحدا وقتل ودفن الاشرف بجوار مشهد السيدة نفيسة

﴿الملك الناصر محمد بن قلاوون﴾

تولى سنة ٦٩٣ هـ وعمره تسع سنين فأقيم كفيلا له الامير كتبغا المنصور فقتل قتله الملك الاشرف وقبض على بعضهم وولى عقوبتهم بيبرس الجاشنكير وآل أمرهم الى ان قطعت أيديهم وأرجلهم وعلقت فى أعناقهم وشهروا فى مصر والقاهرة ثم ان مماليك الاشرف أحدثوا فتنة قبض على ثلثمائة نفس منهم وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا بباب زويلة ثم ان الامير كتبغا طمع فى الملك فنزع السلطان محمد عن سرير الملك وذلك سنة ٦٩٤ هـ ورجع الى السلطنة وعزل ورجع ثالثا ومكث

حاكما

حاكما حتى مات سنة ٧٤٠ هـ وكانت مدة خلافته سنة ٤٣ دون اعتزاله السلطنة

﴿الملك العادل كتبغا﴾

هو الملك العادل زين الدين المنصورى أصله من مماليك قلاوون وحصل فى أيامه غلاء مفرط لان مد النيل قصر حتى أكل الناس الجيف وفى زمنه وفد على مصر طائفة من المغول فرارا من ملكهم غازان يدعون باسم الاويراتية فانه لما تغلب التتار على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس الى مصر نزلوا بالحسينية وعمروا بها المساكن وأيضا أمراء الدولة وصارت من أعظم عمائر القاهرة وكان السلطان كلما نزل من القلعة الى الميدان لم يجد أحد القلة الناس وشغلهم بما هو فيه من الغلاء والوباء واشتد خوفه من الفتنة فاظهر العناية بأمر الاويراتية لانهم كانوا من جنسه وكان مراده ان يكونوا أعوانا له عند الشدائد فخشوا ايقاعه بهم فآل الامر أخيرا بسببهم وبسبب عدم مسيره الى بلاد الشام لمحاربة التتار قيام بعض الامراء عليه فترك الملك وفر هاربا الى دمشق

﴿السلطان حسن بن قلاوون﴾

تولى السلطنة وعمره ١٣ سنة فعهد الى الامير منجك اليوسفى بالوزارة فنقص كثيرا من مصروف الدولة والرواتب ومديده لاخذ الرشوة وصار يولى الوظائف بمال يأخذه ممن يتولاه واشتد تحريق النيل واتفق الرأى على سده من جهة الجيزة لتحويل الماء الى مصر ووكل هذا الامر وزيره منجك فجمع أموالا عظيمة من الرعية وصنع مراكب وشحنها أحجارا ورماها فى مجرى النيل مما يلى بر الجيزة فلم تحصل ثمرة وعزل منجك من الوزارة ثم أعيد اليها ثانيا واشتد ظلمه وجمع أموالا عظيمة وكثرت حوادثه الى ان عزل بالثانى وحمل الى الاسكندرية وسلب ماله ثم أعيد اليه جزء من ماله وفى سنة ٧٤٩ هـ حصل طاعون عم الديار المصرية فخرب البلاد وقتل العباد وفى سنة ٧٥١ جمع السلطان حسن القضاة

والامراء ورشد نفسه وبعد أيام قبض على جماعة من الامراء كان منهم منجك المذكور وحملهم الى الشام فتعصبوا وقاموا عليه سنة ٧٥٢ هـ وكان رأس الفتنة الامير طاز فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة فاقام الى ان أعيد الى السلطنة ثانيا سنة ٧٥٥ هـ فاقام ست سنين وكسور وقتل سنة ٧٦٢ هـ وفى أيامه بنى الجامع المسمى باسمه وجامع شيخون ومدرسته بالرميلة

﴿أبو المعالى زين الدين شعبان﴾

تولى سنة ٧٦٤ هـ ولقب بالملك الاشرف وعمره عشر سنين وكان المتكفل به الامير يلبغا العمرى وفى سنة ٧٦٧ هـ أراد ان يجعل الامير طنبغا الطويل عاملا له على الشام وكان هذا الامير اذ ذاك برأس الوادى فارسل اليه كتابا مع جملة أمراء فلم يمتثل لهذا الامر واتحد مع الامراء المرسلين اليه ورفعوا لواء العصيان فقام يلبغا وحاربهم وانتصر عليهم بالقرب من الجبل الاحمر بجهة تعرف بقبة النصر وقتل منهم خلقا كثيرا وفى هذه السنة وردت مراكب صاحب قبرس الى الاسكندرية فقام عليهم نائب الاسكندرية وحاربهم بمن عنده من العرب والعساكر فهزموه ودخلوا المدينة ونهبوها وقتلوا كثيرا من أهلها ورحلوا عنها قبل وصول عساكر الملك اليهم الواردة من القاهرة وبهذا السبب وكثرة فساد مراكب الفرنج فى البحر وقطعهم طرق التجارة شرع فى انشاء مراكب حربية فلما كملت رحل ليتفرج عليها وعاد الى (الطرانه) بقصد النزهة ونصب بها خيامه وكان مماليك يلبغا قد اتفقوا على قتله فهرب ليلا الى القلعة فتوجه المماليك الى السلطان وأرادوا أن يعينهم فلم يمكنه غير الموافقة ولما بلغ يلبغا ذلك جمع جموعه واستدعى الامير اتوك أخو السلطان ولقبه بالملك المنصور وسار به الى الجزيرة الوسطى والسلطان الاشرف فى بر انبابه وصار يترامون بالنشاب فسار السلطان وطلع القلعة على حين غفلة فلما سمع بذلك أصحاب يلبغا فارقوه أغلبهم وآل الامر بالقبض على

يلبغاوقتلوه وكانت داره هى المعروفة الآن بالحوض المرصود وكانت مدة السلطان زين الدين شعبان كلها ثورات وتعاظم عليه وكانت الحروب بالرميلة وبولاق والجزيرة وجعل للاشراف العمائم الخضر ليمتازوا عن غيرهم وفى سنة ٧٧٨ هـ خرج للحج فلما وصل العقبة قام عليه المماليك فكر راجعا واختفى بالقاهرة الى ان قبض عليه وخنق ووضع بزنبيل وألقى فى بئر وفى أيامه ولى الكثير من أولاد الناس المناصب السامية والوظائف العالية وهو الذى بنى المدرسة الاشرفية تجاه القلعة وهدمت فى زمن السلطان برقوق

﴿زين الدين الملك حاجى﴾

كان عمره وقت تقليده السلطنة عشر سنين فلم يكن له من السلطنة سوى الاسم فقط وكان الامر بيد برقوق الوزير وكانت المملكة فى حالة الاضطراب لان كل أمير كان يريد الرياسة وكثرت العربدة فى البلاد واشتدت نيران الفتن فاتفق برقوق مع خشداشيته وهجم على باب السلسلة الذى هو باب العزب أحد أبواب القلعة واستحضر الخليفة الموجود وهو المتوكل على الله العباسى والقضاة والامراء واتفقوا على خلع الملك الصالح حاجى وتولية برقوق وتقررت بينهم سلطنة برقوق فكانت مدة سلطنته سنة وكسور فكان من تولى من ذرية الناصر اثنى عشر أقام واحدا وأربعين سنة مع ان الناصر محمد بن قلاوون أقام بها أربعا وأربعين سنة ومدتهم جميعا كانت شدائد حتى اشتد الضرر بالناس مع ان فى مدتهم جددت العمارات الكثيرة بمصر والقاهرة

الباب الثالث عشر

﴿دولة الجراكسة﴾

حكمت هذه الدولة سنة ٧٨٤ هـ وانقضت سنة ٩٢٣ هـ وعدد سلاطينهم ٢٢ سلطانا وأولهم برقوق ولنذكر من اشتهر منهم فنقول

﴿الظاهر برقوق﴾

أصله من مماليك يلبغا المتقدم الذكر ولما استقر برقوق فى السلطنة أكثر فى شراء المماليك وأمر لهم بالسكنة فى القاهرة وتزوّجوا بنساء أهل المدينة وتغيرت أحوال البلاد وعائدها ثم رفع نواب الشام لواء العصيان عليه وجرت بينه وبينهم حروب شديدة ودام الاضطراب حتى حضر يلبغا الناصرى بعساكر من الشام واقتتل مع عساكر برقوق خارج باب النصر فانهزمت عسكر السلطان واختفى برقوق واستولى يلبغا على القلعة وأخرج السلطان الصالح حاجى من السجن وولاه السلطنة ثانيا وأكثر القتل فى مماليك السلطان برقوق ومازال مجدا فى طلبه حتى عثر عليه فبعث به أسيرا الى الكرك وحبس هناك وصار الحل والعقد بيد يلبغا ثم حصلت فتنة من يلبغا والامير منطاش فتحاربا فى الريدانية وآل أمرهما بهروب يلبغا وأصحابه وصار الحل والعقد بيد منطاش فتمكن برقوق من الخروج من الكرك فخرج وانضم الى بعض مماليكه وكثير من العرب وحصلت وقعات بينه وبين نواب الشام والسلطان حاجى انتهت باسترجاعه الى السلطنة وهرب يلبغا فصار يجمع على بلاد الشام الى ان قتل يلبغا وأتى برأسه وعلقت على باب زويلة وفرح السلطان برقوق لقتله وفى ذلك الوقت كان ظهور تيمورلنك يعثو فى البلاد بعساكره وحصلت بينه وبين عساكر مصر وقعات عظيمة واستولى على بغداد فهرب صاحبها القان أحمد الى مصر فقابله ملكها بالترحاب وأنزله بقصر الامير طقوزدمور وهو محل المدارس المريية الآن بدرب الجماميز وجهز جيشا وسار معه الى بلاد الشام وكان تيمورلنك قد رحل عنها فرجع السلطان برقوق الى مصر وتوجه القان أحمد الى مملكته فكانت مدته كلها حروب وشدائد فكانت سلطنته بالديار المصرية والشامية ست عشرة سنة وكسور وكان كثير البر والصدقات ومات سنة ٨٠١ هـ

(الملك

﴿الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق﴾

تولى السلطنة وعمره عشر سنين وفى مدته قام عليه الامير ايتمش بمماليكه يريد خلعه من السلطنة فتحزب عليه مماليك الظاهر مع كثير من الامراء واقتتلوا بالرميلة وحول القلعة فانهزم ايتمش وفر الى الشام وقتل فى هذه الواقعة اناس كثيرون ونهب العوام بيوت الامراء الذين كانوا مع ايتمش وأحرقوا باب مدرسة السلطان حسن حيث كان ايتمش حاصر القلعة منها وقام بدل ايتمش بيبرس السيفى فهدد الناس وأصلح حال الرعية وكان ايتمش هرب الى الشام وعثى هنالك بالقتل والسلب فجهز اليه جيشا جرارا وسار اليه وقتله وجملة من أصحابه وأتى الى مصر بموكب هائل وعلق رأسه ورؤس أصحابه على باب زويلة وفى ذلك الوقت كان تيمورلنك قد قتل العباد وأحرق البلاد ونهبها حتى قيل انه بنى من الرؤس عشر منارات دور كل منارة عشرون ذراعا وكل ذلك وفرج المذكور فى لهو وشرب فسخط عليه الاهالى فقام بيبرس السيفى وصمم على قتله فهرب

﴿الملك أبو النصر شيخ﴾

ولما تولى السلطنة أمير المؤمنين الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس وتولى النيابة المؤيد شيخ فشاركه المؤيد فى الخطبة وصار الامر للمؤيد فتغلب على السلطنة وصار الخليفة له الاسم فقط ثم جمع القضاة والامراء وخلع الخليفة من السلطنة ولم يخلعه من الخلافة فاقام بالقاهرة ثم خلعه من الخلافة أيضا وبعث به الى الاسكندرية وسجن هنالك الى زمن الملك الاشرف برسباى فاخرجه من السجن وسكن هنالك الى ان مات سنة ٨٣٣ هـ ودفن هنالك ولما خلع الخليفة سنة ٨١٥ هـ جلس هو بمفرده وكان هذا الملك من مماليك الظاهر برقوق واسمه أبو النصر شيخ وتلقب بالمؤيد ولما بلغ تورو زعامل الشام خلع المستعين فلم يقطع خطبة المستعين واستمر يخطب باسم الخليفة فسار اليه المؤيد وحاربه وقتله

ورجع الى القاهرة وولى منكلى بغا الشمسى محتسبا وكان هذا أول تركى تولى الحسبة وعصى عليه نواب الشام فسار اليه ففروا هاربين وولى بدلهم وعاد الى القاهرة وصفى له الوقت وأكثر من شراء المماليك وقتل ابنه ابراهيم لما بلغه انه مصمم على نزعه من السلطنة ودفنه بالجامع الموجود بجوار باب زويلة ثم مات ودفن معه وكان أكثر اقامته ببولاق ووقع فى زمنه وباء عظيم حتى حصل للناس من ذلك ضرر وكان كريما يحب العلم والعلماء الا انه كان كثير السفك للدماء قتل كثيرا من النواب

﴿السلطان أبو النصر قايتباى﴾

لما تولى أبو النصر قايتباى تلقب بالملك الاشرف وهو أعظم سلاطين هذه الدولة له عمارات عظيمة بمصر والمدينة ومكة وغيرها منها جامع بجزيرة الروضة وجامع بقلعة الكبش والايوان الكبير بالقلعة وغير ذلك وهو من مماليك الظاهر چقمق وأنشأ عدة قناطر وجسور فى الاقاليم ووقف أوقافا كثيرة لعماراته وفى سنة ٨٨٤ هجرية حج السلطان قايتباى ولم يحج من سلاطين الجراكسة غيره ورتب لاهل الحرمين ثمانية آلاف أردب قمح وفى سنة ٨٨٧ هجرية توجهت عساكر مصر تحت قيادة يشبك الى حسن الطويل ملك العراق وجرى بينهما حروب كثيرة انهزم فيها العساكر المصرية ومات يشبك ووقعت الحرب بينه وبين السلطان محمد ملك الروم من سلاطين آل عثمان وسبب ذلك أن بعض تجار الهند أهدى هدية الى السلطان محمد المذكور فسمع بها قايتباى فاخذها فلما بلغ ذلك السلطان محمد حاربه فتظاهر عليه المصريون ثم ان السلطان المذكور بلغه تظاهر بعض الامراء المصرية عليه فأراد ان يتنازل عن السلطنة فامتنع أمراء الاهالى من ذلك فرجع الى السلطنة ثانيا ثم جاءت الاخبار باغارة العساكر العثمانية على بلاد الشام تحت رياسة السلطان بايزيد خان من آل عثمان قاصدا حرب قايتباى وسبب ذلك انه رحب بأخيه جم الذى كان منازعا له فى الملك فجهز اليه

سلطان

سلطان مصر قايتباى العساكر مع الامير أزبك الذى نسبت اليه الازبكية فانتصر المصريون عليه مرارا ثم حصل الصلح بينهما وترك قايتباى عدنه وطرسوس اليه وكان سفير قايتباى جانبلاط بن يشبك السالف الذكر والبيان ومات قايتباى سنة ٩٠١ هـ وكان محبا لجمع الاموال وغير عجول فى الامور

﴿السلطان قانصوه الغورى﴾

هو أبو النصر قانصوه تولى السلطنة سنة ٩٠٦ هـ ولقب بالملك الاشرف فاقام ١٥ سنة ولما اتفق العساكر على توليته اشترط معهم أن لا يقتلوه وان رغبوا عزله انعزل وكان جبارا كثير القتل والسفك وله عدة مبانى منها المنارة المعتبرة بالازهر والبستان تحت القلعة والسبع سواقى لمجرى الماء من مصر العتيقة الى القلعة وعمر بعض أبراج الاسكندرية وعمل بطريق الحج عدة خانات وآبار وهو صاحب القبة الموجودة الآن بالبلدة التى سميت بها اقرب المطرية ومع ذلك فانه كان كثير الطمع والظلم يأخذ أموال من يموت ومما يكه يظلمون الناس ووقعت بينه وبين السلطان سليم الاول من آل عثمان حروب بمرج دابق انهزم فيها الغورى ولم يعلم له حال وسبب هذه الفتنة انه رحب بأخيه كركود الذى كان ينازعه فى الملك ودخلت الشام من وقتئذ تحت حكم الدولة العلية وقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر قد ولوا عليهم طومان باى ابن أخ الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة ثم ذهب طومان باى الى السلطان سليم طائعا فقتله وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ودفن بعد فن الغورى المشهور وبموت طومان باى انتهت دولة الجراكسة

الباب الرابع عشر

﴿مصر تحت حكم الدولة العثمانية المرة الاولى﴾

أوّل من ملك مصر من بنى عثمان هو السلطان سليم الاوّل وذلك سنة ٩٢٣ هـ سنة ١٥٣٠ م وكان ملكا شديد البأس مولعا بمطالعة التواريخ بليغا فى اللغة الفارسية والرومية والعربية والتركية وكان كثير السفك للدماء عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يتجسس بالليل والنهار وهو متخفيا ويطلع على الاخبار وكان قد توجه لقتال العجم فلم يتمكن من بلادهم شدة التمكن بسبب انقطاع القوافل التى أعدها لتتبعه بمؤنة العساكر فبلغه ان سبب سلطان مصر قانصوه الغورى لان بينه وبين اسمعيل شاه العجم مودة ومراسلات فكان ذلك سببا فى غزو بلاد مصر كما تقدم وكان مقره بمصر فى قلعة الروضة وبنى له كشك عند قاعة المقياس وهو مشرف على النيل ولما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه خاير بك بمفاتيح البلاد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت فشاوره على ان أبناء الجراكسة يريدون الدخول فى خدمة الدولة فاجابه لطلبه وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهو نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأبقاها على ما كانت عليه فغضب وزيره وقال افنوا مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فامر السلطان سليم بضرب عنق الوزير وقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى حيزنا فهم أولاد مسلمين وتأخذهم الغيرة على ديارهم وأما أراضيهم فاصلها املاك الغائبين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز ان ننازعهم فى أملاكهم وأنا أزلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادى بتكرار كلامه وكانت مدة ولاية خاير بك سنتين ونصف تقريبا ومن بعده أرسلت الدولة العلية نائبا من طرفها وما زالت ترسل العمال من طرفها الى سنة ١٧٦٥ م أى فى زمن السلطان مصطفى الثالث فانه قطع ارسال النواب الى مصر وولاها للمماليك البادى ذكرهم آنفا بشرط ان يدفعوا نصف الاموال السلطانية

الى

الى الاستانة العلية والنصف الثانى يصرف برسم المرتبات وأقام بينهم أميرا لصدور الاوامر فكانت المماليك تصرف الاموال على شهواتهم ويدعون انهم يصرفونها على المصالح المبرية وفى آخر العام يرسلون الدفتر مسدداً عن يد الوزير المذكور الذى لم يكن فى مصر الا على سبيل الصورة فقط وكانوا يظلمون الناس ولا يبالون فى نجاح البلاد وكان كبيرهم يسكن القاهرة ويلقبونه بشيخ البلد ومع تمادى الايام خرجوا عن طاعة الدولة العلية لما حكم كبيرهم على بك الكبير الذى خطب على المنابر باسمه واستمر العصيان الى سنة ١٧٩٨ م الموافقة سنة ١٢١٣ هـ حين حضر الجنرال بونابارت وحاربهم وشتت شملهم

الباب الخامس عشر

﴿الجيش الفرنساوى فى مصر﴾

وفى سنة ١٧٩٨ م هجمت الامة الفرنساوية على مصر تحت قيادة الجنرال بونابارت باربعين ألف من العساكر الفرنساوية فاولا ملكوا الاسكندرية ثم نزلوا على مصر ووقع بينهم وبين المصريين وقائع شتى فاول واقعة كانت عند الرحمانية فهزمت الجيوش المصرية والتجؤا الى الجيزة فاقتفى الفرنساويون أثرهم والتقوا عند قرية وسيم فهزمهم الفرنساويون ثانى مرة ففر مراد بك ومن معه من المماليك الى الصعيد وفر ابراهيم بك شيخ البلد ومن معه من المماليك الى الشام وبعد تمام نصرتهم دخلوا مصر ورتبوا الدواوين لتنصلح الاحوال وأظهروا انهم لا يظلمون أحدا ولا يتعرضون للرعية الا بكل خير وانهم مرسلون من طرف الدولة العلية ولكن بعد تسيير أظهروا ضد ما قالوه ونهبوا أمتعة المماليك ثم الاهالى وقتلوهم وكذا قتلوا بكل قرية من قرى مصر من امتنع عن أداء ما فرض عليه من الاموال وقد قتلوا كثيرا من العلماء عند دخولهم الجامع الازهر ونشروا الخزائن التى ظنوا ان

بها أموالا وأخذوا الكتب النفيسة التي بها ونقلوها الى باريس وهي موجودة لغاية الآن بكتبخاناتهم وربطوا خيولهم بالجامع الازهر يوما وليلة ثم توجه بونابرت الى الشام وقاتل بها أحمد باشا الجزار ثم عاد الى مصر وترك جزأ من جيشه لمحافظة العريش ثم نهض لمقاومة مصطفى باشا باني قبر حين حضوره من بلاد الترك فهزمه وأخذه أسيرا وقتله وبعد ان جمع الاموال وولى مكانه كليبر سرى عسكر جيشه وسافر الى فرنسا

وفي سنة ١٢١٤ هـ تحركت همة مولانا السلطان سليم الثالث وجهز جيشا تحت قيادة يوسف باشا المعدني لمقاتلة الفرنساوية بمصر وبصحبته العساكر الانكليزية المتحدة مع هذه الدولة في هذا الحرب ففتح منهم مدينة غزه فطلبوا الصلح وأمهلهم أربعين يوما يجمعون فيها عساكرهم فأجابهم لهذا الطلب فجمعوا عساكرهم وخدعوه وغدروا به عند مدينة الخانكة فخاب أمله ولما رجع الفرنساويون منعهم عن الدخول في القاهرة حسن بك الجداوي ومحمد بك الالفي وابراهيم بك شيخ البلد والسيد أحمد المحروقي والسيد يومي مكرم والشيخ الصاوي فحاربتهم الفرنساويون وهزموهم وفي هذه الواقعة حرقوا بعض محلات باب الشعرية وبولاق وصار كليبر ينهب أموال الاهالي ويطلب منهم الطلبات الباهظة فمن جملة طلبه من شيخ السادات سيدي محمد أبي الانوار خزينة مال فباع أمتعته هو ونساؤه فلم يف بنصف مطلوبه وفي سنة ١٢١٥ هـ خرج رجل من مجاوري الشوام بالازهر على كليبر وقتله في بستان البيت الذي بالازبكية فقبض على المجاور المذكور وصلبوه وبعد زمن شرع الفرنساويون في تشييد السور من باب النصر الى باب الحديد وجعلوا جامع الحاكم وجامع الظاهر بيبرس قلعتين

وفي سنة ١٢١٦ هـ وافتهم العساكر السلطانية والانكليزية معا تحت قيادة يوهان باشا ووقعت بينهم وقائع شتى وأخيرا انتهت بانتصرة ليوهان باشا وهزم الفرنساويين فطلبوا الصلح فأمهلهم جملة أيام ونزلوا

في

فى مراكب ودخلت العساكر الشاهانية والانكليزية مصر منصورين وكانت مدة تصرف الفرنساوية ثلاث سنين ورجعت مصر لحوزة الدولة العلية ثانيا

الباب السادس عشر

﴿مصر تحت حكم الدولة العثمانية المرة الثانية﴾

وبعد ان تمت النصرة للدولة العلية على الامة الفرنساوية اقرت الدولة محمد خسرو باشا والياعليها وأصدرت اليه أوامر اقتال المماليك فلما سمع هذا الخبر أكابر المماليك وهما عثمان بك البرديسى ومحمد بك الالفى نهضا لمقاومة الوالى المذكور واستظهروا عليه وهزموا جيشه فنسبت هذه الهزيمة الى محمد على باشا الكبير وأضمر الوالى المذكور قتله فحاوله وانضم بمن معه من الشجعان الى طائفة المماليك وهزموه ولما سمع ذلك السلطان سليم الثالث شق عليه وأرسل على باشا الجزايرلى وأمره بالقبض على المماليك والارنؤد فبحضوره الى مصر خلعوا طاعته وكسروا جيشه وقتلوه وبعد أيام قلائل وقعت فتنة بين محمد بك الالفى وعثمان بك البرديسى انتهت بالعداوة بينهما ولم يمض زمن يسير حتى توفاهما الله فاتفق سادات مصر على ان يكون محمد على باشا فأقام البلد فصادقوه على ذلك لما رأوا فيه من كمال الاستعداد ولما كان المتولى على مصر أحمد باشا طلع محمد على باشا والارنؤد فى مقابلة أحمد باشا وجماعته فجعل محمد باشا يضرب عليهم بالمدافع حتى أخرب جهة الداودية وأضعفهم ففر أحمد باشا وانضم أتباعه الى محمد على باشا فقابلهم بكل ممنونية وصار محمد على باشا من ذلك الوقت يستميل قلوب الاهالى والعساكر اليه حتى أحبه العموم وبغضوا الامراء الى ان دخلت سنة ١٢٢٠ اتفق الجنود والعلماء والعامة على عزل أحمد باشا وتولية محمد على باشا فامتنع أحمد باشا فحاربه محمد على باشا وحصره بالقلعة فهرب

من باب الجبل فطلع محمد على باشا القلعة وورد اليه فرمان فى سنة ١٢٢١ بولايته على مصر ثم أمر بعد ذلك بالتوجه الى سالونيك وان يسلم البلد الى أكابر المماليك بشرط ان يدفعوا للدولة خمسة آلاف كيس كل عام فتلى الفرمان على مشايخ البلاد فأجابوه جميعا نحن عبيد السلطان ولكن لا نقبل اعادة حكم المماليك ثانيا وأوروا أن لا يقبلوا الياسوى محمد على باشا الكبير لعلو همته ومكارم أخلاقه فأجابهم السلطان الى هذا الطلب لاطفاء الفتنة وصدرت الاوامر السلطانية بتقرير عزيز مصر محمد على باشا الكبير والياعليها وذلك سنة ١٢١٩ هـ الموافقة سنة ١٨٠٤ م ودخلت مصر تحت حكم الدولة المحمدية العلوية وهانحن تحت ظل رعيتها على أحسن حال وأتم منوال خلد الله ملكها الى آخر الزمان بجاه سيد ولد عدنان

قد تم طبع هذا الكتاب بعون الملك الوهاب المسمى اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر وذلك بالمطبعة العامرة البهيه التى محل ادارتها بحوش قدم بصر المحميه ادارة الراجى من الله حسن الوفا حضرة محمد أفندى مصطفى فى أواسط شهر ربيع الاول سنة ١٣١١ هجريه على صاحبها أفضل الصلام وأزكى التحيه

﴿بيان الخطا والصواب الواقع فى هذا الكتاب﴾

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٧	١٦	الابير	الايبر
٧	١٧	بلطيق	بيطيق (باسپانيا)
٧	١٧	أمة الغالة	أمة الغالة جهة نهر التاج
٤٩	١٢	منهم	منهم قوم
٤٩	١٤	منه	منهم قوم
٦٥	١٤	فدخل	فدخل جند
١١٩	٩	القرطاچيون	القرطاچيين
١٢٢	١٦	الجراكيين	(مجاذفة الجراكيين)
١٦٠	١٥	مكاتبا	مكاتبات
١٠٤	١٤	البابليون	معابد البابليين
١٦٤	١٦	تاربون	ناربون
١٧٣	٢٢	البحباح	التحتاح

(وقع فى ملزمة ١١ خطا فى رسم مدينة البصرة فى كتبت البصرى)

﴿فهرسة كتاب اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر﴾

﴿وهو عبارة عن تاريخ الامم الشرقية﴾

صحيفة

٣ مقدمة فى ثمرة علم التاريخ وأقسامه واستمداده وتشعب الامم الخ
١٩ الباب الاول فى تاريخ مصر وأقسامه
١٩ تاريخ مصر القديم لغاية افتتاحها بالاعجام
٤٨ الباب الثانى فى التاريخ القديم لامم الشرق
٤٨ الفصل الاول فى تاريخ الآشوريين والبابليين
٥٧ الفصل الثانى فى تاريخ الميديين والعجم
٦٦ الفصل الثالث فى تاريخ الليديين
٦٨ الفصل الرابع فى تاريخ الكنعانيين والفنيقيين
٧٢ الفصل الخامس فى تاريخ العبرانيين
٧٩ الباب الثالث فى تاريخ مصر وهى فى حكم الفرس
٨٨ الباب الرابع فى تاريخ قدماء اليونان
١٠٨ الباب الخامس فى الكلام على مصر تحت حكم اليونان
١١٥ الباب السادس فى تاريخ قدماء الرومان
١٢٥ الباب السابع فى تاريخ مصر تحت حكم الرومان
١٣٠ الباب الثامن فى امبراطورات القسطنطينية ودولة اليونان السفلى
١٣٦ الباب التاسع فى تاريخ العرب
١٣٩ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
١٤٩ الخلفاء الراشدون
١٥٦ فتح مصر بالاسلام
١٥٨ عمرو بن العاص
١٥٨ الدولة الاموية
١٦٩ الدولة العباسية

obeikandl.com

صحيفة

١٨٠ الدولة الطولونية
١٨٢ الدولة العباسية المرة الثانية
١٨٦ الدولة الاخشيدية
١٨٨ ابتداء ملك العلويين
١٩٦ الباب العاشر فى الدولة الايوبية الكردية
٢٠٠ الباب الحادى عشر فى السلجوقيين وحروب الصليب
٢٠٥ الباب الثانى عشر فى دولة المماليك البحرية
٢١١ الباب الثالث عشر فى دولة الجراكسة
٢١٥ الباب الرابع عشر مصر تحت حكم الدولة العثمانية المرة الاولى
٢١٧ الباب الخامس عشر فى الجيش الفرنساوى فى مصر
٢١٩ الباب السادس عشر فى الدولة العثمانية المرة الثانية واستيلاء العزيز محمد على باشا على مصر

تمت